

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190671

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الآداب

في

فنون الآداب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب النوري

السفر السابع

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد تم بمعونة الله وحسن توفيقه تصحيح السفر السابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب .

وقد بذلنا وسعنا ، وغاية جهدنا ، في سبيل إظهاره للقراء سليما من التحريف والتصحيف ، اللذين ملئت بهما أصوله التي بين أيدينا ، وهي نسخة واحدة ، مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ — فلم ندع فيه — بحسب الطاقة — لفظا محترفا إلا أصلحناه ، ولا كلاما ناقصا غير متصل الأجزاء إلا رجعنا إليه في مظانه وأكثانه ولا علما من الأعلام إلا عينا بتحقيقه وضبطه ، ولا لفظا غريبا إلا فسرناه ، ولا عبارة غامضة المعنى إلا أوضحنا الغرض منها ، ولا بيتا يستغلق فهمه على القارئ إلا شرحناه ونسبناه إلى قائله ، ولا اسم مكان أو بلد إلا نقلنا باختصار ما كتبه العلماء عنه ، ولا لفظا يلتبس على القارئ إلا ضبطناه بما يزيل التباسه .

ومما هو جدير بالذكر والشكر هذه العناية الكبيرة التي كان يبذلها عن طيب نفس ذلك المدير الحازم ، والمربي الفاضل ، حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد أسعد بك برادة مدير دار الكتب المصرية ، فقد كان حفظه الله يختلف إلينا

(د)

في أكثر الأيام، ويبدل لنا من نصائحه الغالية وإرشاداته القويمة ما يبعث في نفوسنا
الجد في العمل، والسعي في إتقانه، ولا يفوتنا في هذه الكلمة أن نشكر أيضا
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير السيد محمد علي البيلوي مراقب إحياء
الآداب العربية بالدار لما كان يبذله لنا من الإعانة على عملنا بمعلوماته الثمينة عن
البحوث ومراجعتها، والكتب وأغراضها ومكان الفائدة منها، والله نسأل أن
يحمل عملنا خالصا لوجهه إنه قريب مجيب ما

مصححه

أحمد الزين

فهرست

السفر السابع

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى
يتضمن ما يشتمل عليه من الأبواب والفصول
ورسائل الكتاب وخطب البلغاء

الباب الرابع عشر

صفحة

من القسم الخامس من الفن الثانى فى الكتابة وما تفرع من أصناف الكتاب	
أصل الكتابة	١
وأما شرفها	١
وأما فوائدها	٢
ثم الكتابة بحسب من يحترفون بها على أقسام	٤
ذكر كتابة الإنشاء وما اشتملت عليه من البلاغة والايجاز الخ	٤
فأما البلاغة	٤
وأما الفصاحة	٦
ذكر صفة البلاغة	٧
ومن أمثالهم فى البلاغة	٩
فصول من البلاغة	١٠
جمل من بلاغات العجم وحكمها	١١
صفة الكاتب وما ينبغى أن يأخذ به نفسه	١٢
وأما ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه	١٣

صفحة

وأما ما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب والكتاب ...	١٤
ذكر شيء مما قيل في آلات الكتابة	١٩
ذكر شيء مما قيل في القلم	٢٠
ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الأمور الكلية	٢٧
وأما الأمور الخاصة التي تزيد معرفتها قدره الخ	٣٥
فأما علوم المعاني والبيان والبديع	٣٥
وأما الحقيقة والمجاز	٣٧
وأما التشبيه	٣٨
وأما الاستعارة	٤٩
فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله	٥٢٠
فصل في أقسام الاستعارة	٥٦
وأما الكناية	٥٩
وأما التعريض	٦٠
وأما التمثيل	٦٠
وأما الخبر وأحكامه	٦١
وأما التقديم والتأخير	٦٣
فصل في مواضع التقديم والتأخير — أما التقديم	٦٩
وأما التأخير	٧٠
وأما الفصل والوصل	٧٠
وأما الحذف والإضمار	٧٥
فصل في حذف المبتدا والخبر	٧٧
فصل — الإضمار على شريطة التفسير الخ	٧٩
وأما مباحث إن وإنما . أما إن	٨٠
وأما إنما	٨٣

صفحة

فصل - اذا دخل ما وإلا على الجملة المشتملة على المنصوب الخ ...	٨٤
وأما النظم ...	٨٧
وأما التجنيس - فنه المستوفى التام ...	٩٠
ومنه المختلف ...	٩١
ومنه المذيل ...	٩١
ومنه المركب ...	٩٢
ومن أنواع المركب المرفق ...	٩٢
ومنه المزدوج ...	٩٣
ومن أجناس التجنيس المصحف ...	٩٣
ومنه المضارع ...	٩٤
ومنه المشقوش ...	٩٤
ومنه تجنيس الاشتقاق ...	٩٥
ومما يشبه المشتق ...	٩٥
ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف ...	٩٦
ومنها التجنيس المخالف ...	٩٧
ومنها تجنيس المعنى ...	٩٧
وأما الطباق ...	٩٨
وأما المقابلة ...	١٠١
وأما السجع ...	١٠٣
وأما الترصيع ...	١٠٤
وأما المتوازي ...	١٠٤
وأما المطرّف ...	١٠٥
وأما المتوازن ...	١٠٥
فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها ...	١٠٧

صفحة

وأما رد المعجز على الصدر	١٠٩
وأما الإعانات	١١٣
وأما المذهب الكلامي	١١٤
وأما حسن التعليل	١١٥
وأما الالتفات	١١٦
وأما التمام	١١٨
وأما الاستطراد	١١٩
وأما تأكيد المدح بما يشبه الذم	١٢١
وأما تأكيد الذم بما يشبه المدح	١٢٢
وأما تجاهل العارف	١٢٣
وأما الهزل الذي يراد به الجحد	١٢٤
وأما الكفايات	١٢٤
وأما المبالغة	١٢٤
وأما عتاب المرء نفسه	١٢٥
وأما حسن التضمين	١٢٦
وأما التلميح	١٢٧
وأما إرسال المثل	١٢٧
وأما إرسال مثلين	١٢٨
وأما الكلام الجامع	١٢٨
وأما اللف والنشر	١٢٩
وأما التفسير	١٢٩
وأما التعديد	١٣٠
وأما تنسيق الصفات	١٣١
وأما الإيهام	١٣١

صفحة	
١٣٣	وأما حسن الابتداءات
١٣٥	وأما براعة التخليص
١٣٥	وأما براعة الطلب
١٣٥	وأما براعة المقطع
١٣٦	وأما السؤال والجواب
١٣٦	وأما صحة الأقسام
١٣٧	وأما التوشيح
١٣٨	وأما الإيغال
١٤٠	وأما الإشارة
١٤٠	وأما التذييل
١٤١	وأما التردد
١٤١	وأما التفويف
١٤٢	وأما التسهيم
١٤٣	وأما الاستخدام
١٤٤	وأما العكس والتبديل
١٤٤	وأما الرجوع
١٤٥	وأما التغير
١٤٦	وأما الطاعة والعصيان
١٤٧	وأما التسميط
١٤٧	وأما التشطير
١٤٨	وأما التطريز
١٤٨	وأما التوشيح
١٤٩	وأما الاغراق
١٤٩	وأما الغلق

صفحة

١٥٠	وأما القسم
١٥١	وأما الاستدراك
١٥١	وأما المؤتلفة والمختلفة
١٥٢	وأما التفريق المفرد
١٥٣	وأما الجمع مع التفريق
١٥٣	وأما التقسيم المفرد
١٥٤	وأما الجمع مع التقسيم
١٥٤	وأما التراوح
١٥٤	وأما السلب والإيجاب
١٥٥	وأما الاطراد
١٥٦	وأما التجريد
١٥٧	وأما التكيل
١٥٨	وأما المناسبة
١٦٠	وأما التفريع
١٦٣	وأما نفى الشئ بإيجابه
١٦٤	وأما الإيداع
١٦٤	وأما الإدماج
١٦٤	وأما سلامة الاختراع
١٦٥	وأما حسن الاتباع
١٦٦	وأما الذم فى معرض المدح
١٦٦	وأما العنوان
١٦٩	وأما الإيضاح
١٦٩	وأما التشكك
١٧٠	وأما القول بالموجب

صفحة

١٧١	وأما القلب
١٧٢	وأما التدبير
١٧٣	وأما الإسمجال بعد المغالطة
١٧٣	وأما الافتنان
١٧٤	وأما الإيهام
١٧٤	وأما حصر الجزئ والحاقة بالكل
١٧٥	وأما المقارنة
١٧٥	وأما الإبداع
١٧٧	وأما الانفصال
١٧٧	وأما التصرف
١٧٨	وأما الاشتراك
١٧٩	وأما التهم
١٨٠	وأما التدبيح
١٨١	وأما الموجه
١٨١	وأما تشابه الأطراف
١٨٢	وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة فالاعتباس الخ
١٨٣	وأما الاستشهاد بالآيات
١٨٣	وأما الحل
	ذكر ما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به وما يجوز
١٨٥	في الكتابة وما لا يجوز
١٩٣	وإذا كتب في التهانى بالفتوح
٢٠١	وأما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلق بذلك
	ذكر شئ من الرسائل المنسوبة الى الصحابة رضى الله عنهم والتابعين
	وشئ من كلام الصدر الأول وبلاغتهم - فمن ذلك الرسالة
	المنسوبة الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى على وما يتصل
٢١٣	بها من كلام عمر بن الخطاب وجواب على رضى الله عنهم

صفحة

- ومن كلام عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ... ٢٣٠ ...
- ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها ... ٢٣٢ ...
- ومن كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ... ٢٣٣ ...
- ومن كلام الأحنف بن قيس ... ٢٣٧ ...
- ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية ... ٢٤١ ...
- خطبة الحجاج لما قدم البصرة ... ٢٤٤ ...
- خطبته بعد وقعة دير الجماجم ... ٢٤٥ ...
- ومن مكاتباته إلى المهلب بن أبى صفرة وأجوبة المهلب له ... ٢٤٦ ...
- ومن كلام قطرى بن الفجاءة — خطبته فى ذم الدنيا ... ٢٥٠ ...
- ومن كلام أبى مسلم الخراسانى ... ٢٥٣ ...
- ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين — خطبة ليوسف بن عمر ... ٢٥٥ ...
- خطبة لخالد بن عبد الله القسرى ... ٢٥٥ ...
- خطبة لأبى بكر بن عبد الله لما ولى المدينة ... ٢٥٦ ...
- ذكر شىء من رسائل وفصول الكتاب والبلغاء المتقدمين والمتأخرين
والمعاصرين من المشاركة والمغاربة ... ٢٥٩ ...
- ذكر شىء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكتابهم — فن ذلك رسالة
ابن زيدون التى كتبها على لسان ولادة إلى إنسان استمالها إلى نفسه عنه ... ٢٧١ ...
- وقال أيضا فى رقعة خاطب بها ابن جهور ... ٢٩٠ ...
- ومن كلام أبى عبد الله محمد بن أبى الخصال ... ٣٠٣ ...
- ومن كلام الوزير الفقيه أبى القاسم محمد بن عبد الله بن الجلد ... ٣٠٤ ...
- ومن كلام أبى عبد الله محمد بن الخياط ... ٣٠٦ ...
- ومن كلام أبى حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسى ... ٣٠٦ ...
- ومن كلام أبى الوليد بن طريف ... ٣٠٨ ...
- ومن كلام ذى الوزارتين أبى المغيرة بن حزم ... ٣١٠ ...
- ومن كلام الوزير الكاتب أبى محمد بن عبد الغفور ... ٣١١ ...

الكتب والمصادر التي رجعنا إليها في تصحيح هذا الجزء وقد رتبناها على حروف المعجم

إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ، أساس البلاغة للزمخشري ، الأملاني
لأبي علي القالي ، أقرب الموارد ، أدب الكتاب للصولي ، إرشاد الساري لشهاب الدين
القسطلاني .

البيان والتبيين للجاحظ .

تحرير التحبير لأبن أبي الإصبع ، تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي ،
تاريخ ابن جرير الطبري ، تاريخ أبي الفداء ، تهذيب التهذيب في أسماء الرجال للحافظ
ابن حجر ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي .

الحماسة لأبي تمام ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين محمود الحلبي .
خزانة الأدب لأبن حجة الحموي ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال
للخزرجي .

دلائل الإعجاز للجرجاني ، ديوان أبي تمام ، ديوان أبي الطيب المتنبي ،
ديوان أبي نواس ، ديوان ليبد بن ربيعة ، ديوان البحتري ، ديوان امرئ القيس ،
ديوان أبي فراس الحمداني ، ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبن بسام .

رسائل بديع الزمان الهمذاني .

زهر الآداب للحصري .

شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة .

شدور العقود لابن الجوزي ، شرح الباعونية ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، شرح رسائل بديع الزمان الهمداني ، شروح تلخيص المفتاح ، شرح ديوان أبي تمام الخطيب التبريزي ، شرح شواهد المباني . الشفاء للقاضي عياض ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، شرح ديوان امرئ القيس للبطليوسي .

صبح الأعشى للقلقشندي ، الصحاح للجوهري ، الصناعتين لأبي هلال العسكري .

العقد الفريد لابن عبدربه ، العمدة لابن رشيق القيرواني .

فهرست ابن النديم .

القاموس المحيط للفيروزبادي .

لسان العرب لابن منظور .

المفضليات للضيبي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي ، المثل السائر لابن الأثير الجزري ، مجمع الأمثال لبيداني ، المحاسن والأضداد للمحافظ ، المشتبه في أسماء الرجال للمحافظ الذهبي ، المصباح المنير للفيومي ، معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ، معجم الأدباء لياقوت ، مختار الصحاح مغني اللبيب لابن هشام ، المقتضب من جمهرة النسب لياقوت ، المضاف والمنسوب للشعالبي ، محاضرة الأبرار لابن العربي ، معلقة العرب .

نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .

وفيات الأعيان لابن خلكان ، الوافي بالوفيات للصفدي .

يتيمة الدهر للشعالبي .

الجزء السابع

من

نهاية الأرب في فنون الأدب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❶

الباب الرابع عشر من القسم الخامس من الفن الثاني في الكتابة وما تفرع من أصناف الكتاب

ولنبداً بأشتقاق الكتابة ، ولم تُسمت الكتابة كتابة ، ثم نذكر شرفها وفوائدها ،
ثم نذكر ما عدا ذلك من أخبار المحترفين بها ، وما يحتاج كل منهم إليه ، فنقول
وبالله التوفيق والإعانة :

أصل الكتابة مشتق من الكُتِبَ وهو الجمع ، ومنه سُمي الكتاب كتاباً ، لأنه يجمع
الحروف ، وُسِّمَتِ الكِتَابَةُ كِتَابَةً ، لأنها تجمع الحِشَ ، وقد ورد في المعارف : أن حروف
المُعْجَمِ أُنْزِلَتْ على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة ، وسندكر من ذلك
طرفاً عند ذكرنا لأخبار آدم عليه السلام في فن التاريخ ، فهذا اشتقاقها .

وأما شرفها — فقد نص الكتاب العزيز عليه ، فقال تعالى — وهو أول ما أنزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن بغار حراء^(١) في شهر رمضان المعظم — :
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾
وقال تعالى في وصف الملائكة : ﴿ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ ، الى غير ذلك من الآي .

(١) حراء كتاب وكحى ، والأخيرة ضعيفة أنكرها بعضهم ، ويؤنث فيمنع من الصرف : جبل بمكة
فيه غار تحنث أى تعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) في صحيح البخارى أن الذى أنزل من هذه الآي في حراء الى قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾
وما هنا موافق لرؤية الحافظ أبى عمر الدافى من حديث ابن عباس كما في إرشاد السارى . ج ١ ص ٨٥
ط بولاق باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن شرف الكتابة نزول الكتب المتقدمة مسطورة في الصحف كما ورد في الصحف المنزلة على شيث وإدريس وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم صلى الله عليهم كما أخبر به القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ الْأَوَّاحِ ﴾ ، وما ورد في الأخبار الصحيحة والأحاديث الصريحة أنه مكتوب على العرش وعلى أبواب الجنة ما صورته :
 لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكفى بذلك شرفا .

وأما فوائدها : فمنها رسم المصحف الكريم الموجود بين الدّقين في أيدي الناس ، ولولا ذلك لاختلف فيه ودخل الغلط وتداخل الوهم قلوب الناس .

ومنها رَقْمُ الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم التي عليها بُنيت الأحكام ، وتميز الحلال من الحرام ، وضبط كتب العلوم المنقولة عن أعلام الإسلام .
 وتواريخ من أنقرض من الأنام فيما سلف من الأيام .

ومنها حفظ الحقوق ، ومنع تمرد ذوى العقوق ، بما يقع عليهم من الشهادات ويُستطر عليهم من السجلات التي أمر الله تعالى بضبطها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ .

ومنها المكتبة بين الناس بحوائجهم من المسافات البعيدة ، إذ لا ينضب مثل ذلك برسول^(١) ، ولا تُنَالُ الحاجةُ به بمشافة قاصد^(٢) ، ولو كان على ما عساه عليه يكون من البلاغة والحفظ لوجود المشقة ، وبعلم الشقة .

(١) في الأصل : « لرسول » باللام ، ولعل الظاهر ما أثبتنا .

(٢) لعل قوله : « به » زيادة من النسخ إذ قوله بعد : بمشافة قاصد ، يفنى عنه . أولها فيه .

ومنها ضبط أحوال الناس، كمناشير الجند، وتواقيع العمال، وإدارات أرباب الصّلات في سائر الأعمال، إلى ما يجري هذا المجرى، فكان وجودها في سائر الناس فضيلةً، وعدمها نقيصةً إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانها إحدى معجزاته لأنه صلى الله عليه وسلم أمي^(١) [أني] بما أعجز البلغاء، وأخرس الفصحاء، وقَلَّ حَدِّ المؤرخين من غير مدارسٍ كتب ولا ممارِسةٍ تعليم، ولا مراجعةٍ لمن عُرف بذلك وأشتهر به .

والكتابة العربية أشرف الكتابات لأن الكتاب العزيز لم يُرقم بغيرها خلافا لسائر الكتب المنزلة . وهذه الكتابة العربية أول^(٢) من اخترعها على الوضع الكوفي سكّان مدينة الأنبار^(٣)، ثم نُقل هذا القلم إلى مكة فعُرف بها، وتعلّمه من تعلّمه، وكثُر في الناس وتداولوه، ولم تزل الكتابة به على تلك الصورة الكوفية إلى أيام الوزير أبي عليّ بن مُقْلَة، فعربّها تعريبا غير كافٍ، ونقلها نقلا غير شافٍ، فكانت كذلك إلى أن ظهر على بن هلال الكتّاب المعروف بابن البوّاب^(٤)، فكَلَّ تعريبها، وأحسن تبويبها، وأبدع نظامها، وأكمل الثنّاء لها، وحلّاه بهجةً وجمالا، وأولاه بل أولى بها منةً وإفضالا، وألبسها من رَقَم أنامله حلّلا، وجلّاه للعيون فكان أول من أحسن في ترصيعها وترصيفها عملا . ولا زال يَتَنَوَّع في محاسنها، ويتنوع في ترصيع عقود

(١) هذه الزيادة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « فأول » والقواعد تقتضي حذف الفاء، ولعلها زيادة من الناسخ .

(٣) هي مدينة على الفرات غربي بغداد، بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وأول من عمرها سابور بن هرمز، ثم جدّها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس .

(٤) هو محمد بن علي بن الحسين بن مُقْلَة، وأبو علي كنيته .

(٥) ويقال له : ابن السّري أيضا لأن أباه كان بوابا، والبواب يلزم ستر الباب، فذلك نسب اليه .

(٦) لعله : « ويتنوّع » بالقاف المشناة، أي يتجود ويبلغ .

مِيَامِنَهَا ؛ حَتَّى تَقَرَّرَتْ عَلَى أَجَلٍ قَاعِدَةٍ ، وَتَحَرَّزَتْ عَلَى أَكْلِ فَائِدَةٍ ؛ وَسَنَزِيدُ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ وَضُوحًا وَتَبْيَانًا ، وَنُقِيمُ عَلَى تَفْصِيلٍ مُجْمَلِهَا وَبَسْطٍ مُدْجِجِهَا أَدْلَةً وَبَرَهَانًا .

[ثُمَّ الْكَتَابَةُ بِحَسَبِ مَنْ ^(١)] يَحْتَرِفُونَ بِهَا عَلَى أَقْسَامٍ : وَهِيَ كِتَابَةُ الْإِنْشَاءِ ، وَكِتَابَةُ الدِّيَوَانِ وَالتَّصَرُّفِ ، وَكِتَابَةُ الْحُكْمِ وَالشَّرُوطِ ، وَكِتَابَةُ النَّسْخِ ، وَكِتَابَةُ التَّعْلِيمِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ عَدَّ فِي الْكَتَابَةِ كِتَابَةَ الشَّرْطِ ^(٢) ، وَلَمْ يُرَدْ ذِكْرُهَا تَنْزِيهَا لِكِتَابَتِهَا عَنْهَا ، وَلَا حِكْمَةً فِي إِيرَادِهَا . وَلِنَبْدَأُ بِذِكْرِ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا .

ذِكْرُ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْإِيْجَازِ
وَالْجَمْعِ فِي الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ ؛ وَالتَّلْعِبِ بِالْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي
وَالْتَوَصُّلِ إِلَى بُلُوغِ الْأَغْرَاضِ وَالْأَمَانِي

- ولنبداً من ذلك بوصف البلاغة وحدها والفصاحة :
- ١٠ فأما البلاغة — فهي أن يَتْلُعَ الرجل بعبارته كُنْهَ ما في نفسه . ولا يسمى
البلغ بليغاً إلا إذا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، وهو المسمى إيجازاً .
- وينقسم الإيجاز إلى قسمين : إيجاز حذف ، وهو أن يُحذف شيء من الكلام
وتدلُّ عليه القرينة ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ والمراد أهل القرية
وكقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْآلِ مِنَ الْآتِقِ ﴾ والمراد ولكن البرُّ من آتق ، وكقوله تعالى :
١٥ ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ والمراد من قومه ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُ ﴾ والمراد لا يطيقونه ؛ ونظائر هذا وأشباهه كثير .

(١) مكان هذه العبارة مطموس بالأصل تتعذر قراءته ، ولعل ما أُنْبِتْنَاهُ يلائم الغرض المقصود ويصح به
التقسيم الآتي .

(٢) الشرط بضم أوله وفتح ثانيه : جمع شرطي كتركى وبكهنى : طائفة من أعوان الولاية سموا بذلك
لأنهم أعلوا أنفسهم بعلامات يعرفون بها .

وإيجاز قصير ، وهو تكثير المعنى وتقليل اللفاظ ، كقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مما جمع فيه شرائط الرسالة : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) وسميع أعرابي رجلا يتلوها فسجد وقال : سجدت لفصاحته ، ذكره أبو عبيد . وقوله تعالى مما جمع فيه مكارم الأخلاق : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وقوله تعالى : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُوبِي مُسْلِمِينَ) فجمع في ثلاث كلمات بين العنوان والكتاب والحاجة ، وقوله تعالى : (قَالَتْ تَمَلَّهْ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ لَا يُحِيطَ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فجمع في هذا على لسان التلمذة بين النداء والتنبيه والأمر والنهي والتحذير والتخصيص والعموم والإشارة والإعذار ، ونظير ذلك ما حكي عن الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم فقال لها : قاتلك الله ، ما أفصحك ! فقالت : أو بعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي آلِمْ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

١٠

ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) قال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفلهُ لمُغْدِق ، وإن أعلاه لمُثَمِّر ، ما يقول هذا بشر .

١٥

(١) في الأصل : « والنص » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يستفاد من الكشف ، والنهي في هذه الآية قوله تعالى : (لا يحطمنكم) .

(٢) في الأصل : (إن له حلاوة) بدون لام ، وما أثبتناه عن الشفاء ج ١ ص ٢٢٠ ط الآستانة والطلاوة بضم الطاء وفتحها : الرونق والحسن .

٢٠

(٣) كذا في الأصل وفي بعض كتب التفسير ، ومعناه الكثير الماء ، وفي رواية : (لغدق) كما في سيرة ابن هشام . والغدق بكسر الدال : الريان الندي .

وسمع آخر رجلا يقرأ : ﴿ فَلَمَّا أَسْتَبَسُّوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان أسم جامع لكل ما كشف لك من قناع المعنى ، وهتك الحجاب عن الضمير ، حتى يفيض السامع إلى حقيقة اللفظ ويهجم على محصولة كائنا ما كان .

وقيل لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون اللفظ محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سليما من التكلف ، بعيدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأمل . وقال آخر : خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقية ، وموجزا ليخفف على اللسان تعاهده .

وقال أعرابي : البلاغة التقرب من معنى البغية ، والتبعد من وحشي الكلام وقرب المأخذ ، وإيجاز في صواب ، وقصد إلى المحجة ، وحسن الاستعارة . قال على رضي الله عنه : البلاغة الإفصاح عن حكمة مستغلقة^(١) ، وإبانة علم مشكلي .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة إيضاح المتبسات ، وكشف عورات الجهالات ، بأحسن ما يمكن من العبارات .

وأما الفصاحة - فهي مأخوذة من قولهم : أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة . وقالوا : لا يسمى الفصيح فصيحاً حتى تلخص لغته عن اللكنة الأعجمية ولا توجد الفصاحة إلا في العرب . وعلماء العرب يزعمون أن الفصاحة

في الألفاظ ، والبلاغة في المعاني ، ويستدلون بقولهم : لفظ فصيح ، ومعنى بليغ .

(١) في الأصل : « متغلقة » ولم نجد في لدينا من كتب اللغة .

ومن الناس من استعمل الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد في الألفاظ والمعاني والأكثرون عليه .

ذكر صفة البلاغة

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيبك ؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول ؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معشر النبيين بكاء » — أى قليلو الكلام ، وهو جمع بكى — وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن إيفاهم ؛ قال : نعم ؛ قال : إناك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسنة رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالمواعظ الناطقة عن الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب .

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الوصل من الفصل . وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : ألا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل .

(١) هو حفص بن سالم كما في زهر الآداب . ج ١ ص ٩٤ ط المطبعة الرحمانية .

(٢) كذا في الأصل . ولم تقف على هذه الرواية فيما لدينا من كتب الحديث ولا غيرها ، ونصه

في كتاب النهاية لأن الأثير " نحن معشر الانبياء فينا بكاء " وقال في تفسير البكاء بفتح الباء : أى قلة الكلام إلا فيما يحتاج اليه ، يقال : بكأت الناقة والشاة إذا قل لهنما فهى بكى . وبكينة .

وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قُرْب طَرَفَاهُ ، وبعْد منتهاه .
وقيل لبعض البلغاء : من البليغ ؟ قال : الذى إذا قال أسرع ، وإذا أسرع أبدع
وإذا أبدع حرك كل نفس بما أودع .

وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه الى قلبك أسبق من
لفظه الى سمعك .

وسأل معاوية ^(١) صحاراً العبدى : ما هذه البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ
وتصيب فلا تخطئ ^(٢) .

وقال الفضل : قلت لأعرابى : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز فى غير عجز
والإطناب فى غير خطل .

وقال قدامة : البلاغة ثلاثة مذاهب : المساواة وهو مطابقة اللفظ المعنى لا زائدا
ولا ناقصا ، والإشارة وهو أن يكون اللفظ كاللحمة الدالة ، والدليل وهو إعادة
الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، ليظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه .
قال بعض الشعراء :

يَكْفَى قَلِيلَ كَلَامِهِ وَكَثِيرَهُ * بَيْتٌ إِذَا طَالَ النَّضَالُ مَصِيبُ

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد : البلاغة تكون على أربعة
أوجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدلالة ، وكل وجه منها له حظ من البلاغة
والبيان ، وموضع لا يجوز فيه غيره ، ورُبَّ إشارة أبلغ من لفظ .

(١) فى الأصل : (لطهار العبدى) وهو خطأ من النسخ ، والتعريب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤ ط
المطبعة العثمانية . (٢) كذا فى الأصل ؛ وقد وردت هذه القصة فى البيان والتبيين ح ١ ص ٤٤ ط
مطبعة الفتوح الأدبية أكمل ما هنا وأكثر تفصيلا ؛ ولعل المؤلف اختصرها تبعاً للعقد الفريد لابن عبد ربه
وجريا على عادته فى هذا الكتاب من اختصار القصص والرسائل بقدر المستطاع ، ولم يرد إيرادها
فى حواشى الكتاب لطولها .

وقال رجل للعَتَابِيَّ : ما البلاغة ؟ قال : كُلُّ ما أبلغك حاجتك ، وأفهمك معناه
بلا إعادة ولا حُبْسَةٍ ولا أَسْتَعَانَةٍ فهو بليغ ؛ قالوا : قد فهمنا الإعادة والحُبْسَةَ ، فما معنى
الاستعانة ؟ قال : أن يقول عند مقاطع الكلام : إسمع مني ، وأفهم عني ، أو يمسح
عُنُونَهُ ^(١) ، أو يقتل أصابعه ، أو يكثر التفاته ، أو يسعل من غير سُعلة ، أو ينهر في كلامه
قال بعض الشعراء :

مليءٌ يَبْهَرُ والتفاتٍ وسُـمُـلَةٍ * ومَسْحَةٍ عُنُونٍ وفيل الأصابع ^(٢)

ومن كلام أحمد بن إسماعيل الكاتب المعروف بنطاحة ، قال : البليغ من عرف
السقيم من المعتل ، والمقيد من المطلق ، والمشارك من المفرد ، والمنصوص من
المتأول ، والإيماء من الإيحاء ، والفصل من الوصل ، والتلويح من التصريح .

ومن أمثالهم في البلاغة قولهم : يُقَلُّ الحَرْزُ وَيَطْبُقُ المَفْصَلُ ^(٣) . وذلك
أنهم شبهوا البليغ الموجز الذي يُقَلُّ الكلام ويصيب نصوص المعاني بالجزار الرقيق
الذي يقل حَزُّ اللحم ويصيب مفاصله ؛ وقولهم : يضع الهناء مواضع الثقب ، أى لا يتكلم ^(٤)
إلا فيما يجب الكلام فيه . والهناء : القِطْران . والثقب : الحَرْب . وقولهم : قرطس ^(٥)
فلان فأصاب الغرّة ، وأصاب عين القرطاس . كلُّ هذه أمثال للصيب في كلامه
الموجز في لفظه .

(١) هو ما نبت على الذقن من الشعر وتحتة سفلا ، أو هو ما فضل من الخبة بعد العارضين من باطنهما .
(٢) في الأصل : (يَبْهَرُ) بياء موحدة بعدها تاء مثناة ؛ ولم نجد فيها بين أيدينا من كتب اللغة من معانيه
ما يناسب المقام ، ولعله تحريف صوابه ما اثبتنا كما في العقد الفريد . وينهر : مطاوع بهره الحمل يهره : أوقع عليه
الهر بضم ، الباء وهوتاوع النفس من الإعياء . (٣) في الأصل : (نطاحة) بنون بعد ألف ، وهو
خطأ من الناصح ، والتصويب عن كتاب الوافي ، ومعجم الأدباء ج ١ ص ٣٧٧ ط مطبعة هندية وهو أحمد
ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحبيب أبو علي الكاتب الأنباري . (٤) في البيان والتبيين : (الحز) .
(٥) في الأصل : « من » والمقام يقتضي الباء كما اثبتنا .

(٦) يقال : قرطس فلان إذا رمى فأصاب القرطاس ، ويقال للرمية : قرطسة .

(٧) هو كل أديم ينصب للنضال ؛ وفيه خمس لغات : تثليث القاف ، وكجفر ، وكدرهم .

فصول من البلاغة

قيل : لما قدم قُتَيْبَةُ بن مسلم نُرَاسَانَ واليا عليها ، قال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن حازم فليَنْبِذْهُ ، ومن كان في فيه فليَلْفِظْهُ ، ومن كان في صدره فليَنْفُثْهُ . فمَجِبَ الناس من حُسن ما فَصَّلَ .

- وكتب المعتصم إلى ملك الروم جوابا عن كتاب تهذّده فيه : الجواب ما ترى لا ما تسمع (١) وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارُ) .

وقيل لأبي السَّمَالِ الأَسَدِيُّ أيام معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : تركتهم بين مظلوم لا ينتصف ، وظالم لا ينتهى . وقيل لشيب بن شبة عند باب الرشيد : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا .

- ١٠ وقال حَسَّانُ بن ثابت في عبد الله بن عباس رضى الله عنهم :

(٣) إذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فضلا

كنى وشفى ما فى النفوس فلم يدع * لذى إربة فى القول جدا ولا هزلا

- قال سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب ؛ البلاغة ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة ؛ أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظه ؛ خير الكلام ما قل وجل ، ودل ولم يُملّ ؛ خير الكلام ما كان لفظه فخلا ، ومعناه بكرا .

١٥

(١) الكافر بالإفراد قراءة الحرمين وأبي عمرو كما فى تفسير الألوسى .

(٢) فى الأصل : « ابن المباك الأسدى » ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من المطان ، ولعله تحريف صوابه ما اثبتناه كما فى شرح القاموس والشعر والشعراء فى ترجمة النجاشي ؛ وفى المشتبه للذهبي : (أبو سهل) بدون تعريف .

- (٣) كذا فى الأصل بالضاد المعجمة . وفى رواية (فضلا) بالصاد المهملة كما فى ديوان الشاعر واليهان والتبيين ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

٢٠

وقال ابن المعتز : البلاغة أن تبلغ المعنى ولم يُطل سَفَرَ الكلام ؛ خير الكلام ما أسفر عن الحاجة ؛ أبلغ الكلام ما يؤنس مَسْمَعَهُ ، ويؤنس مَصْنِعَهُ^(١) ؛ أبلغ الكلام ما حُسِّنَ إيجازه ، وقُلَّ مجازُه ، وكثُرَ إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه ؛ البلاغة ما أشار إليه البحتريُّ حيث قال :

وركن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

جمل من بلاغات العجم وحكمها

قال أبرويزُ لكتابه : إذا فكرت فلا تعجل ، وإذا كتبت فلا تستعِنْ بالفضول فإنها علاوةٌ على الكفاية ، ولا تقصُرْ عن التحقيق فإنها هُجْنةٌ في المقالة ، ولا تأمِسْ كلاماً بكلام ، ولا تباعدتْ معنى عن معنى ، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول . ووافق كلامه قولُ ابن المعتز : ما رأيت بليفاً إلا رأيت له في المعاني إطالةً وفي الألفاظ نقصيراً . وهذا حثٌّ على الإيجاز . وقال أبرويزُ أيضاً لكتابه : اعلم أن دعائم المقالات أربع إن التمس إليها خامسةً لم توجد ، وإن نقص منها واحدةً لم تتمَّ وهي : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرُك عن الشيء ؛ فإذا طلبتَ فأنجح ، وإذا سألتَ فوضح ، وإذا أمرتَ فأحكم ، وإذا أخبرتَ فحقق .

وقال بهرام جور : الحُكْم ميزان الله في الأرض . ووافق ذلك قولُ الله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ وقال أنوشروان لابنه هُرْمُز : لا يكون عندك لعمل البر غايةٌ في الكثرة ، ولا لعمل الإثم غايةٌ في القلة . ووافق من كلام العرب قولُ الأفوه :

والخير تزداد منه ما لقيت به * والشر يكفيك منه قلما زاد

(١) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « و يؤنس مصيغه » وهو تحريف ، والتصويب عن زهر الآداب . يريد وصف الكلام بأنه عزيز نادر ، فالذي يضع منه ويفوت يؤنس طالبه من أن يجد مثله .
(٢) كذا في الأصل . وكأنه يريد : إن التمس ضمَّ خامسة إليها . وفي رواية : « لها » .

وقال أزدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت مَعْتَبَتُهُ ، وَخَشِ حِرْصُهُ ، ومن خَشِ حِرْصَهُ ذَلَّتْ نَفْسُهُ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْحَسَدُ ، ومن غَلَبَ عَلَيْهِ الْحَسَدُ لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه ، حزينا على ما لا يناله . وقال : من شغل نفسه بالمتى لم يَحُلْ قلبه من الأسى .

- وقال بعضهم : الحقوق أربعة : حق لله ، وقضاؤه الرضا بقضائه ، والعمل بطاعته ، وإكرام أوليائه ؛ وحق لنفسك ، وقضاؤه تعهدها بما يصلحها ويصحها ويحسم مواد الأذى عنها ؛ وحق للناس ، وقضاؤه عمومهم بالمودة ، ثم تخصيص كل أمرئ منهم بالتوقير والتفضيل والصلة ؛ وحق للسلطان ، وقضاؤه تعريفه بما خفي عليه من منفعة رعية ، وجهاد عدو ، وعمارة بلد ، وسد ثغر . وقال بُزْجَمُهر :
- إلزام الجهول المجمة يسير ، وإقراره بها عسير .

١٠

[صفة الكاتب^(١) وما ينبغي أن يأخذ به نفسه

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة وخفة اللهازم^(٢) ، وكافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل وخطف الإشارة ، وملاحاة الزى . وقال : من كمال آلة الكاتب أن يكون بهي^(٣) الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك مستقر^(٣) المركب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية

١٥

(١) موضع هذه العبارة مطعوس بالأصل ، ولعل ما أمثناه يطابق ما يأتي في أول الفصل .

(٢) اللهازم : أصول الحنك ، واحده لزمة . يريد بجحفها قلة الشعر النابت عليها بدليل ما يعده .

(٣) اسم مفعول من قولهم : فلان يستقره الأفراس ، أى يستكرها .

٢٠

عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة .
قال بعض الشعراء :

وشمول كأنما اعتصروها * من معاني شمائل الكتاب
هذا ما قيل في صفة الكاتب .



وأما ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه ، فقد قال إبراهيم الشيباني :
أول ذلك حسن الخط الذي هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحى
الفكر ، وسلاح المعرفة ، وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم ^(١) على بُعد المسافة
ومستودع السر ، وديوان الأمور .

وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ : إنه الخط الحسن . ١٠
وقد اختلف الكتاب في نقط الخط وشكله ، فمنهم من كرهه
قال سعيد بن حميد الكاتب :

لأن يُشكَلَ الحرف على القارئ أحب إلى من أن يعاب الكاتب بالشكل .
وعرض خط على عبد الله بن طاهر فقال : ما أحسنه لولا أنه أكثر شؤنيته ^(٢)
ونظر محمد بن عباد إلى أبي عبيد وهو يقيّد البسملة فقال : لو عرفته ما شكته . ١٥
ومنهم من حمده فقال : حلّوا عواطل الكتب بالتقييد ، وحصّنها من شبه
التصحيف والتحريف .

وقيل : إجماع الكتب يمنع من استعجامها ، وشكلها يصونها عن إشكالها ^(٣) .

(١) في الأصل : (محاذيهم) وهو تحريف ، والنصوب عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٦ ط دار الكتب

المصرية . (٢) الشؤنيّة والشينين : الحبة السوداء ، وقيل هو فارسي الأصل . شبه نقط الحروف به . ٢٠

(٣) في الأصل : (استعجامها) بالباء ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه المقام .

قال الشاعر^(١) :

وكانَ أَحرفَ خطه شَجَرٌ * والشكلُ في أغصانه ثَمَرُه^(٢)
^(٣)



وأما ما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب والكتاب .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحا .

وقال : حسن الخط إحدى البلاغتين .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لسان السيد . وقال جعفر بن يحيى : الخط

سِمَةُ^(٤) الحكمة ، به تُفَصَّلُ شذورها ، وَيَنْتَظِمُ منشورها ، وقال أبو هلال العسكري :

الكَتَبُ عَقْلُ شواردِ الكَلَمِ * والخطُ خِيْطُ في يدِ الحَكَمِ

والخطُ نَظْمٌ كُلُّ مُتَنَثِرٍ * منها وَفَصَّلٌ كُلُّ مُشْتَظَمٍ

والسيفُ وهو بحيثُ تعرفه * فرضٌ عليه عبادةُ القلمِ .

وقد اختلف الناس في الخط واللفظ ، فقال بعضهم : الخط أفضل من اللفظ

لأن اللفظ يُفْهَمُ الحاضرَ ، والخطُ يُفْهَمُ الحاضرَ والغائبَ .

قالوا : ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل فيه واحدٌ ، كاختلاف صور

الناس مع اجتماعهم في الصبغة . قال الصولي^(٥) : سئل بعض الكتاب عن الخط متى

(١) هو أحمد بن اسماعيل نطاعة ، كما في أدب الكتاب .

(٢) في أدب الكتاب : « أضعافها » .

(٣) في الأصل : (ثمر) بدون هاء الصمية ، والصواب اثباتها كما في أدب الكتاب ليوافق البيت قبله

وهو : مستودع قرطاسه حكما * كالروض بين يته زهره

(٤) السمت بالهمزة : خيط النظم ، وجمعه سموط .

(٥) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول ، وصول هذا رجل من الأتراك

اليه ينسب أبو بكر المتقدم لا إلى صول البلد المعروف .

• يستحق أن يوصف بالجوْدَةِ ؟ قال : اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ؛
 واستقامت سطورُه ، وضاهى صعوده حدوره ؛ وتفتحت عيونه ، ولم تستبه راؤه ونونه ؛
 وأشرق قرطاسُه ، وأظلمت أنقاسُه^(١) ، ولم تختلف أجاسُه ؛ وأسرع الى العيون تصوْرُه ،
 وإلى القلوب ثمرُه^(٢) ؛ وقُدّرت فصولُه ، [وَأندجت وُصولُه^(٣) ، وتناسَبَ دقيقُه وجليلُه] ؛
 وتساوت أطنابُه ، وأستدارت أهدابُه ؛ وخرج عن [نَمَطِ^(٤) الوراقين] ، وبعد عن تصنُّع
 المحزّرين ؛ [وقام لكتابه مقام النسبة والحلية] وكان حينئذ كما قلتُ في صفة الخطّ :
 ٥

اذا ما تخلّل قرطاسه * وساوره القلم الأرقش^(٦)

تضمّن من خطّه حُلّة * كشّل البدانير أو أنقش

• حروف تكون لعين الكليل * نشاطا ويقرؤها الأخفش^(٧)

وقال ابن المعتزّ :

١٠

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه * نُفّتح نوراً أو تنظّم جوهرها

وقيل لبعضهم : كيف رأيت إبراهيم الصّوليّ ؟ فقال :

يؤلّف اللؤلؤ المنشورَ منطّقه * وينظّم الدرّ بالأقلام في الكتب

(١) جمع نفس بالكسر ، وهو المداد .

(٢) في الأصل : (ثمره) ولم نجد في لدينا من كتب اللغة بالمعنى المناسب لما هنا ، وما أثبتناه عن
 أدب الكتاب ص ٥٠ ط المطبعة السلفية .

١٥

(٣) موضع هذين الفقرتين مطموس بالأصل ، وما نقلناه عن أدب الكتاب .

(٤) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل لتعذر قراءته ، وما نقلناه عن أدب الكتاب .

(٥) الزيادة عن أدب الكتاب .

(٦) الأرقش من الأفاعى : ما فيه نقط سواد وبياض ، شبه به القلم في قوّة فعله وبلوغ أثره ؛ أو هو
 من رقص الكتاب اذا كتبه وزينه .

٢٠

(٧) الأخفش : الضعيف البصر ، وهو من باب فرح .

وقال آخر^(١):

أضْحَكْتَ قِرطَاسَكَ عَنْ جَنَّةٍ * أَشْجَارُهَا مِنْ حَكَمٍ مِثْمَرِهِ
مَسْوَدَةٌ سَطْحًا وَمِیْضَةٌ * أَرْضًا كَمِثْلِ اللَّيْلَةِ الْمُقْمَرَةِ^(٢)

وقال آخر:

كُنْتُ فَلَوْلَا أَنْ هَذَا مُحَلَّلٌ * وَذَاكَ حَرَامٌ قَسْتُ خَطِّكَ بِالسَّحَرِ
فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي أَزْهَرُ نَحْمِيلَةٍ * يَطْرُسُكَ أَمْ دَرَّ يُلُوحٌ عَلَى نَحْرِ
فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صَنَعُ سَحَابَةٍ * وَإِنْ كَانَ دَرًّا فَهُوَ مِنْ لُحْجِ الْبَحْرِ

وقال آخر:

وَكَاتِبٍ يَرْقُمُ فِي طَرِيسِهِ * رَوْضًا بِهِ تَرْتَعُ الْحَاظُهُ
فَالدَّرُ مَا تَسْطِيزُ أَقْلَامُهُ * وَالسَّحَرُ مَا تَنْثُرُ الْفَاظُهُ

وقال آخر:

وَشَادِينَ مِنْ بَنَى الْكُتَّابِ مُقْتَدِر * عَلَى الْبَلَاغَةِ أَحْلَى النَّاسِ إِنْشَاءً
فَلَا يَجَارِيهِ فِي مِيدَانِهِ أَحَدٌ * يَرِيكَ سَحَابَانِ فِي الْإِنْشَاءِ إِنْ شَاءَ

وقال آخر:

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمَلَهَا * أَنْسَاكَ كُلَّ كَمَى هَزَّ عَامِلَهُ^(٣)
وَإِنْ أَمَرَ عَلَى رِقِّ أَنْعَامِهِ * أَقْتَرُ بِالرِّقِّ كُتَّابُ الْأَنْعَامِ لَهُ^(٤)



(١) هو أحمد بن إسماعيل المعروف بنطاحه كما في أدب الكاتب .

(٢) في أدب الكاتب : « أيضا » .

(٣) عامل الرمح وعاملته : صدره .

(٤) الصحيفة البيضاء ، ووجد رفيق يكتب فيه .

وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ :

واذا نمنمت بنائك خطًا * مُعْرِبًا عن بلاغة وسَدَادِ
عَجِبَ النَّاسُ من بياض معانٍ * تُجْتَنَى من سوادِ ذاك المِدادِ^(١)

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة :

لا يُخْطِرُ الفِكْرَ في كتابته * كَأَنَّ أَقْلَامَهُ لَهَا خَاطِرُ
الْقَوْلُ والفعل يحريان معا * لا أَوَّلُ فيهما ولا آخِرُ

قَالَ أَبُو عِثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاهِظِ : الْكَتَابُ نَعَمُ الذَّنْحُ وَالْعُقْدَةُ ، وَنَعَمُ الْجَلِيسُ
وَالْعَمْدَةُ ، وَنَعَمُ النَّشْرَةُ وَالنَّزْهَةُ ، وَنَعَمُ الْمُسْتَعْلُ وَالْحِرْفَةُ ، وَنَعَمُ الْأُنَيْسُ سَاعَةُ الْوَحْدَةِ
وَنَعَمُ الْمَعْرِفَةُ بِلَادِ الْغُرْبَةِ ، وَنَعَمُ الْقَرِينُ وَالْدَّخِيلُ ، وَالْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ ، وَالْكَتَابُ وَعَاءُ
مِلْءٍ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشْيَ ظَرْفًا ، وَإِنَاءٌ شَيْنٌ مُزَاحًا وَجِدًا ، إِنْ شِئْتَ كَانَ أَيْنَ مِنْ
سُجْبَانٍ وَائِلٍ ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، وَإِنْ شِئْتَ ضَحَكْتَ مِنْ نَوَادِرِهِ
وَعَجِبْتَ مِنْ غَرَائِبِ فَوَائِدِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَلْهَتَكَ نَوَادِرُهُ ، وَإِنْ شِئْتَ شَجَعَتْكَ مَوَاعِظُهُ
وَمَنْ لَكَ بَوَاعِظُ مُلِهِ ، وَبَزَاجِرُ مُعْزِرٍ ، وَبِنَاسِكَ فَاتِكَ ، وَنَاطِقِي أَنْحَرَسَ ، وَبِيارِدِ حَارِ
وَمَنْ لَكَ بِطَبِيبِ أَعْرَابِيٍّ ، وَبِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَفَارَسِيٍّ يُونَانِيٍّ ، وَبِقَدِيمٍ مُوَلَّدٍ ، وَبِمِيتٍ
مُتَمِّعٍ ، وَمَنْ لَكَ بَشْيَءٌ يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ

(١) كَذَا فِي يَتِيْمَةِ الدَّهْرِ ج ١ ص ٢٢٠ وَ ٢٢١ ط المطبعة الحفنية . وفي الأصل : « المشوق » ،
وهو لقب الشاعر ، قال في اليتيمة : ولم أتُحَقِّقْ اسمه . والصواب في نسبة هذين البيتين أنهما لعبد المحسن بن
محمد الصوري كما في اليتيمة ج ١ ص ٢٣٥ .

(٢) هِيَ كُلُّ مَا يَسْتَوْتِقُ الْإِنْسَانُ بِهِ لِنَفْسِهِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعُقْدَةِ بِمَعْنَى الْحَاطِطِ الْكَثِيرِ النَّخْلِ
وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا جَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْكَمَ أَمْرَهُ عِنْدَ نَفْسِهِ وَاسْتَوْتِقَ مِنْهُ .

(٣) النَّشْرَةُ بِالضَّمِّ : الرِّقِيعَةُ الَّتِي يَمَاجُ بِهَا الْمَجْنُونُ وَالْمَرِيضُ ، سَمِيتُ نَشْرَةً لِأَنَّهُ يَنْشُرُ بِهَا عَنْهُ مَا كَانَ
خَاصَرَهُ مِنَ الدَّاءِ ، أَيْ يَكْشِفُ وَيَزِيلُ .

(٤) فِي الْمَحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ : (وَرُومِيٍّ) بِاسْقَاطِ الْبَاءِ ، وَلَعَلَّهُ أَظْهَرَ .

والرفيع والوضيع، والغث والسمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده، وبعد: فتي رأيت بستانا يُحَلُّ في رُدن؟ وروضة تُقَلَّب في حجر؟ ينطق عن الموتى، ويطرح كلام الأحياء، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، «آمن من الأرض» وأكتم للسر من صاحب السر، وأضبط لحفظ الودعة من أرباب الودعة، وأحضر لما استُحْفِظ من الأميين، ومن الأعراب المعريين، بل من الصّبيان قبل آعتراض الأشغال، ومن العُميّان قبل التمتع بتمييز الأشخاص، حين العناية تامة لم تُنْقَض والأذهان فارغة لم تُقَسَّم، والإرادات وافرة لم تستعَب، والطينة لينة فهي أَقْبَلُ ما تَكُن للطايِّع، والقضيب رطب فهو أقرب ما يكون للعُلوق، حين هذه الخصال لم يُلَبَس جديدها، ولم تنفترق قواها، وكانت كقول الشاعر:

أنا نى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبى فارغا فتمكنا

وقال ذو الرمة لعيسى بن عمر: أُكْتُبُ شعري، فالكتاب أعجب إلى من الحفظ لأن الأعرابي يَنْسى الكلمة قد تعب في طلبها يوما أو ليلة، فيضع موضعها كلمة في وزنها لم يَنْشِدها الناس، والكتاب لا يَنْسى ولا يبدل كلاما بكلام. قال: ولا أعلم جارا أبر، ولا خليطا أنصف، ولا رفيقا أطوع، ولا معلما أخضع، ولا صاحبا أظهر كفاية، ولا أقلّ خيانة، ولا أقلّ إرباما وإملالا، ولا أقلّ خلافا وإجراما، ولا أقلّ غيبة، ولا أكثر أعجوبة وتصرفا، ولا أقلّ صلفاً وتكلفاً، ولا أبعد من صراء، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف عن قتال من كتاب، ولا أعلم شجرة أطول عمرا، ولا أجمع أمرا، ولا أطيب ثمرة، ولا أقرب مجنّى

(١) الرذن بالضم: أصل الكم جمعه أردان. (٢) كذا في الأصل. وامله: «تشعب».

(٣) لم ينشدها الناس، يريد أن الكلمة التي يضعها لم تسمع في الناس ولم يرووها، ولم يكن قبل قد أنشدها إياهم. وفي رواية: «ثم ينشدها» بالياء المثلثة.

(٤) كذا في الأصل. ولم ترد هذه العبارة ضمن كلام الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد.

ولا أسرع إدراكا، ولا أوجد في كل إبان^(١) من كتاب؛ ولا أعلم نتاجا في حدائمه ستة وقرب ميلاده، وحضور ذهنه، وإمكان موجوده، يجمع من التدابير العجيبة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذنان اللطيفة، ومن الأخبار عن القرون الماضية، والبلاد المترامية، والأمثال السائرة، والأهم البائدة ما يجمع الكتاب؛ وقد قال الله تبارك اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ فوصف نفسه تعالى جده بأن علم بالقلم، كما وصف به نفسه بالكرم، واعتد بذلك من نعمه العظام، وفي أياديه الحسام.



ذكر شيء مما قيل في آلات الكتابة

قال ابراهيم بن محمد الشيباني فيما يحتاج إليه الكاتب :

من ذلك أن يصلح الكاتب آتله التي لا بد منها، وأداته التي لا تتم صناعته إلا بها، وهي دواته، فلينعم^(٢) ربه وإصلاحها، ثم يتخير من أنابيب القصب أقله عقدا^(٣) وأكثفه لحما، وأصلبه قشرا، وأعدله استواءا، ويجعل لقرطاسه سكينًا حادًا لتكون عونًا له على برى أقلامه، ويبريها من جهة نبات القصب، فإن محل القلم من الكاتب كمثل الرمح من الفارس. وقد خص الفضلاء القلم بأوصاف كثيرة، ومزايا خطيرة فلندكر منها طرفًا.

(١) إبان كل شيء : وقته وحينه الذي يكون فيه .

(٢) أنعم العمل : أجاده ، يقال : اذا عملت عملاً فأنعمه .

(٣) في الأصل : من (الأنابيب) بزيادة «ال» والصواب حذفها كما تقتضيه القواعد .

ذكر شيء مما قيل في القلم

قال الله تعالى : ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ وقال : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

وقال الحكماء : القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسر القلوب .

- وقالوا : عقول الرجال تحت أسنة أقلامها . بنوء الأقلام يصوب غيث الحكمة .^(١)
القلم صائغ الكلام ، يُفرغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما يسبكه اللب .^(٢)

وقال جعفر بن يحيى : لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم .

وقال المأمون : لله در القلم كيف يحك وشى الملكة ! .

وقال ثُمَامَةُ بن أَشْرَس : ما أثرت الأقلام ، لم تطمع في درسه الأيام ؛ بالأقلام

- تُدَبَّرُ الأَقَالِمُ . كتاب المرء عنوان عقله ، ولسان فضله . عقل الكاتب في قلمه .

وقال ابن المعتز : القلم مُجَهَّزٌ لجيوش الكلام ، يَخْدِمُ الإرادة كأنه يَقْبَلُ بساط

سلطان ، أو يَفْتَحُ نَوَارِ بستان .

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جَوْدَةُ برى القلم

وإِطَالَةُ جِلْفَتِهِ ، وَتَحْرِيفُ قَطْنِهِ ، وَحُسْنُ التَّائِي لَامْتِطَاءِ الْأَنَامِلِ ، وإِرسَالُ المَدَّةِ بعد

- إِشْبَاعِ الحُرُوفِ ، وَالتَّحَرُّزُ عند فراغها من الكسوف ، وَتَرْكُ الشَّكْلِ على الخطأ والإجماع على التصحيح .

(١) النوء : النجم إذا مال للغيب ، جمعه أنواء ونوآن كعبد وعبدان . أو هو سقوط نجم من المنازل

في المغرب مع الفجر وطول رقبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تعزف الأمطار والرياح والحرو والبرد إلى ذلك .

- (٢) في الأصل : « يسيله » ، وهو يحريف ، والتصويب عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٣٧ ط

دار الكتب المصرية ؛ وقائل هذه الكلمة أبو دلف المجلّي .

(٣) الحلقة بكسر الجيم وتفتح وسكون اللام من القلم : ما بين مبراه إلى سنة .

وقال العتّابي : سألتني الأصمعيُّ في دار الرشيد : أيّ الأنايب للكتابة أصْلَحُ وعليها أَصْبَرُ؟ فقلت له : ما نَشَفَ بالهجير ماؤه ، وسَرَه من تلويحه غشاؤه ؛ من التَّبريةِ الفشور ، الدَّريةِ الظهور ، الفضيّة الكسور ؛ قال : فأى نوع من البرى أصوبُ وأكْتَبُ؟ فقلت : البرية المستوية القَطّة التي عن يمين سنّها برية تؤمن معها الحجة عند المدة والمطّة ، للهواء في شقّها فتيق ، والريحُ في جوفها خريقٌ ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتّابي : فبقى الأصمعيُّ شاخصاً إلى ضاحكاً ، لا يُجيب مسألة ولا جواباً .

وكتب عليّ بن الأزهر إلى صديق له يستدعي منه أقلاماً : أما بعد : فإنما على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الأسم ، ولزمت لزوم الوسم ^(٣) ، خلّت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ؛ وجدنا الأفلام الصُّحريّة أجزى في الكواغد وأمرّ في الجلود ، كما أن البحريّة منها أسلسُ في القراطيس ، وألينُ في المعاطف وأشدّ تعريفاً لخط فيها ، ونحن في بلد قليل القصب رديئه ، وقد أحببتُ في أن نتقدّم في اختيار أقلام صُحريّة ، ونبتوق في آفتائها قبلك ، وتطلبها من مظاتها ومنابتها من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن نتيمن باختيارك منها الشديدة الصُّلبة ^(٩)

(١) في الأصل : (يشف) وهو تحريف ، والنصوب عن صبيح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ ط دار الكتب المصرية . (٢) يريد أنها تنفذ فيها وتخللها . (٣) الوسم : أثر الكيّ . (٤) الصُّحريّة بالضم نسبة إلى الصُّحرة ، وهي جوبة تنجاب وسط الحرة ، وتكون أرضاً لينة تطيف بها هجارة ، والجمع صحر .

(٥) واحده كَأَغَد بفتح الغين المعجمة : القرطاس ، وهو فارسيّ معرّب . (٦) في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ ط بولاق : (لتصريف) وكلاهما يستقيم به الكلام وإن اختلف المراد في كل من الروايتين . (٧) في الأصل : (تخيير) والمقام يقتضي ما أثبتنا كما في صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ والعقد الفريد . (٨) في العقد الفريد : (تأنيق) ومؤداهما واحد . (٩) في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ : (تيمم في اختيارك) الخ ، وهي أقرب بقرينة قوله بعد : « وان تقصد » .

(١)

النقية الجلود، القليلة الشحوم، الكثيرة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة المتحمّل
فإنها أبقى على الكتابة، وأبعد من الحفا، وأن تقصد بانتقائك للبراق القُضبان
المقومات المتون، المُلس المعافد، الصافية القشور، الطويلة الأنايب، البعيدة ما بين
الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكة يَبَسا وهي قائمة على
أصولها، لم تُعجل عن إبان ينعها، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء
وعَفْن الأنداء؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعاً رقيقاً، ثم عبات
منها خُزماً فيما يصونها من الأوعية، [ووجهتها مع من يؤدى الأمانة فى حراستها وحفظها
وإصالتها] وتكتب معها بعتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان، إن شاء الله تعالى .
وأهدى ابن الحرون إلى بعض إخوانه أفلاما وكتب إليه :



- ١٠ إنه لما كانت الكتابة — أبقاك الله — أعظم الأمور، وقوام الخلافة، وعمود المملكة
أتخفك من آلتها بما يخف حمله، وتثقل قيمته، ويعظم نفعه، ويحل خطره، وهي
أفلام من القصب النابت فى الصحراء الذى تَسِف بحرّ الهجير [فى قشره] مأوه، وستره
من تلويحه غشاؤه؛ فهى كاللآلى المكنونة فى الصدف، والأنوار المحجوبة فى السدف؛
تبرية القشور، دُرّية الظهور، فضية الكسور؛ قد كستها الطبيعة جوهرا كاللؤلؤ
المحبر، ورونقا كالديباج المنير .

١٥

(١) فى الأصل: (الاحراف) وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا كما فى صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ .

(٢) فى الأصل: (العاب) وفيه نقص وتحريف، والتصويب عن صبح الأعشى .

(٣) الخصر: البرد . (٤) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٤ ط بولاق .

(٥) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصمغ بن الحرون من أهل بغداد .

(٦) الكلمة عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٤٢ ط دار الكتب المصرية . (٧) السدف محركة :

ظلمة الليل . (٨) فى الأصل: (وفرد الديباج) الخ . وهو تحريف إذ لم نجد من معانى الفرند

ما يناسب السياق؛ وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ (٩) المتير كمظم : المعلم للمعلم .

ومن كتاب لأبي الخطاب الصابى — يصف فيه أقلاما أهداها فى جملة أصناف — جاء منه :

وأضفتُ إليها أقلاما سليمةً من المعايى؁ مبرأةً من المثالب؁ بجمّة المحاسن بعيدةً عن المطاعن؁ لم يُربها طول ولا قصر؁ ولم ينقصها ضعف ولا خور؁ ولم يشنّها لينٌ ولا رخاوة؁ ولم يعبها كرازة ولا قساوة؁ فهذه آخذةٌ^(٢) بالفضائل من جميع جهاتها؁ مستوفيةٌ للمادح بسائر صفاتها؁ صلبةٌ المعاجم؁ لينةٌ المقاطع؁ موفيةٌ القدود والألوان؁ محمودّةٌ المخبر والعيان؁ قد آستوى فى الملاسة خارجها وداخلها؁ وتناسب فى السلاسة عاليها وسافلها؁ نبتت بين الشمس والظل؁ واختلف عليها الحر والقر؁ فلنحها^(٣) وقدأنّ^(٤) الهواجر؁ وسفعها [سمائم] شهر ناجر؁ ووقدها الشفان^(٥) بصرده؁ وقذفها^(٦) الغام ببرده؁ وصابتها الأنواء بصيها؁ وآستهت عليها السحاب بشأيلها؁ فاستمرت^(٧) مرارها على إحكام؁ وآستحصد سخلها بالإبرام؁ جاءت شتى الشيات؁ متغايرة^(٨) الهيئات؁ متباينة الحال والبُلدان؁ تختلف بتباعد ديارها؁ وتأنف بكرم نجارها؁ فن أنايب ناسبت رماح الخط فى أجناسها؁ وشاكت الذهب فى ألوانها؁ وضاهت

(١) الكرازة والكروزة بضم الكاف فى الأخيرة : اليبس والانقباض .

(٢) فى صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ : (وهى آخذة) ولعله أنسب .

(٣) فى الأصل : (فلاخها) والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٤) التكلّة عن صبح الأعشى .

(٥) كل شهر فى صميم الحر اسمه ناجر؁ لأنّ الابل تغرقه؁ أى يشتدّ عطشها حتى تيبس جلودها .

(٦) الشفان : الريح الباردة مع المطر . والصد : البرد؁ وهو فارسي معرب .

(٧) واحده شؤبوب : وهو الدفعة من المطر .

(٨) الحبال المفتولة على أكثر من طاقة؁ واحده مرير ومريرة . شبه بها القصة فى استحكامها وقوتها .

(٩) هو الحبل الذى يفتل على قوة واحدة . والإبرام : فتلّه على طاقين .

(١٠) مختلّة الألوان والنقوش .

الحرير في لمعانها ؛ بطيئة الحفا ، نمرّة القوّى ؛ لا يُسْطَظِها القُطْ ، ولا يُسْعَثُ بها الخط ؛^(٤)
ومن مصرّية بيض ، كأنها [قُباطى مصر تقاء ، وغِرْقُ البَيض صفاء ؛ غذاها الصعيد من
ثراه بلّبه] وسقاها النيل من نيمره وعذبه ؛ بغاءت ملتئمة الأجزاء ، سليمة من الاتواء ؛
تستقيم شقوقها في أطوالها ، ولا تنكّب عن يمينها ولا شمالها ؛ تقترن بها صفراء كأنها
معها عقيان قرن بلجين ، أو ورق خلط بعين ؛ تختال في صُفر ملاحفها ، وتيس
في مُذهب مطارفها ؛ بلون غياب الشمس ، وصِبع ثياب الورس ، ومن منقوشة^(٧)
تروق العين ، وتونق النفس ؛ ويهدى حسنُها الأريحية إلى القلوب ، ويحلّ الطرب
لها حَبوة الحكيم اللبيب ؛ كأنها آخِلاف الزهر اللامع ، وأصناف الثمر البانع ؛
[ومن بحرية موشية اللَّيط^(٩) رائقة التخليط ؛ كأن داخلها قطرة دم ، أو حاشية رداء^(١٠)]

- ١٠ (١) في الأصل وفي صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٣ : (مضابطة) وهو خطأ من النسخ ولا معنى له
والنصوب عن زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحمانية . (٢) في زهر الآداب : « قوبة » .
(٣) في الأصل : « يشيطها » وهو تحريف ، ولم زمن معانيه ما يناسب المقام . والنصوب عن
زهر الآداب . (٤) يشعث : يفرق وينتشر . وعبارة زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحمانية
« ولا يشعب » بالباء الموحدة ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . (٥) الزيادة عن صبح الأعشى .
١٥ والقباطى بضم القاف وفتحها : ثياب روق بيضاء تصنع في مصر . واحده قبطية بضم القاف . والغرق كزبرج
والغرقى : القشرة الملتزمة ببياض البيض ، أو هو البياض الذى يؤكل . (٦) العقيان بالكسر :
ذهب ينبت في الأرض وليس مما يستذاب من الحجارة ، أو هو الذهب الخالص . والمجين بفتح الجيم :
الفضة مادامت في تراب معدنها ، وهو مصغر لا مكبر له كالكثير . والورق : الدراهم المضروبة ، وفيه لغات :
تثايت الزاء ، وكحل وكقفل . والعين : الدينار . (٧) المطارف : الأردية من الخرزوات
الأعلام ، واحده مطرف . (٨) الورس : شئ أصفر يخرج على الرمث بين آخر الصيف
وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لونه . أو هو نبات كالسمسم يزرع فيقو عشر سنين في الأرض ، فإذا جف
عند إدراكه تفتقت خرائطه فينفص وينفض منه الورس .

(٩) الزيادة عن صبح الأعشى . والليط بالكسر : قشر القصب ، واحده لطة ، أو هو اللون .

(١٠) في صبح الأعشى : « التخليط » والمعنى يستقيم على كل من الروايتين .

مُعَلَّم، وكَأَنَّ خَارِجَهَا أَرْقَمٌ، أَوْ مَتْنٌ وَادٌ مُنْفَعٌ، نَثَرْتُ أَلْوَانًا تُزْرَى بِوَرْدِ الْخُدُودِ، وَأَبَدْتُ قَامَاتٍ تُفْصِحُ بِأَوْدِ الْقُدُودِ .

وقد أكثر الشعراء القول في وصف القلم، فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :
 لك القلم الأعلى الذي بَشَّابته * تصاب من الأمر الكُلَى والمفاصلُ
 لُعَابِ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ * وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ
 لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا * بَأَنَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ
 فَصِيحٍ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ * وَأَعْجَمُ إِنِّ خَاطِبَتَهُ وَهُوَ رَاجِلِ
 إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغَتْ * عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ
 أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقَنَاءِ وَتَقَوَّضَتْ * لِنَجْوَاهِ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ
 إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ * أَعَالِيهِ فِي الْقِرطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلِ
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخَنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ * ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْإِنَامِلِ
 رَأَيْتُ جَالِسًا شَأْنُهُ وَهُوَ مَرَهَفٌ * ضَنَنِي وَسَمِينَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلِ
 وقال آخر:

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
 نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا * ما لم ينالوا بحمد المشرقيات
 وقال ابن المعتز :

قلم ما أراه أم فَلكَ يَجْرِي بِمَا شَاءَ قَاسِمٌ وَيَسِيرُ
 خَاشِعٌ فِي يَدَيْهِ يَلْتَمُّ قِرطًا * سَاكِمًا قَبْلَ الْبِسَاطِ شُكُورُ

(١) الأرى : غسل النحل، وأصله عمل النحل العسل، وسمى به الشهد كما سمي المكسوب كسبا .

واشتارته : استخرجه من القبة . (٢) هي ما عظم من سواق الأودية، واحدة شعبة .

(٣) كذا في الأصل . وفي رواية : (الذكى) والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) في أدب الكتاب ص ٨٥ ط السلفية : «ويدور» .

ولطيف المعنى جليل نحيف * وكبير الأفعال وهو صغير
 كم منايًا وكم عطايا وكم حنِف وعيش تَضُم تلك السطور
 نَقَشَتْ بالدجى نهارًا فما أدري أخطُ فيهن أم تصوّر
 (١)
 وقال محمد بن عليّ :

في كفه صارمٌ لانتَ مضاربه * يسوسنا رغبًا إن شاء أورهبا
 السيف والرح خُدام له أبدا * لا يبلغان له جِدًا ولا لعبا
 تجرى دماءُ الأعداى بين أسطره * ولا يُحس له صوت إذا ضربا
 فما رأيت مدادا قبل ذاك دما * ولا رأيت حساما قبل ذا قصبًا
 وقال ابن الروميّ :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكيّ * بأخوف من قلم الكاتب
 له شاهد إن تأمّلتَه * ظهرت على سره الغائب
 أداءُ المنية في جانيه * فمن مثله رهبةُ الراهب
 ألم ترفى صدره كاللسان * وفي الردف كالمرفف القاضب؟
 (٢)
 وقال الرقاء :

أخرسُ ينيك بإطرافه * عن كل ما شئت من الأمر
 يُذرى على قرطاسه دمعَه * يُبدي لنا السرّ وما يدري
 كعاشق أخفى هواه وقد * نمت عليه عبرةٌ تجرى
 تبصره في كل أحواله * عُريان يكسو الناس أو يُعري
 يرى أسيرا في دواة وقد * أطلق أقواما من الأسر

- (١) صوابه ، نسبة هذه الأبيات إلى أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، وهي من قصيدة وجه بها إلى أبي عليّ
 محمد بن عليّ كما في أدب الكتاب ص ٨٠ ط السلفية .
 (٢) هو أبو الحسن السريّ بن أحمد بن السريّ الكنديّ الرقاء الموصليّ الشاعر المعروف .

وقال آخر :

وذى عفاف راكع ساجد * أخو صلاح دمه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد فى خدمة البارى

وقال ابن الرومى :

إن يخدمُ القلمُ السيفُ الذى خضعت * له الرقابُ ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شئٌ يغالبه * مازال يتبع ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للأفلام مذبُرَيْت * أن السيوف لها مذ أرفقت خَدم
وقال أبو الطيب الأزدى :

قلمٌ قلمٌ أظفار العدى * وهو كالإصبع مقصوص الطُفُر
أشبه الحية حتى أنه * كلما عُمرَّ فى الأيدى قُصُر

وقال أبو الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وأستمر طاولى الكشح أحرَس ناطق * له زَمَلانٌ فى بطون المهارق .

(١١)

[ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الأمور الكلية^(٣)

قال شهاب الدين أبو النناء محمود بن سليمان الحلبي في كتابه «حسن التوسل»

فأقول ما يبدأ به من ذلك حفظ كتاب الله تعالى ، ومداومة قراءته ، وملازمة درسه

(١) فى الأصل : (إن يخدم السيف القلم) وهو غير مستقيم الوزن .

(٢) الزملان بفتح أوله وثانيه : مشى الدابة أو عدها كأنها تظلع من النشاط ، استعاره للقلم .

والمهارق : الصحف ، واحده مهرق بضم الميم ، وهو عَرَب .

(٣) هذه التكملة المحصورة بين مربعين لم ترد بالأصل ، وبعد مراجعة هذا الكلام فى مظانه رأينا أنه

منقول عن كتاب «حسن التوسل» فأثبتنا عنه هنا ما لا يستقيم الكلام بدونه ، والظاهر من قوله فإسبأنى :

قال فهذه أمور كلية الخ ، وقوله : وذكر فى كتابه جملا الخ أنه نبه على هذا النقل فى أوله .

وتدبر معانيه حتى لا يزال مصوراً في فكره ، دائراً على لسانه ، ممثلاً في قلبه ، ذاكر له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج الى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة به عليها ؛ وكفى بذلك معينا له في قصده ، ومغنياً له عن غيره ، قال الله تعالى : ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ؛

- وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم ومحاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه ، وعجز الإنس والجن عن الاتيان بسورة من مثله ؛

ومن ذلك أن سائلا قال لبعض العلماء : أين تجد في كتاب الله تعالى قولهم : الجار قبل الدار؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ فطلبت الجار قبل الدار ، ونظائر ذلك كثيرة . وأين قول العرب : « القتل أبقى للقتل » لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله عز وجل : ﴿ وَأَكْمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً ﴾ . وأكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يحوّل عن لفظه ، ولم يغيّر معناه .

- فمن ذلك ما روى في عهد أبي بكر رضى الله عنه : هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذلك ظني به ، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت بكم ، ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وروى أن عليا رضى الله عنه قال لأخيه بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية :

﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴾ .

وكتب في آخر كتاب الى معاوية : وقد علمت مواقع سيوفنا في جدك وخالك وأخيك ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وقول الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية : ﴿ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ ورؤى مثل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما . —

وكتب الحسن الى معاوية : أما بعد ، فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ورسولا الى الناس أجمعين ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الى المنصور في صدر كتاب لما جاز به : ﴿ طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ تَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ ﴾ الى قوله : ﴿ مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ . ونقص عليه المنصور في جوابه عن قوله : « إنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم » بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ .

ونقل عن الحسن البصري رحمه الله ما يدل على كراهية ذلك ، فقال حين بلغه أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية : أَنَسَىٰ نَفْسَهُ حِينَ كَتَبَ إِلَىٰ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ : بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فردّ عليهم ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ؟ واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره على الحجاج لأنه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز أن يستشهد به إلا فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله سبحانه وتعالى .

ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز إقامة الحجّة ، وقطع النزاع ، وارتغام الخصم كما روى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين رضى الله عنه من ذرية

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخى على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل ، وإلا قتلتك ؛ فقرا : ﴿ وَتِلْكَ مُجْتَمَعَاتُنَا هَآءِ أِبْرَاهِيمَ ﴾ الى قوله : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴾ وعيسى هو ابن بنته ؛ فأسكت الحجاج . وقد تقوم الآية الواحدة المشتبه بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة ، والأدلة القاطعة ؛

وأقرب ما اتفق من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب الى بغداد كتابا يعدد فيه مواقفه في إقامة دعوة بنى العباس بمصر ، فكتب جوابه بهذه الآية : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [

وكتب أمير المسلمين يعقوب بن عبد المؤمن الى الأذفونش^(١) ملك الفرنج جوابا عن كتابه اليه — وكان قد أبرق وأرعد فكتب في أعلاه — :

﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ يَجْنُوْنَ لِأَقْبَلْ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

ومما جوزوا الاستشهاد به ما لا يقصد به إلا التلويح الى الآية دون أطراد الكلام نحو قول القاضي الفاضل مما كتب به الى الخليفة عن الملك الناصر صلاح الدين في الاستصراخ [وتهويل أمر الفرنج^(٢)] : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ﴾ وهاهي في سبيلك مبذولة ، وأخى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبولة . وأما تفسير شيء من اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز ، وينبغي العدل عنه ما أمكن .

ويتلو ذلك الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية — صلوات الله وسلامه على قائلها — وخصوصا في السير والمغازي والأحكام ، والنظر في معانيها وغريبها وفصاحتها

(١) في الأصل : « الأذفونش » وهو تصحيف ، والتصويب عن وفيات الأعيان .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الوهابية .

وقفه ما لا بد من معرفته من أحكامها، ليحتج بها في مكان الحجّة، ويستدل بموضع الدليل، فإن الدليل على المقصد إذا استند إلى النصّ سلّم له، والفصاحة إذا طُلبت غايته فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم. وينبغي أن يراعى في الحلّ لفظ الحديث ما أمكن، وإلا فعناه.

ويتلو ذلك قراءة ما يتفق من كتب النحوي التي يحصل بها المقصود من معرفته العربية، فإنه لو أتى الكاتب من البلاغة بأنّ ما يكون ولحن ذهب محاسن ما أتى به وانهدمت طبقة كلامه، وألغى جميع [ما حسنه^(٢)]، ووقف به عند ما جهله.

ويتعلق بذلك [قراءة^(٣)] ما يتبها من مختصرات اللغة، كالصحيح، وكفاية المتحفظ وغير ذلك من كتب الألفاظ ليتسع عليه مجال العبارة، وينفتح له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه، ويضطر إلى نعته.

ويتصل بذلك حفظ خطب البلغاء من الصحابة وغيرهم، ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ومكاتباتهم، وما ادّعا كل منهم لنفسه أو لقومه، وما نقضه عليه خصمه، لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها، وتلقّي الحوادث بما شاكلها والافتدائ بطريقتهم من فلج على خصمه، واقتفاء آثار من اضطر إلى عذر، أو إبطال دعوى أو اثباتها، والأجوبة الدامغة، فتأمل في موضعه فإنك ستقف منه على ما استغنى به عن ذلك.

(١) كذا في الأصل. وعبارة حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الوهابية : «بمكان» الخ مع إسقاط قوله : « بها » ، وأهلها أقرب بقرينة ما بعدها .

(٢) وضع هذه العبارة مطموس بالأصل لتعذر قراءته ، وما نقلناه عن حسن التوسل .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل .

(٤) في الأصل : «مما» وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٥) فلج : ظفر، وبابه نصر وضرب .

ثم النظر في أيام العرب. ووقائعهم وحروبهم ، وتسمية الأيام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الأخرى ، وما جرى بينهم في ذلك من الأشعار والمنافسات ، لما في ذلك من العلم بما يُستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكانة مَنْ ذَكَرَ يوماً مشهوراً ، أو فارساً معيناً . وسند كذا إن شاء الله تعالى في فن التاريخ على ما ستقف عليه ؛ فإن صاحب هذه الصناعة إذا لم يكن عارفاً بأيام العرب ، علماً بما جرى فيها لم يدرك كيف يحجب عملاً^(١) يرد عليه من مثلها ، ولا ما يقول إذا سئل عنها ، وحسبه ذلك نقصاً في صناعته وقصوراً .

ثم النظر في التواريخ ومعرفة أخبار الدول ، لما في ذلك من الأطلاع على سير الملوك وسياساتهم ، وذكر وقائعهم ومكائدهم في حروبهم ، وما آتفق لهم من التجارب ؛ فإن الكاتب قد يضطر إلى السؤال عن أحوال من سلف ، أو يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها ، أو يحتاج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها ؛ وقد أوردنا في فن التاريخ ما لا يحتاج الكاتب معه إلى غيره من هذا الفن .

ثم حفظ أشعار العرب ومطالعة شروحها ، واستكشاف غوامضها والتوفر على ما اختاره العلماء بها منها ، كالحماسة ، والمفضليات ، والأصمعيات ، وديوان المهذلين ، وما أشبه ذلك ، لما في ذلك من غزارة المواد وصحة الاستشهاد ، والأطلاع على أصول اللغة ، ونوادير العربية ؛ وقد كان الصدر الأول يعتنون بذلك غاية الاعتناء ، وقد حكى أن الإمام الشافعي رحمه الله كان يحفظ ديوان هذيل ؛ فإذا أكثر المترشح للكتابة من حفظ ذلك وتدبر معانيه سهل عليه حله ، وظهرت له مواضع

(١٢)

(١) في الأصل : (بما) وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٢) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . ولعل قوله : « بها » زيادة من النسخ . وبعبارة صبح الأعشى

ج ١ ص ٢٧١ ط دار الكتب المصرية : (وما توفرت دواعي العلماء بها على اختياره) ولعلها أظهر .

الاستشهاد به، وساقه الكلام إلى إبراز ما في ذخيرة حفظه منه ، ووضع في مكانه وتقله في الاستشهاد والتضمين إلى ما كأنه وضع له ، كما اتفق للقاضي أبي بكر الأرجاني^(١) في تضمين أنصاف أبيات العرب في بعض قصائده، فقال :

وأهد إلى الوزير المدح يجعل * « لك المربع^(٢) منها والصفايا »

ورافق رُفقة حلوا إليه * « قآبوا بالنهاب والسبايا »^(٣)

وقل للراحلين إلى ذراه * « ألستم خير من ركب المطايا »^(٤)

ولا تسلك سوى طرق فإني * « أنا أبْنُ جلا وطلاع الثنايا »^(٥)

وقال بديع الزمان الهمذاني :

أنا لِقرب دار مولاي " كما طرب النشوان مالت به الخمر " ومن آلارتياح إلى لقائه " كما أنتفض العصفور بلله القطر " ومن الأمتراج بولائه " كما آلتقت الصهباء والبارد ألغذب " ومن الاتبهاج بمزاره " كما اهترتحت البارح^(٦) الغصن الرطب " .

وكما قال ابن القرطبي وغيره في رسائلهم على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) هذه كنيته ، واسمه أحمد بن محمد بن الحسين .

(٢) في الأصل : « الرابع » بدون ميم ، وفيه نقص ، والتصويب عن اللسان . والمربع : ما يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس منها . وقوله : لك المربع الخ صدر بيت ، وتماه : « وحكمك والنشيطه والفضول » . والنشيطه : ما أصاب الرئيس من الغنمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحى .

(٣) قوله : قآبوا الخ هو صدر بيت لعمر بن كلثوم ، وتماه : « وأبنا بالملك مصفدينا » .

(٤) هو صدر بيت لحرير من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان ، وتماه : « وأندى العالمين بطون راح » .

(٥) قوله : أنا أبْنُ جلا الخ ، تمام البيت : « متى أضع العامة تعرفوني » ، وقائله سحيم بن وثيل .

أنظر شرح شواهد المباني المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ م .

(٦) البارح : الريح الشديدة .

وكذلك حفظُ جانبَ خيِّدٍ من شعر المحدثين ، كأبي تمامٍ ومسلم
ابن الوليد والبُحرى وابن الرومى والمنتبى ، للطف مآخذهم ، ودوران الصناعة
في كلامهم ، ودقة توليد المعانى فى أشعارهم ، وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة
والكتابة .

- وكذلك النظرُ فى رسائل المتقدمين دون حفظها لما فى النظر فيها من
تنقيح القريحة ، وإرشاد الخاطر ، وتسهيل الطريق ، والنسج على منوال المجيد ، والاقتداء
بطريقة المحسن ، واستدراك ما فات القاصر ، والاحتراز مما أظهره النقد ، ورد ما بهرجه
السبك ؛ فأما النهى عن حفظ ذلك فلا يتكَل الخاطر على ما فى حاصله ، ويستند
الفكر إلى ما فى مودعه ، ويكتفى بما ليس له ، ويتلبس بما لم يُعط "كلبس ثوبى زور" ؛
وأما من قصد المحاضرة بذلك دون الإنشاء فالأحسن به حفظ ذلك وأمثاله .

وكذلك النظرُ فى كتبِ الأمثالِ الواردةِ عن العربِ نظماً ونثراً
كأمثال الميدانى والمفضل بن سَلمة الضبى وحزمة الأصبهاني وغيرهم ، وأمثال المحدثين
الواردة فى أشعارهم ، كأبي العاتية وأبي تمام والمنتبى ، وأمثال المولدين ؛ وقد أوردنا
من ذلك فى باب الأمثال جُملاً .

- وكذلك النظرُ فى الأحكام السلطانية ، فإنه قد يأمر بأمر فيعرفُ
منها كيف يخلص قلبه على حكم الشريعة المطهرة من تولى القضاء والحسبة وغير ذلك ؛
وقد قدمنا فى هذا الكتاب من ذلك طرفاً جيداً . قال : فهذه أمور كلية لا بد للترشح
لهذه الصناعة من التصدى للاطلاع عليها ، والإكباب على مطالعتها ، والاستكثار منها

(١) فى الأصل : « قال » وهو تعريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

لَيَنْفِقَ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ ، وَلَيْسَلُكَ فِي الْوُصُولِ إِلَى صِنَاعَتِهِ تِلْكَ الْجَوَادِّ ، وَإِلَّا فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ
فِي وَادٍ وَالْكَتَابَةُ فِي وَادٍ .

قال : وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَزِيدُ مَعْرِفَتَهَا قَدْرَهُ ، وَيَزِينُ الْعِلْمَ بِهَا نَظْمَهُ
وَنَثْرَهُ ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَكْتَلَّاتِ لِهَذَا الْفَنِّ وَإِنْ لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا ذُو الذِّهْنِ الثَّاقِبِ ، وَالطَّبِيعِ
السَّلِيمِ ، وَالْقَرِيعَةِ الْمُطَاوِعَةِ ، وَالْفِكْرَةِ الْمُتَقَحِّةِ ، وَالْبَدِيعَةِ الْمُحِبَّةِ ، وَالرُّوْيَةِ الْمُتَصَرِّفَةِ ، لَكِنَّ
الْعَالَمَ بِهَا مُمْتَكِنٌ مِنْ أَرْزَمَةِ الْمَعَانِي ، يَقُولُ عَنْ عِلْمٍ ، وَيَتَصَرَّفُ عَنْ مَعْرِفَةٍ ، وَيَنْتَقِدُ
بِحُجَّةٍ ، وَيَتَغَيَّرُ بِدَلِيلٍ ، وَيَسْتَحْسِنُ بِبَرَهَانٍ ، وَيَصَوِّغُ الْكَلَامَ بِتَرْتِيبٍ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُ
الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ ، وَالْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فِي إِعْجَازِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ، كَكُتُبِ الْحَرْجَانِيِّ
وَالرَّمَانِيِّ وَالْإِمَامِ نَجْمِ الدِّينِ السَّكَاكِيِّ وَالْخَفَاجِيِّ وَأَبْنِ الْأَثِيرِ وَغَيْرِهِمْ ؛ وَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ
بُحْبُلًا بِهَذِهِ الْمَعَانِي [وَأُورِدَ أَيْضًا أُمُورًا أُخْرَى تَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنْ خِصَائِصِ] الْكَتَابَةِ
وَهِيَ الْاِقْتِبَاسُ وَالِاسْتِشْهَادُ وَالْحُلُّ ، وَأَتَى عَلَى ذَلِكَ بِشَوَاهِدَ وَأَمْثَلَهُ ، وَسَأَذْكَرُ فِي هَذَا
الْكِتَابِ مَلَخَصَ مَا أَوْرَدَهُ فِي ذَلِكَ بِاخْتِصَارٍ وَزِيَادَةٍ عَلَيْهِ .

فَأَمَّا عُلُومُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ ، فَمِنْهَا : ذِكْرُ الْفَصَاحَةِ ، وَالْبَلَاغَةِ
وَالْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ ، وَالتَّشْبِيهِ ، وَالْاِسْتِنَاعَةِ ، وَالنَّكَايَةِ ، وَالْخَبَرِ وَأَحْكَامِهِ ، وَالتَّقْدِيمِ
وَالتَّأْخِيرِ ، وَالْفَصْلِ وَالْوَصْلِ ، وَالْحَذْفِ وَالْإِضْمَارِ ، وَمَبَاحِثُ إِنْ وَإِنَّمَا ، وَالنَّظْمِ
وَالتَّجْنِيسِ ، وَالطَّبَاقِ ، وَالْمُقَابَلَةِ ، وَالسَّجْعِ ، وَرَدُّ الْعِجْزِ عَلَى الصَّدْرِ ، وَالْإِعْنَائَاتِ

(١) واحده جاذة ، وهي وسط الطريق ومعظمه .

(٢) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل نتعذر قراءته ، ولعل ما أثبتناه مكانها يوافق الغرض الذي

أرادوه ويتناسب مع سابق الكلام ولا حقه .

(٣) في الأصل : « واختصار » والسياق يقتضى الباء إذ لا يستقيم المطف هنا .

(٤) في الأصل : « عن » وما أثبتناه هو المعروف في كتب البلاغة .

(٥) في الأصل : « والإعناق » بالقاف . وهو تحريف ، والتصويب من حميد التوسل .

- والمذهب الكلامي، وحسن التعليل، والالتفات، والتمام، والاستطراد، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجحد، والكليات، والمبالغة، وإعتاب المرء نفسه، وحسن التضمين والتلميح، وإرسال المثل، وإرسال مثايل، والكلام الجامع، واللف والنشر والتفسير، والتعديد - ويسمى سياقة الأعداد - ونسيق الصفات، والإيهام - ويقال له : التورية - والتخييل، وحسن الابتداءات، وبراعة التخليص، وبراعة الطلب وبراعة المقطع، والسؤال والجواب، وصحة الأقسام، والتوشيح، والإيفال، والإشارة والتذليل، والترديد، والتفويف، والتسليم، والاستخدام، والعكس، والتبديل والرجوع، والتغاير، والطاعة والعصيان، والتسميط، والتشطير، والتطريز، والتوشيح والإغراق، والغلو، والقسم، والاستدراك، والمؤتلفة والمختلفة، والتفريق المفرد والجمع مع التفريق، والتقسيم المفرد، والجمع مع التقسيم، والتزويج، والسلب والإيجاب والأطراد، والتجريد، والتكليل، والمناسبة، والتفريع، ونفي الشيء بإيجابه والإيداع، والإدماج، وسلامة الاختراع، وحسن الاتباع، والذم في معرض المدح والعنوان، والإيضاح، والتشكيك، والقول بالموجب، والقلب، والتنديد، والإسجال بعد المغالطة، والافتنان، والإيهام، وحصر الجزئ وإحاطة بالكل، والمقارنة والإبداع، والانفصال، والتصرف، والاشتراك، والتهكم، والتدبيح، والموجه وتشابه الأطراف . هذا مجموع ما أورده منها، واستشهد عليه بأدلة، وأورد أمثلة سنشرح منها ما يكتفى به اللبيب، ويستغنى به اللبيب .

(١) في الأصل : « الإبداع » بالباء الموحدة، والتصويب عن حسن التوسل .

(٢) في الأصل : « والاستشهاد » وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) كذا في الأصل، وهو مكرر مع ما قبله، ولعل صوابه : « الأريب » .

أما الفصاحة والبلاغة، فقد تقدم الكلام فيهما في أول الباب، فلا فائدة في إعادته .

وأما الحقيقة والمجاز — فالحقيقة في اللغة فعيلة بمعنى مفعولة، من حق الأمر يحقّه بمعنى أثبتّه، أو من حققته إذا كنت منه على يقين . والمجاز من جاز الشيء يجوزّه إذا تعدّاه، فإذا عدل باللفظ عما يوجبّه أصل اللغة وُصف بأنه مجازٌ على أنهم قد جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولاً، لأنه ليس بموضع أصليّ لهذا اللفظ ولكنّه مجازه ومتعدّاه يقع فيه كالوائف بمكان غيره ثم يتعدّاه [إلى] مكانه الأصليّ. ولهما حدود في المفرد والجمله، فحدهما في المفرد : أن كل كلمة أريد بها ما وضعت له فهي حقيقة، كالأسد للحيوان المفترس، واليد للجارحة ونحو ذلك . وإن أريد بها غيره لمناسبة بينهما فهي مجاز، كالأسد للرجل الشجاع واليد للنعمة أو للقوة، فإن النعمة تُعطى باليد، والقوة تظهر بكاملها في اليد. وحدهما في الجملة : أن كل جملة كان الحكم الذي دلّت عليه كما هو في العقل فهي حقيقة كقولنا : خلق الله الخلق؛ وكل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل بضرب من التأويل فهي مجاز، كما إذا أضيف الفعل إلى شيء يضاهي الفاعل، كالمفعول به في قوله عز وجل : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ و ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾؛ أو المصدر، كقولهم : شعرٌ شاعر؛ أو الزمان، كقول النعمان بن بشير لمعاوية :

❖ وليمك عما ناب قومك نائم ❖ ؛

أو المكان، كقولك : طريق سائر؛ أو المسبب، كقولهم : بنى الأمير المدينة؛ أو السبب، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ . فجاز المفرد

- لغوى، ويسمى مجازاً في المثبت، ومجاز الجملة عقلية، ويسمى مجازاً في الإثبات.
- قال : فالمجاز قد يكون في الإثبات وحده، وهو أن يُضيف الفعل إلى غير الفاعل الحقيقي كما ذكرناه، وقد يكون في المثبت وحده، كقوله تعالى : ﴿فَاحْيِينَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ جعل خُضرة الأرض ونُضرتها حياة، وقد يكون فيهما جميعاً، كقولك :
- أحييتني رؤيتك، تريد سرّتي، فقد جعلت المسرة حياة وهو مجاز في المثبت^(١).
- وأُسندتها إلى الرؤية وهو مجاز في الإثبات .

(١٤)

قال : وأعلم أنهم تعرّضوا في اعتبار كون اللفظ مجازاً إلى اعتبار شيئين :

الأول أن يكون منقولاً عن معنى وُضع اللفظ بإزائه ، وبهذا يُميّز عن اللفظ المشترك .

- ١٠ الثاني أن يكون هذا النقل لمناسبة بينهما، فلا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز إذ ليس نقلها لتعلق نسبة [ين] المنقول عنه ومن له العلم، وإذا تحقق الشرطان سمي مجازاً، وذلك مثل تسمية النعمة والقوة باليد، لما بين اليد وبينهما من التعلق وكما قالوا : رعينَا الغيثَ، يريدون النبت الذي الغيثُ سببه، وصابتنا السماء، يريدون المطر، وأشبه ذلك ونظائره .

- ١٥ وأما التشبيه — فهو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس . وهو ركن من أركان البلاغة لإخراج الخفى إلى الجلى، وإدناؤه البعيد من القريب . وهو حكم إضافي لا يوجد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة .

(١) في الأصل : « حيلة » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ، والسياق يقتضيها .

ثم التشبيه على أربعة أقسام: تشبيه محسوس [بمحسوس] ^(١) ، وتشبيه معقول ^(٢) [بمعقول] ، وتشبيه معقول بمحسوس ، وتشبيه محسوس بمعقول .

فأما تشبيه محسوس بمحسوس فلاشترأكهما إما في المحسوسات الأولى : وهى مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللس ، كتشبيه الخد بالورد والوجه بالنهار ، وأطيط الرجل بأصوات الفراريج ^(٣) والفواكه الحلوة بالسكر والعسل ^(٤) ورائحة بعض الرياحين بالمسك ^(٥) والكافور ، واللبن الناعم بالحريز ، والخشيش بالمسح .
أو في المحسوسات الثانية : وهى الأشكال المستقيمة والمستديرة ، والمقادير ، والحركات كتشبيه المستوى المنتصب بالترج ، والقدر اللطيف بالغصن ، والثشي المستدير بالكرة والحلقة ، والعظيم الجثة بالجليل ، والذاهب على الاستقامة بنفوذ السهم . أو في الكيفيات الجسائية ، كالصلابة والرخاوة . أو في الكيفيات النفسائية ، كالغرائز والأخلاق .
أو في حالة إضافية ، كقولك : هذه حجة كالشمس ، وألفاظ كالماء في السلاسة وكالتسيم في الرقة ، وكالعسل في الحلاوة . وربما كان التشبيه بوجه عقلى ، كقول فاطمة بنت الخرشب الأتمارية حين وصفت بنينا الكلمة فقالت : هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها .

وأما تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه الوجود العارى عن الفوائد بالعدم ، وتشبيه الفوائد التى تبقى بعد عدم الشيء بالوجود ، كقول الشاعر :

رب حتى كبت ليس فيه * أمل يرتجى لنفع وضّر
وعظام تحت التراب وفوق الأرض منها آثار حميد وشكر ^(٦)

(١) التكلة عن حسن التوسل ، وصحة التقسيم تقتضى إثباتها . (٢) التكلة عن حسن التوسل والمقام يقتضى إثباتها . (٣) التكلة عن حسن التوسل . (٤) المسح بالكسر : الكساء من الشعر ، جمعه أمساح ومسوح . (٥) فى الأصل : « البانية » وهو بحرير . (٦) فى الأصل : « منها حمد » والتكلة عن حسن التوسل وبها يستقيم البيت .

وأما تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ .

وأما تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز ، لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها ، ولذلك قيل : من فقد حساً فقد علماً ، فإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً والأصل فرعاً .
ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسيك بالثناء فقال :
الشمس كالنجمة في الظهور ، والمسيك كالثناء في الطيب ، كان ذلك سخفاً من القول فأما ما جاء في الشعر من تشبيه المحسوس بالمعقول فوجهه أن يقدر المعقول محسوساً ، ويجعل كالأصل المحسوس على طريق المبالغة ، فيصح التشبيه حينئذ وذلك كما قال الشاعر :

وكانت النجوم بين دجاها * سننٌ لاحَ بينهما ابتداء

فإنه لما شاع وصف السنة بالبياض والإشراق ، واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة تخيل الشاعر أن السنن كأنها من الأجناس التي لها إشراق ونور ، وأن البدع نوع من الأنواع التي لها اختصاص بالسواد والظلمة ، فصار ذلك كتشبيه محسوس بمحسوس ، بخازله التشبيه ، وهو لا يتم إلا بتخيل ما ليس بمتلون [متلوناً]^(٤) ثم تخيله أصلاً فيشبه به ، وهذا هو الذي تؤول في قول أبي طالب الرقي :

(١) كذا في الأهل وفي حسن التوسل . وهو غير مستقيم كما لا يخفى ، ولعل صواب العبارة : « والمسيك بالطيب » فإن المسيك إنما يوصف به لا بالثناء ، وفي الجملة قبلها وفي ما يأتي من التمثيل ما يؤيده .

(٢) في الأصل : « ويجعل المعقول محسوساً » وهو مكرر مع ما قبله ، وتصويب العبارة عن حسن التوسل .

(٣) في الأصل : « كالظلمة » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يتم المعنى بدونها .

ولقد ذكرك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشقي

فإنه لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كما يقال :
أسودت الدنيا في عينه ، جعل يوم النوى كأنه أشهر بالسواد من الظلام ، فعترف به
وشبهه ، ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق لأن من لم يعشق عندهم قاسى القلب
والقلب القاسى يوصف بشدة السواد ، فأقامه أصلا ، فقس على هذا المثال . قال :
وأعلم أن ما به المشابهة قد يكون مقيدا بالانتساب إلى شيء ، وذلك إما إلى المفعول به
كقولهم : "أخذ القوس باريا" وإلى ما يجرى مجرى المفعول به وهو الجاز والمجور
كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد : "كالراقيم على الماء" وإما إلى الحال ، كقولهم :
"كالحادى وليس له بعير" وإما إلى المفعول والجاز والمجور معا ، كقولهم : "هو
كن يجمع السيفين في غمد" و "كبتغى الصيد في عرينة الأسد" ، ومن ذلك قوله
تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ فإن التشبيه
لم يحصل من مجرد الحمل ، بل لأمرين آخرين ، لأن الغرض توجيه الدم إلى من
أتعب نفسه في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به لجهله ، وكقول لبيد :
وما الناس إلا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا^(١) بلاقع

فإنه لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم بحلول
أهل الديار فيها ، ووَشِك رحيلهم منها . قال : وكلما كانت التقييدات أكثر كان
التشبيه أوغل في كونه عقليا ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنْ
السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَا مَا حَصِيدًا
كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ . فإن التشبيه منتزع من مجموع هذه الجمل من غير أن يمكن

(١) في الأصل وفي حسن التوسل : «وغادوا» وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان مادة غدا .

وغدوا : لغة في غدا .

فصل بعضها عن بعض ، فإنك لو حذفت منها جملة واحدة من أى موضع كان
أخل ذلك بالمعزى من التشبيه . قال :

ثم ما به المشابهة إن كان مرتباً فإنه على قسمين :

الأول ما لا يمكن إفراد أحد أجزائه بالذكر، كقول القاضى التنونخى :

كأنما المِزِيخُ والمِشْتَرَى * قدأمه فى شأخ الرّفصه

منصرف بالليل من دعوة * قد أسيرجت قدأمه شمعهُ

فإنك لو اقتصرت على قوله : كأن المِزِيخَ منصرفٌ من دعوة، أو كأن المِشْتَرَى

شمعةٌ لم يحصل ما قصده الشاعر، فإنه إنما قصد الهيئة التى يلبسها المِزِيخُ من كون
المِشْتَرَى أمامه .

١٠ الثانى ما يمكن إفراده بالذكر ويكون إذا أزيل منه التركيب صحيح التشبيه

فى طرفيه إلا أن المعنى يتغير، كقول أبى طالب الرقى :

وكان أجرام النجوم لوامعا * درر تثرن على إساط أزرق

فلو قلت : كأن النجوم دررٌ، وكان السماء بساط أزرق، وجدت التشبيه مقبولا

ولكن المقصود من الهيئة المشبهة بها قد زال . قال : وربما كان التشبيه فى أمور

كثيرة لا يتقيد بعضها ببعض، وإنما يكون مضموما بعضها إلى بعض وكل واحد

منها منفرد بنفسه، كقولك : زيد كالأسد بأسا، والبحر جودا، والسيف مضاء

والبدر بهاء، وله خاصيتان : إحداهما أنه لا يجب فيه الترتيب، والثانية أنه إذا

سقط البعض لم يتغير حكم الباقي .

ومن المتأخرين من ذكر فى التشبيه سبعة أنواع :

٢٠ الأول التشبيه المطلق، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير عكس ولا تبديل

كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ وقوله تعالى :

(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) وقوله تعالى: (كَأَنَّهُمْ أَجْنَارٌ نَّحِلٌ خَاوِيَةٌ).
وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الناس كأسنان المشط".

الثاني التشبيه المشروط، وهو أن يشبه شيئا بشيء لو كان بصفة كذا، ولولا أنه بصفة كذا، كقوله: أشبه وجه مولانا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه، وكقوله: وجه هو كالشمس لولا كسوفها، والقمر لولا خسوفه وكقول البديع:

قد كان يحبك صوب الغيث منسجبا * لو كان طلق الحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
وكقول الآخر^(١):

عزماته مثل النجوم ثاقبا * لو لم يكن للثاقبات أفول.

الثالث تشبيه الكناية، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير أداة التشبيه، كقول المتنبي:

بدت قمرًا وماست خوط بان * وفاحت عنبرا ورنّت غزالا
وقول الواو^(٢) الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعصّت على العناب بأبرد.

الرابع تشبيه التسوية، وهو أن يأخذ صفة من صفات نفسه، وصفة من الصفات المقصودة، ويشبههما بشيء واحد، كقوله:

(١) هورشيد الدين الطواط.

(٢) في الأصل: ألولو. وفي حسن التوسل: الواو؛ وهو تحريف في لهما، والتصويب عن

شرح القاموس. والواو: لقبه، واسمه محمد بن أحمد النساني، وكنيته أبو الفرج.

صُدِّغَ الحبيب وحلى * كلاهما كآلِيَالِي
(١)
وثغره في صَفَاء * وأدْمَعِي كآلَالِي.

الخامس التشبيه المعكوس ، وهو أن تشبّه شيئين كلّ واحد منهما بالآخر
كقول الشاعر :

• الخمر تفاح جرى ذائب * كذلك التفاح نمر جمد
فاشرب على جامد ذوبه * ولا تَسِغْ لَذَّةَ يومِ بغداد
وكقول الصّاحب بن عبّاد :

رَقَّ الزَّجَاجُ وراقت الخمر * فتشابهَا فتشاكل الأمر
فكأنه نمر ولا قدح * وكأنه قدح ولا نمر

• وكقول بعضهم في النثر : كم من دِمٍ أهرقناه في البرّ، وشخصٍ أغرقناه في البحر؛
فأصبح البرّ بحراً من دمائهم ، والبحر برّاً بأشلائهم .

السادس تشبيه الإضمار ، وهو أن يكون مقصوده التشبيه بشيء فدّل ظاهره
لفظه أنّ مقصوده غيره ، كقول المتنبي :

ومن كنتَ جاراً له يا عليّ لم يقبل الدرّ إلّا كباراً

• فيدلّ ظاهره على أنّ مقصوده الدرّ ، وإنّما غرضه تشبيه المدح بالبحر .

السابع تشبيه التفضيل ، وهو أن يشبّه شيئاً بشيء ثم يرجع فيرجّح المشبّه
على المشبّه به ، كقوله :

حسبت جماله بدراً مضيئاً * وأين البدر من ذاك الجمال

(١) في الأصل : « ثغوره » والتصويب عن حسن التوسل .

(٢) في الأصل : « ذا » وفيه نقص ، والتصويب عن حسن التوسل .

وكقول ابن هندو^(١) :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالْغَامِ فَمَا * أَنْصَفَ فِي الْحَكَمِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاغَكَ أَبَدًا * وَذَاكَ إِنْ جَادَ دَامَعَ الْعَيْنُ .
قال : وقد تقدّم تشبيه شيء بشيء .

فأما تشبيه شيء بشيئين فكقول امرئ القيس :

وَتَعْطَوُ بِرَخْصٍ غَيْرِ شَيْئَيْنِ كَأَنَّهُ * أَسَارِيعُ رَمَلٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجَلٍ .

(١٧)

وأما تشبيه شيء بثلاثة أشياء فكقول البحتري :

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو * مَنْضُضٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَفَاحٍ .

وأما تشبيه شيء بأربعة أشياء فكما قال المولى شهاب الدين أبو التناء

محمود الحلبي الكاتب :

يَفْتَرُّ طَرَسُكَ عَنْ سَطُورِ جَادَهَا الْفَكْرُ السَّلِيمُ بِصَوْبٍ مِسْكٍ أَذْفَرِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ أَوْ جَدُول * أَوْ سَمَطٌ دَرٍّ أَوْ قِلَادَةٌ عَنَبَرِ .

وأما تشبيه شيء بخمسة أشياء فكقول الحريري :

يَفْتَرُّ عَنْ لَوْلُو رَطْبٍ وَعَنْ بَرْدٍ * وَعَنْ أَفَاحٍ وَعَنْ طَلَعٍ وَعَنْ حَبِّبٍ .

وأما تشبيه شيئين بشيئين فكقول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا * لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

(١) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ١٦٨ ط مطبعة هندية . وفي الأصل : « بن هند » ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة ومعاجم الأعلام . (٢) في الأصل : « إذا » والتصويب عن حسن التوسل . (٣) تعطو : نتاول . والرخص : اللين الناعم . والشئن : العليظ الكر . والأساريع : دود أحر يكون في البقل والأماكن النضدية ، تشبه به أنامل النساء . والإسجل بكسر أوله : شجر من شجر المساريك . (٤) المشهور في روايته : (طلي) كما في معلقة الشاعر . وطي بهنج فسكون : اسم بلد قريب من ذي قار ، وهو أحسن بلاد الله أساريع .

وأما تشبيه ثلاثة بثلاثة فكقول الآخر :

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَغَصْنٌ * شَعْرٌ وَوَجْهٌ وَقَدْ

نَحْمَرُ وَدَرْ وَوَرْدٌ * رَيْقٌ وَتَغْرُ وَخَدْ .

وأما تشبيه أربعة بأربعة فكقول امرئ القيس :

لَهُ أَيَّطٌ لَا ظَنِي^(١) وَسَاقَا نَعَامِيَّةٍ * وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٌ تَنْقُلُ

وكقول أبي نواس :

تَبْكِي فَتُدْرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ * وَتَلَطِّمُ الْوَرْدَ بَعْنَابٍ .

وأما تشبيه خمسة بخمسة فكقول أبي الفرج الواراء الدمشقي^(٢) :

قَالَتْ مَتَى الْبَيْنَ يَا هَذَا فَقُلْتُ لَهَا * إِمَّا غَدَا زَعَمُوا أَوْ لَا فَبَعْدَ غَدٍ

فَأَمْطَرْتُ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقَتْ * وَرَدَا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وشبه قاضي القضاة نجم الدين بن البارزي سبعة أشياء بسبعة أشياء وهي :

يُقَطَّعُ بِالسَّكِينِ بِطِيْحَةٍ ضَحَى * عَلَى طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ لَانَ صَاحِبِهِ

كشَمْسٍ يَبْرِقُ قَدْ بَدَرَا أَهْلَةً * لَدَى هَالَةٍ فِي الْأَفْقِ شَتَّى كَوَاكِبِهِ .

قال : والغرض من التشبيه قد يكون بيان إمكان وجود الشيء عند آداء

ما لا يكون إمكانه بيّنا ، كقول ابن الرومي :

وَكَمْ أَبْ قَدْ عَلَا بَابِنَ ذُرَى شَرِيفٍ * كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عِدَنَانُ

وكقول المتنبي :

فَإِنْ تَفُقُّ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ * فَإِنَّ الْمَسْكَ بِعَضْ دُمِّ الْغَزَالِ

(١) واحد أَيْطَل ، وهو الخاصرة . والإرخاء : شدة العدو . والتقريب : وضع الرجلين مكان اليدين

في العدو . والتفعل : ولد الغلاب .

(٢) موضع هذا الاسم مطموس بالأصل ، وما أثبتناه عن حسن التوصل .

أوبيانَ مقداره ، كما إذا حاولت نفي الفائدة عن فعل إنسان قلت : هذا كالتفاضل على الماء ، لأن خلوت الفعل عن الفائدة مراتب مختلفة في الإفراط والتفريط والوسط ، فإذا مثل بالمحسوس عرفت مرتبته ، ولذلك لو أردت الإشارة إلى تنافي الشيتين فأشرت إلى ماء ونار فقلت : هذا وذلك هل يجتمعان ؟ كان تأثيره زائدا على قولك : هل يجتمع الماء والنار ؟ وكذلك إذا قلت في وصف طول يوم : كأطول ما يتوهم ، أو لا آخره ، أو أنشدت قوله :

في ليل صول تناهى العرض والطول * كأنما ليله بالليل موصول
لم تجد فيه من الأنس ما تجده في قوله :

ويوم كطلّ الرمح قصر طوله * دم الزرق عنا واصطفأ المزاير

١٨

وما ذاك إلا للتشبيه بالمحسوس ، وإلا فالأول أبلغ ، لأن طول الرمح متناه وفي الأول حكّت أن ليله موصول بالليل ، وكذلك لو قلت في قصر اليوم : كأنه ساعة ، أو كملح البصر ، لوجدته دون قوله :

ظلنا عند دار أبي أنيس * بيوم مثل سالفة الذباب^(٤)

وقوله :

ويوم كإهام القطاة مزين * إلى صباه غالب لي باطله .

قال : وقد يكون غرض التشبيه عائدا على المشبه به ، وذلك أن تقصد على عادة

التخييل أن توهم في الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد ، فتشبه الزائد به ، كقوله :

(١) في الأصل : « وأنشدت » والسياق يقتضى العطف بأوكما في حسن التوسل .

(٢) البيت لحندج ابن حندج المتوفى . وصول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب .

أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٣٥ ط المدرسة المحروسة بمدينة غنتة .

(٣) في الأصل : « منه » وما أثبتناه عن حسن التوسل ، إذ هو المناسب لقوله بعد : (في قوله) .

(٤) السالفة : صفحة العنق ، أراد هنا العنق كله .

(١) وبدأ الصبح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمدح

وهذا أبلغ وأحسن وأمدح من تشبيه الوجه بالصبح، لأن تشبيه الوجه بالصبح أصل متفق عليه لا يُنكر ولا يُستكثر، وإنما الذى يستكثر تشبيه الصبح بالوجه . قال : ثم الغرض بالتشبيه إن كان إلحاق الناقص بالزائد امتنع عكسه مع بقاء هذا الغرض، وإن كان الجمع بين شيئين فى مطلق الصورة والشكل واللون صح العكس . كتشبيه الصبح بغرة الفرس الأدهم لا للبالغة فى الضياء، بل لوقوع منير فى مظلم وحصول بياض قليل فى [سواد] كثير .

قال : والتشبيه قديمىء غريباً يحتاج فى إدراكه الى دقة نظر، كقول ابن المعتز :
* والشمس كالمرآة فى كف الأشل *

والجامع الاستدارة والإشراق مع تواصل الحركة التى تراها للشمس إذا أنعمت التأمل فى اضطراب نور الشمس، ويقرب منه قول الآخر :

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة * على ورق الأشجار أول طالع
دنانير فى كف الأشل يضمها * لقبض وتهوى [من] فروج الأصابع
وكقول المتنبي :

الشمس من مشرقها قد بدت * مشرقه ليس لها حاجب
كانها بودقة أيت * يحول فيها ذهب ذائب

(١) البيت لمحمد بن وهيب الخيرى من قصيدة يمدح بها المأمون .

(٢) فى الأصل : « مقنع » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٣) كذا فى الأصل وفى حسن التوسل . ولعله « بقبض » بالباء .

(٤) الكلمة الموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل ، وبها يستقيم الوزن والمعنى . (٥) فى الأصل : « بوطقة » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل . والبودقة : مولد معرب بوته ، وهى ما يصفى فيه الذهب والفضة معروفة عند الصابغة ، ويقال فيه : بودة .

ومن لطيف ما جاء في هذا المعنى من التشبيه قول الأخطيل في مصلوب :

أوقائهم من نعاس فيه لؤثته ^(١) * مواصل لتطيه من الكسل

شبهه بالمتعطى ، لأن المتعطى يمد يديه وظهره ثم يعود إلى حالته الأولى ، فزاد فيه أنه مواصل لذلك ، وعقله بالقيام من النعاس لما في ذلك من اللؤثة والكسل .

قال : والتشبيه ليس من المجاز ، لأنه معنى من المعاني ، وله ألفاظ تدل عليه وضعا .
فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ، وإنما هو توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة والتمثيل ، لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له ، والذي يقع منه في حيز المجاز عند أهل هذا الفن هو الذى يحىء على حد الاستعارة ، كقولك لمن يتردد فى الأمر [بين] ^(٢) أن يفعل أو يتركه : « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » والأصل فيه أراك فى ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى .

وأما الاستعارة — فهى آداء معنى الحقيقة فى الشئ للبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا وتقديرا . وإن شئت قلت : هو جعل الشئ ^(٤) الشئ ^(٥) [أو جعل الشئ للشئ] لأجل المبالغة فى التشبيه .

فالأول كقولك : لقيت أسدا وأنت تعنى الرجل الشجاع .

والثانى كقول لييد :

* إذ أصبحت بيد الشمال زمامها ^(٦) *

أثبت اليد للشمال مبالغة فى تشبيهها بالقادر فى التصرف فيه على ما يأتى بيان ذلك .

- (١) اللؤثة بالضم : الاسترخاء . (٢) فى الأصل : (التعطى) وما أثبتناه عن حسن التوصل .
(٣) الزيادة عن حسن التوصل . (٤) كذا فى الأصل وحسن التوصل . وهو غير ظاهر ، ولعل صوابه : « من الشئين » ، يريد الطرفين . (٥) التكملة عن حسن التوصل ، والتمثيل الآتى يقتضى إثباتها .
(٦) فى معلقة الشاعر : « قد » والمعنى يستقيم على كل منهما . وصدر البيت : « وغداة ربح قد وزعت وقرة » . يريد أنه رب غداة ربح وبرد قد دفعها عن العفاة بخر الجزر لهم والإطعام ، وإذا كاه النار لدنهم وقراهم . وإنما خص الشمال لأنها أبرد الرياح .

وحدّ الرّمانيّ الاستعارة فقال : بهنّ تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل للإبانة .

وقال ابن المعتز : هي استعارة الكلمة من شيء قد عُرف بها إلى شيء لم يُعرف بها . وذكر الخفاجيّ كلامَ الرّمانيّ وقال : وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل :

﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ استعارة ، لأنّ الاشتعال للنار ، ولم يوضع في أصل اللغة للشيب .

(١٩)

فلما نقل إليه بان المعنى لما آكتسبه من التشبيه ، لأنّ الشيب لما كان يأخذ في الرأس شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تسرى في الخشب حتى تحيله إلى غير [حالته] المتقدمة ؛ فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ، ولا بدّ من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها لأنّ الحقيقة

لوقامت مقامها لكانت أولى بها ، لأنها الأصل ، وليس يخفى على المتأمل أن قوله عز وجل : ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أبلغ من كثُر شيب الرأس ، وهو حقيقة هذا المعنى .

ولا بدّ للاستعارة من حقيقة هي أصلها ، وهي مستعار منه ، ومستعار ، ومستعار له ، فالنار مستعار منها ، والاشتعال مستعار ، والشيب مستعار له . قال : وأما قولنا مع طرح ذكر المشبه ، فأعلم أننا إذا طرحناه كقولنا : رأيت أسداً ، وأردنا الرجل

الشجاع فهو استعارة بالاتفاق ، وإن ذكرنا معه الصيغة الدالة على المشابهة كقولنا : زيد كالأسد أو مثله أو شبهه فليس باستعارة ؛ وإن لم نذكر الصيغة وقلنا : زيد أسد فالتحتم أن يكون ليس باستعارة إذ في اللفظ ما يدلّ على أنه ليس بأسد فلم تحصل

(١) في الأصل : (الاستعارة) وفي تحريف وزيادة هاء ، والسياق يقتضي ما اثبتنا كما في حسن التوسل .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يستقيم الكلام بدونها . وعبارة الأصل : (كان بمنزلة النار التي تسرى

في الخشب حتى يحيله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار حتى يحيله إلى غير لونه المتقدمة) . وفيها تكرار وقعص .

المبالغة ، فإذا قلت : زيد الأسد فهو أبعد عن الاستعارة ، فإن الأول خرج بالتنكير عن أن يحسن فيه كاف التشبيه ، فإن قولك : زيد كأسد كلاماً نازل بخلاف الثاني . قال ضياء الدين بن الأثير : وهذا التشبيه المضمّر الأداة قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفرّقوا بينهما ، وذلك خطأ محض .

٥ قال : وسأوضح وجه الخطأ فيه وأحقق القول في الفرق بينهما فأقول : أمّا التشبيه المظهر الأداة فلا حاجة بنا إلى ذكره لأنه لا خلاف فيه ، ولكن نذكر التشبيه المضمّر الأداة فنقول : إذا ذكر المنقول والمنقول إليه على أنه تشبيه مضمّر الأداة قيل فيه : زيد أسد ، أى كالأسد ، فأداة التشبيه فيه مضمّرة مقدّرة ، وإذا أظهرت حسن ظهورها ، ولم تقدح في الكلام الذي أظهرت فيه ، ولم تُزل عنه فصاحته ؛ وهذا بخلاف ما إذا ذكر المنقول إليه دون المنقول فإنه لا يحسن فيه ظهور أداة التشبيه ، وإذا ظهرت زال عن ذلك الكلام ما كان متصفاً به من الحسن والفصاحة .

قال : ولنضرب لذلك مثلاً يوضحه فنقول : قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو :

فرعاء إن نهضت لحاجتها * عجل القضيبي وأبطأ الدعص^(٢)

١٥ وهذا لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيه ، فلا يقال : عجل [قد] كلقضيبي وأبطأ [رِدْف] كالدعص^(٣) ؛ فالفرق إذن بين التشبيه المضمّر أداة التشبيه فيه وبين

(١) كذا في الأصل وحسن التوسل والمثل السائر ص ٢١٥ ط بولاق ؛ وهو غير مستقيم ، فإن الذي يذكر في الاستعارة هو لفظ المشبه به ، وهو المنقول دون المنقول إليه ، ولعل صواب العبارة : « وهذا بخلاف ما إذا ذكر المنقول دون المنقول إليه » وفي التمثيل الآتي ما يؤيده .

(٢) الفرعاء : الطويلة الشعر . (٣) عبارة الأصل : « عجل كلقضيبي وأبطأ كالدعص » بدون هاتين الزائدتين ، وما أئتمناه عن حسن التوسل والمثل السائر .

الاستعارة أن التشبيه المضر الأداة يحسن إظهار أداة التشبيه فيه ، والاستعارة لا يحسن ذلك فيها . والاستعارة أخص من المجاز إذ قصد المبالغة شرطاً في الاستعارة دون المجاز ، وأيضاً فكل استعارة من البديع وليس كل مجاز منه . والحق أن المعنى يعار أولاً ثم بواسطته يعار اللفظ ، ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان التشبيه مقررًا بينهما ظاهراً ، وإلا فلا بد من التصريح بالتشبيه ، فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمناً إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن كمثل النخلة »^(١) أو « كمثل الخامة »^(٢) لكنك كالمفزع التارك لما يفهم^(٣) . ولما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسناً بحيث تكون ألطف من التصريح بالتشبيه ، فإنك لو رمت أن تظهر التشبيه في قول ابن المعتز :

- ١٠ أثمرت أغصان راحته * لجنة الحسن عتبا
أحتجت أن تقول : أثمرت أصابع راحته التي هي كالأغصان لطالب الحسن شبه العتاب من أطرافها المخضوبة ، وهذا مما لا خفاء بغناشته .
وربما جمع بين عدة استعارات إلحاقاً للشكل بالشكل لإتمام التشبيه فتريد الاستعارة به حسناً ، كقول امرئ القيس في صفة الليل :

- ١٥ فقلت له لما تملأ بصلبه * وأردف أعجازاً وناء بكل كل

فصل فيما تدخله الاستعارة ومالا تدخله

قال : الأعلام لا تدخلها الاستعارة لما تقدم في المجاز . وأما الفعل فالاستعارة تقع أولاً في المصدر ، ثم تقع بواسطة ذلك في الفعل ، فإذا قلت : نهطت الحال بكذا

(٢٠)

- (١) في رواية : (كمثل النخلة) بالخاء المهملة ، يريد نخلة العسل ، وما هنا هو المشهور .
٢٠ (٢) نصه في كتاب النهاية هكذا : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع قفيها الرياح » والخامة : الطاقة الغضة الناعمة من الزرع .
(٣) في الأصل : « فلا » والنصوب عن حسن النوسل .

فهذا إتما يصح لأنك وجدت الحال مشابهة للنطق في الدلالة على الشيء، فلا جرم
 [أنك] ^(١) أستعرت النطق لتلك الحالة ثم نقلته إلى الفعل . والأسماء المشتقة في ذلك
 كالفعل ؛ فظهر أن الاستعارة إتما تقع وقوعا أوليا في أسماء الأجناس . ثم الفعل
 إذا كان مستعارا فاستعارته إتما من جهة فاعله ، كقوله : نطقت الحال بكذا
 ٥ ولعبت بي الهموم ، وقول جرير :

تحي الروامس ربّعها فتجده * بعد السلي وتميته الأمطار ^(٢)
 وقول أبي حية :

وليلة مرضت من كل ناحية * فما تضىء لها شمس ولا قر
 أو من جهة مفعوله ، كقول ابن المعتز :

جُمع الحق لنا في إمام * قتل الجوع وأحي السباح ^(٣) ١٠

أو من جهة مفعوليه ، كقول الحريري :

وأقرى المسامع إذا نطقت * بيانا يقود الحرون الشموسا

أو من جهة أحد مفعوليه ، كقول الشاعر : ^(٤)

نقريهم لهدميات نقديها * ما كان خاط عليهم كل زراد

أو من جهة الفاعل والمفعول ، كقوله تعالى : ^(٥) يَكَادُ الْبَرَقُ يُخَطِفُ أَبْصَارَهُمْ ١٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، واللغة تقتضي إثباتها .

(٢) في الأصل : « الروامس أرضها » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل . والروامس :
 الرياح التي تقل التراب من بلد الى بلد . يريد أن الرياح تكشف التراب المغطى لآثار الربع فتظهرها
 و بصوب المطر عليها فيعفوها وتخفي على الناظر .

(٣) في حسن التوسل : (الجور) والمعنى يستفهم على كلتا الروايتين ، وما هنا أقرب الى قوله : السباح . ٢٠

(٤) هو القطامي .

قال : ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة. وتجريدها ، أما ترشيحها فهو أن ينظر فيها إلى المستعار ، ويراعى جانبه ، ويوليّه ما يستدعيه ، ويضمّ إليه ما يقتضيه ، كقول كثير :
رمنى بسهم ريشه الهدب لم يُصب * بظاهر جسمي وهو في القلب جرح^(١)
وكقول النابغة :

وصدّر أراح الليل عازب همّه * تضاعف فيه الحزن من كلّ جانب
فالمستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والإراحة منظور إليهما في لفظ السهم^(٢)
والعازب ، وكما أنشد صاحب الكشف :

ينازعني ردائي عند عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر *

أراد بردائه سيفه ، ثم نظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار . وأما تجريدها فهو أن يكون المستعار له منظورا إليه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾^(٣)
فإن الإذاقة لما وقعت عبارة عما يدرك من أثر الضرر والألم تشبيها له بما يدرك من الطعم المرّ البشع ، واللباس عبارة عما يغشى منهما ويلبس فكأنه قال : فأذاقها الله ما غشيها من ألم الجوع والخوف ، وكقول زهير :

لدى أسدٍ شاكى السلاح مقدّف * له لبسٌ أظفاره لم تُقلم^(٤)

فلو نظر إلى المستعار لقال : أسد دامي الخالب أو دامي البرائن ، ونظر زهير في آخر البيت إلى المستعار أيضا ، ومنه قول كثير :

غمّر الرداء إذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب الممال

(١) هذه الباء ساقطة من الأصل ، وبها يستقيم الوزن . (٢) في الأصل : (الكتاب) والتوصيب

عن حسن التوسل . (٣) في الأصل : (الضرورة) وما أثبتناه عن حسن التوسل . (٤) شاكى السلاح وشاكه وشاكه : حديده . والمقدف : الذي يقدف به كثيرا في الوقائع . مبالغة في القذف .

استعار الرءاء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صونَ الرءاء لما يُلقى عليه
(١) ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لاوصف الرءاء .

قال : ويقرب من ذلك الاستعارة بالكناية ، وهى أن لا يصرح بذكر المستعار
بل يذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه ، كقولهم : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يعترف
منه الناس .

وكقول أبى ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفت كل تيممة لاترفع

(٢) تنبيها على أن الشجاع أسد ، والمنية سبع ، والعالم بحر ، وهذا وإن كان يشبه
الاستعارة المجردة إلا أنه أغرب وأعجب ، ويقرب منه قول زهير :

(٢١)

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * يطبع العوالى رُكبت كل لهذم

١٠

أراد أن يقول : من لم يرض بأحكام الصالح رضى بأحكام الحرب ، وذلك
أنهم كانوا إذا طلبوا الصلح قبلوا زجاج الرماح وجعلوها قدماها مكان الأسنّة ، وإذا
أرادوا الحرب أشرعوا الأسنّة ، وقد يسمى هذا النوع المائلة أيضا .

قال : وقد ينزلون الاستعارة منزلة الحقيقة ، وذلك أنهم يستعبرون الوصف
المحسوس للشيء المعقول ويجعلون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشيء في الحقيقة ، وأن
الاستعارة لم توجد أصلا ، مثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل
والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر عاوا مكانيا ، كقول أبى تمام :

١٥

(١) فى الأصل : (ووصف) بدون هاء ، وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٢) مقتضى ما سبق من التثليل تقديم هذه العبارة على ما قبلها إن لوحظ الترتيب كما فى حسن التوسل .

(٣) واحده زج بالضم ، وهو حديدة تكون فى أسفل الزح .

٢٠

(٤) فى الأصل : « مكانا » وما أثبتناه عن حسن التوسل .

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْحَسْبُ * بَانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ
وكقوله أيضا :

مَكَارِمُ بَلَّتَتْ فِي عُلُوِّ كَأَنَّمَا * تَحَاوَلُ نَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ^(١)
ولذلك يَسْتَعِيرُونَ أَسْمَ شَيْءٍ لَشَيْءٍ مِنْ نَحْوِ شَمْسٍ أَوْ بَدْرٍ أَوْ أَسَدٍ وَيَلْفُونَ إِلَى
حَيْثُ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَسْتِعَارَةٌ ، كَقَوْلِ ابْنِ الْعَمِيدِ :

قَامَتْ تَظَلَّلِي مِنَ الشَّمْسِ * نَفْسٌ أَعَزَّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظَلَّلِي وَمِنْ عَجَبٍ * شَمْسٌ تَظَلَّلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

وكقول آخر :

أَيَا شَمْعًا يَضِيءُ بَلَا أَنْطَفَاءٍ * وَيَابَدْرًا يَلُوحُ بَلَا مُحَاقٍ .

فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا مَعْنَى أَنْتَقَاصِي؟ * وَأَنْتَ الشَّمْعُ مَا مَعْنَى احْتِرَاقِي؟^(٢)

[فَلَوْلَا أَنَّهُ أَنْسَى نَفْسَهُ أَنَّ هَاهُنَا أَسْتِعَارَةٌ لِمَا كَانَ لِهَذَا التَّعَجُّبِ مَعْنًى ، وَمَدَارُ^(٣)

هَذَا النَّوْعِ عَلَى التَّعَجُّبِ]

وَقَدْ يَجِيءُ عَلَى عَكْسِهِ ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٤) :

لَا تَعَجَّبُوا مِنْ بَلِي غَلَالَتِهِ * قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى الْقَمَرِ .

فصل في أقسام الاستعارة

قال : وهى على نوعين :

الأوّل أن تعتمد نفس التشبيه ، وهو أن يشترك شيان في وصف وأحدهما
أنقص من الآخر ، فتعطى الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقيق ذلك الوصف له

(١) في الأصل : «نارا» بالنون ؛ وهو تحريف . (٢) في الأصل : (انتفاص) و(احتراق)

بجذف ياء المتكلم فيهما ، والمقام يقتضى إثباتها كما في حسن التوسل . (٣) الزيادة عن حسن

التوسل ؛ والمقام يقتضيا . (٤) هو أبو الحسن بن طباطبا العلوى .

كقولك : رأيت أسدا وأنت تعني رجلا شجاعا ، وعنت لنا ظيئةً وأنت تريد امرأة .

والثاني أن تعتمد لوازمه عند ما تكون جهة الاشتراك وصفا ، وإنما ثبت كماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر فتثبت ذلك الشيء للاستعار له مبالغة في إثبات المشترك ، كقول لبيد :

وغداة ريح قد كشفتُ وقرةً * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها^(١)

وليس هناك مشار إليه يمكن أن يُجرى اسم اليد عليه كما جرى الأسد على الرجل لكنه خيل إلى نفسه أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعة الإنسان المتصرف فيما زمامه ومقادئه بيده ، لأن تصرف الإنسان إنما يكون باليد في أكثر الأمور فليد كالألة التي تكمل بها القوة على التصرف ، ولما كان الغرض إثبات التصرف — وذلك مما لا يتكلم إلا عند ثبوت اليد — أثبت اليد للشمال تحقيقا للغرض ، وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال ، وكذلك قول نابط شرا :

إذا هزّه في عظم قرن تهلّت * نواجدُ أفواه المنايا الضواحي^(٢)

لما شبه المنايا عند هزّة السيف بالمسرور — وكما الفرح والسرور إنما يظهر بالضحك الذي تهلّل فيه النواجد — أثبت تحقيقا للوصف المقصود ، ولأفليس للمنايا ما يُنقل إليه اسم النواجد ، وهكذا الكلام في قول الحماسي :

سقاه الردى سيف إذ سُلَّ أو مضت * إليه ثنایا الموت من كل مرّيب

(٣٢)

(١) في الأصل : « وقرة » بالوار ، وهو تحريف . والقرة بالكسر : ما أصاب الإنسان من البرد .

(٢) هذه اللام ساقطة من الأصل ، والمقام يقتضي إثباتها .

(٣) في الأصل : « نواجدّه » والهاء زيادة من النسخ .

ومن هذا الباب قولهم : فلان مُرَبِّى العِنان ، ومُلَقِّ الزمام .

قال : ويسمى هذا النوع استعارة تخيلية ، وهو كتابات الجناح للذَّل في قوله تعالى : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ . قال : إذا عُرف هذا فالنوع الأول على أربعة أقسام :

- ٥ الأول — أن يستعار المحسوس للمحسوس ، وذلك إما بأن يشتركا في الذات ويختلفا في الصفات ، كاستعارة الطيران لغير ذى جناح في السرعة ، فإن الطيران والعدو يشتركان في [الحقيقة ^(١) وهى] الحركة الكائنة ^(٢) ألا أن الطيران أسرع . أو بأن يختلفا في الذات ويشتركا في صفة إما محسوسة كقولهم : رأيت شمسا ويريدون إنسانا يتهلَّل وجهه ، وكقوله تعالى : ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ فالمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع الانبساط ، ولكنّه في النار أقوى ؛ وإما غير محسوسة كقوله ١٠ تعالى : ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ المستعار له الريح ، والمستعار منه المرة والجامع المنع من ظهور النتيجة .

الثانى — أن يستعار شيء معقول لشيء معقول لاشتراكهما في وصف

- عدمى أو شئوى وأحدهما أكمل في ذلك الوصف ، فيتنزَّل الناقص منزلة الكامل كاستعارة اسم العدم للوجود إذا اشتركا في عدم الفائدة ، أو استعارة آسم ^(٣) الوجود للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه ، كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما في عدم الإدراك والعقل ، وكقولهم : فلان لقي الموت إذا لقي الشدائد ، لاشتراكهما في المكروهية ، وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ والسكوت والزوال أمران معقولان .

(١) الكلمة عن حسن التوسل . (٢) كذا في الأصل . وفي حسن التوسل : (المكانية) ٢٠ ولعلها أظهر . (٣) في الأصل : (الوصف) والسباق يقتضى ما أثبتنا كما في حسن التوسل .

الثالث — أن يستعار المحسوس للمعقول كاستعارة النور الذي هو محسوس للحجة ، واستعارة القسطاس للعدل ، وكقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ فالقذف والدمغ مستعاران ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَغَ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ استعارة لبيان عما أوحى إليه كظهور ما في الزجاجاة عند أنصداعها ، وكل خوض في القرآن العزيز فهو مستعار من الخوض في الماء ، وقوله تعالى : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ جعل لها طاعة وقولا .

الرابع — أن يستعار اسم المعقول للمحسوس على ما تقدم ذكره في التشبيه كقوله تعالى : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ فالشقيق والغيط مستعاران ، وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ والأقوال في الاستعارة كثيرة ، وقد أوردنا فيها ما يُستدل به عليها .

وأما الكناية — قال : اللفظة إذا أطاقت وكان الغرض الأصلي غير معناها فلا يخلو : إما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالا على ذلك الغرض الأصلي وإما أن لا يكون كذلك .

فالأول هو الكناية ، ويقال له : الإرداف أيضا .

والثاني المجاز .

فالكناية عند علماء البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يحىء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيؤمى به اليه ، ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم : طويل النجاد وكثير رَمَادِ القِدر ، يعنون به أنه طويل الفامة ، كثير القرى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ كنى بنفى قبول التوبة عن الموت على الكفر .

وقول الشاعر^(١) :

بعيدة مهوى القُطْ إِمَّا لِنُوفِلٍ * أبوها وإِما عبدُ شَمِيسٍ وهاشمُ
أُرَادِيذُ كَرُطُولٍ جِيدَهَا [فَاتِي بَتَابِعِهِ وَهُوَ بَعْدُ مَهْوَى الْقُرْطِ]، وَكَقَوْلِ لَيْلَى الْأَخِيلَةِ :

وَمُخْرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالَهُ * وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً

- كُنْتُ عَنْ جُودِهِ بِحَرَقِ الْقَمِيصِ مِنْ جَذْبِ الْعَفَاةِ لَهُ عِنْدَ أَرْذَاحِهِمْ لِأَخْذِ
الْعَطَاءِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . قَالَ :

وَالْكَلْيَاةُ تَكُونُ فِي الْمَثَبِ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَقَدْ تَكُونُ فِي الْإِثْبَاتِ وَهِيَ مَا إِذَا حَاولُوا
إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي لَشَيْءٍ فَيَتَرَكُونَ التَّصْرِيحَ بِإِثْبَاتِهِ لَهُ ، وَيُشْتَبِنُونَهَا لَهُ بِهِ تَعْلُقُ ،
كَقَوْلِهِمْ : الْمَجْدُ بَيْنَ ثَوْبِيهِ ، وَالْكَرَمُ بَيْنَ بَرْدِيهِ ، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

- إِنَّ الْمَرْسُوءَةَ وَالسَّامَحَةَ وَالنَّدَى * فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ .

قَالَ : وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَلْيَاةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَجَازِ لِأَنَّكَ تَعْتَبِرُ فِي أَلْفَاظِ الْكَلْيَاةِ مَعَانِيهَا
الْأَصْلِيَّةَ ، وَتَفِيدُ بِمَعْنَاهَا مَعْنَى ثَانِيًا هُوَ الْمَقْصُودُ ، فَتَرِيدُ بِقَوْلِكَ : كَثِيرُ الرَّمَادِ حَقِيقَتُهُ
وَتَجْعَلُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى كَوْنِهِ جَوَادًا ، فَالْكَلْيَاةُ ذِكْرُ الرِّدْفِ وَإِرَادَةُ الْمُرْدُوفِ .

- وَأَمَّا التَّعْرِيضُ — فَهُوَ تَضْمِينُ الْكَلَامِ دَلَالَةً لَيْسَ لَهَا ذِكْرٌ ، كَقَوْلِكَ : مَا أَفْبَحَ
الْبَخْلُ ! لِمَنْ تُعْرَضُ بِيَخْلِهِ ، وَكَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَسَنِ : لَمْ يُعْرِقْ فِي أَتْمَهَاتِ
الْأَوْلَادِ ، يَعْرَضُ بِالْمَنْصُورِ بِأَنَّهُ ابْنُ أُمَةٍ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا التَّمْثِيلُ — فَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ إِذَا جَاءَ عَلَى حَدِّ الْأَسْتِعَارَةِ ، مِثْلَهُ
قَوْلُكَ لِلتَّحْيِيرِ : ^(٦)فَلَانِ يَقْصِدُ رِجَالًا وَيُؤْتِرُ أُخْرَى ، فَلَوْ قُلْتَ : إِنَّهُ فِي تَحْيِيرِهِ كُنْ يَتَقَدَّمُ

- (١) هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْخَزْرَمِيُّ . (٢) النُّكْلَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبَعَيْنِ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ .
(٣) هُوَ زِيَادُ الْأَنْجَمِ . وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَشْرِجِ وَكَانَ قَدْ وَفَدَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمِيرُ عَلَى
نَيْسَابُورَ . (٤) فِي الْأَصْلِ : «مَعْنَاهَا» وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَاهُ . (٥) فِي الْأَصْلِ :
«حَقِيقَةُ» بِدُونِ هَاءٍ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ . (٦) فِي الْأَصْلِ : «قَوْلُ الْمُخْبِرِ» وَفِيهِ نَقْصٌ
وَتَحْرِيْفٌ ، وَالتَّوَسُّلُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ .

رجلا ويؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز، وكذلك قولك لمن أخذ في عمل لا يتحصل منه مقصودٌ : أراك تنفخ في غير ضرم، وتحط على الماء .

قال : وأجمعوا على أن للسكايّة مزيةً على التصريح لأنك إذا أثبت كثرة القرى بإثبات شاهدها ودليلها فهو كالدعوى التي [معها] شاهد ودليل، وذلك أبلغ من إثباتها بنفسها .



وأما الخبر وأحكامه — فقد قال : الخبر هو القول المقتضى تصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفى أو الإثبات . وتسمية أحد جريئه بالخبر مجازية . ثم المقصود من الخبر إن كان هو الإثبات المطلق فيكون بالآسم، كقوله تعالى : ﴿وَكَلِّمُهُم بِأَسْطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وإن لم يتم ذلك إلا بإشعار زمانه فيكون بالفعل، كقوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن المقصود لا يتم بكونه معطيا للرزق [بل بكونه معطيا للرزق] في كل حين وأوان، والإخبار بالفعل أخص من الإخبار بالآسم ، وإذا أنعمت النظر وجدت الآسم موضوعا على أن تثبت به المعنى للشيء من غير إشعار بتجديده شيئا فشيئا، بل جعل الانطلاق أو البسط مثلا صفة ثابتة ثبوت الطول أو القصر في قولك : زيد طويل أو قصير، بخلاف ما إذا أخبرت بالفعل فإنه يشعر بالتجدد وأنه يقع جزءا بجزء، وإذا أردت شاهدا على ذلك فتأمل هذا البيت :

(٤) لا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرَّتَنَا * إِلَّا يَمَسُّرُ عَلَيْهَا وَهُوَ مَنْطَلَقُ (٥)

(١) الزيادة عن حسن التوسل، وصحة العبارة تقتضيها . (٢) الزيادة عن حسن التوسل، والمقام يقتضى إثباتها . (٣) في الأصل : « بثوت » والباء زيادة من الناح . (٤) البيت للنضر ابن جوبة بن النضر . (٥) في تلخيص المفتاح ومعاهد التنبيه ص ٩٦ ط بولاق : « لكن » .

بغاء بالأسم، ولو أتى بالفعل لم يحسن هذا الحسن . والفعل المتعدى الى جميع
مفعولاته خبر واحد، حتى اذا قلت : ضرب زيد عمرا يوم الجمعة خلف المسجد ضربا
شديدا تأديبا له كان الخبر شيئا واحدا وهو إسناد الضرب المقيّد بهذه القيود الى
زيد، فظهر من ذلك [أن] قولك : جاءني رجل مغاير لما دلّ عليه قولك : جاءني
رجل ظريف، وإنك لست في ذلك [إلا] كمن يضمّ معنى الى معنى . وحكم المبتدأ^(٤)
والخبر أيضا كذلك، فقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

خبر واحد . واذا قلت : الرجل خير من المرأة فاللام فيه قد تكون للعموم
أو للخصوص بأن ترجع الى معهود، أو لتعريف الحقيقة مع قطع النظر عن عمومها
وخصوصها . واذا قلت : زيد المنطلق، أو زيد هو المنطلق أفاد آنحصار الخبر به
في الخبر عنه، فإن أمكن إحصاء ترك على حقيقته، وإلا فعلى المبالغة . واذا قلت :
المنطلق زيد فهو إخبار عما عُرِف بما لم يُعرَف، فكأن المخاطب عَرَف أن انسانا
أنطلق ولم يعرف صاحبه، فقالت : الذي تعتقد أنه منطلق زيد .

وأما الذي — فهو للإشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة^(٥)
كقولك : ذهب الرجل الذي أبوه منطلق، وهو تحقيق قولهم : إنه يُستعمل لوصف
المعارف بالجل . والتصديق والتكذيب يتوجهان الى خبر المبتدأ لا إلى صفته، فاذا

(١) في الأصل : (الجر) وفيه تحريف ونقص .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها كما في حسن التوسل .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) في الأصل : (الابتداء) وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٥) في الأصل : «وأما الذي هو» بدون فاء، والصواب اثباتها كما تقتضيه القواعد .

كُتِبَ القائل في قوله : زيد بن عمرو كريم ، فالتكذيب لم يتوجه الى كونه ابن عمرو بل الى كونه كريما .

وأما التقديم والتأخير — قال : اذا قُدم الشيء على غيره فلما أن يكون في نية التأخير، كما اذا قدم الخبر على المبتدأ ؛ وإما أن يكون في نية التأخير ولكن أنتقل الشيء من حكم الى آخر، كما اذا جئت الى أسمين جاز أن يكون كل واحد منهما مبتدأ فجعلت أحدهما مبتدأ، كقولك : زيد المطلق، والمطلق زيد . قال الجرجاني : قال صاحب الكتاب : كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى ، وإن كانا جميعا مهماتهما ويعنيانهم ، مثاله : أن الناس اذا تعلق غرضهم بقتل خارجي مفسد ولا يباليون من صدر القتل منه ، وأراد مرید الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي [فيقول] : قتل الخارجي زيد، ولا يقول : قتل زيد. الخارجي لأنه يعلم أن قتل الخارجي هو الذي يعنينهم ، وإن كان قد وقع قتل من رجل يبعد في اعتقاد الناس وقوع القتل من مثله قدم الخبر ذكر الفاعل فيقول : قتل زيد رجلا لأعتقاد الناس في المذكور خلاف ذلك . انتهى كلام الجرجاني .

قال : ولنذكر ثلاثة مواضع يُعرف بها ما لم يُذكر :^(٢)

الأول الاستفهام — فإذا أدخلته على الفعل وقلت : أضربت زيدا ؟ كان الشك في وجود الفعل ، وإذا أدخلته على الأسم وقلت : أنت ضربت زيدا ؟ كان الفعل محققا والشك في تعيين الفاعل . وهكذا حكم النكرة ، فإذا قلت : أ جاءك رجل ؟ كان المقصود : هل وجد المحي من رجل ؟ فإذا قلت : أرجل جاءك ؟ كان ذلك سؤالاً عن جنس من جاء بعد الحكم بوجود المحي من إنسان ؛ وقس عليه

(١) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيا .

(٢) في الأصل : « بها لم تذكر » باسقاط « ما » والمقام يقتضى اثباتها كما في حسن التوسل .

- الخبر في قولك : ضربت زيدا ، وزيدا ضربت ، وجاءني رجل ، ورجل جاءني ؛ ثم الاستفهام قد يحىء للانكار ، فإن كان [في^(١)] الكلام فعل ماضٍ وأدخلت الاستفهام عليه كان لانكاره ، كقوله تعالى : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ وإن أدخلته على الاسم فإن لم يكن الفعل مترددا بينه وبين غيره كان لانكار أنه الفاعل ، ويلزم منه نفي ذلك الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ أى لو كان إِذْنٌ لكان من الله ، فلم لم يوجد منه دل على أن لا إِذْنَ ، كما تقول : متى كان هذا ، في ليل أم نهار ؟ أى لو كان لكان في ليل أو نهار ، فلما لم يوجد في واحد منهما لم يوجد أصلا ، وعليه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَكْرِمْ حَرَمَ أُمِّ الْأَنْثَيْنِ ﴾ . وإن كان مرددا بينه وبين غيره كان إما للتقرير والتوبيخ ، وعليه قوله تعالى حكاية عن قول ثمود : ﴿ هَآأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ . وإما لانكار أنه الفاعل مع تحقيق الفعل ، كقولك لمن اتحل شعرا : أأنت قلت هذا ؟ .

وان كان الفعل مضارعا ، فإن أدخلت حرف الاستفهام عليه كان إما لانكار وجوده ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْزَلْنَاهُ مَكُونًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ . أو لانكار أنه يقدر على الفعل ، كقول امرئ القيس :

- أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِقُ مُضَاجِعِي * وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ . ١٥

أو لإزالة طمع من طمع في أمر لا يكون ، فَيَجْهَلُهُ في طمعه ، كقولك : أيرضى عنك فلان وأنت على ما يكره ؟ . أو لتعنيف من يضيّع الحق ، كقول الشاعر :
أَتَرَكْتُ إِنْ قَلَّتْ دِرَاهِمُ خَالِدٍ * زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذْنٌ لِلشَّيْمِ^(٣)

(١) في الأصل : « فان كان الكلام » والزيادة عن حسن التوصل .

(٢) في الأصل : « أو » والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد .

(٣) كذا في الأصل . والذي في حسن التوصل ودلائل الإعجاز ص ٨٧ ط المنار « أترك » والبيت

لهارة بن عقيل بن بلال بن جرير في خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

أو لتنديم الفاعل ، كما تقول لمن يركب الخطرَ : أخرج في هذا الوقت ؟ .

وإن أدخلته على الاسم فهو لإنكار صدور الفعل من ذلك الفاعل إما للاستحقار كقولك : أنت تمنعني ؟ . أو للتعظيم كقولك : أهو يسأل الناس ؟ . أو للبالغة إما في كرمه ، كقولك : أهو يمنع سائله ؟ ؛ وإما في خساسته ، كقولك : أهو يسمح بمثل هذا ؟ . وقد يكون لبيان استحالة فعل ظن ممكنا ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى ﴾ وكذلك إذا أدخلته على المفعول ، كقوله تعالى : ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَحْسَدُ وَلِيًّا ﴾ و ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ ﴾ و ﴿ أَبَشَّرْنَا بِمَا وَاحِدًا تَبِعُهُ ﴾ .

الثاني في التقديم والتأخير في النفي — إذا أدخلت النفي على الفعل فقلت : ما ضربت زيدا فقد نفيت عن نفسك ضربا واقعا بزيد ، وهذا لا يقتضى كون زيد مضروبا .

وإذا أدخلته على الأسم فقلت : ما أنا ضربت زيدا أقتضى من باب دليل الخطاب كون زيد مضروبا ، وعليه قول المتنبي :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

ولهذا يصح أن تقول : ما ضربت إلا زيدا ، وما ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس ، ولا يصح أن تقول : ما أنا ضربت إلا زيدا ، وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس .

أما الأول فلا نقض النفي بآلا يقتضى أن تكون ضربته ، [وتقدمك ضميرك وإيلاؤه حرف النفي يقتضى ألا تكون ضربته] فيتدافعان .

(١) الكلمة عن حسن التوسل . والمقام يقتضيها . (٢) في حسن التوسل : « أن تكون »

بجذف لا الافية ، والسياق يقتضى اثباتها كما يستفاد من دلائل الإيجاز ص ٩٣ ط مطبعة المنار .

(٢٥)

وأما الثانى فلأن أول الكلام يقتضى أن يكون زيدٌ مَضْرُوبًا ، وآخره يقتضى ألا يكون مَضْرُوبًا فيتناقضان . إذا عُرِفَ هذا فى جانب الفاعل فإنه مثله فى جانب المفعول ، فإذا قلت : ما ضربتُ زيدا لم يَقْتَضِ أن تكون ضاربا لغيره ، وإذا قلت : ما زيدا ضربتُ اقتضى ذلك ، ولهذا صح ما ضربتُ زيدا ولا أحدا من الناس ولا يصح [ما] زيدا ضربتُ ولا أحدا من الناس .

وحكم الجار والمجرور حكم المفعول ، فإذا قلت : ما أمرتك بهذا لم يقتض أن تكون قد أمرته بشئ غير هذا ، وإذا قلت : ما بهذا أمرتك اقتضاه . وإذا قَدِّمْتَ صِيغَةَ العموم على السلب وقلت : كلُّ ذا لم أفعله ، برفع كلِّ كان نفيًا عامًا ، ويناقضه الإثبات الخاص ، فلو فعلتَ بعضه كنتَ كاذبا .

وإن قَدِّمْتَ السلب وقلت : لم أفعَلْ كلُّ ذا كان نفيًا للعموم ولا ينافى الإثبات الخاص ، فلو فعلتَ بعضه لم تكن كاذبا ، ومن هذا ظهر الفرق بين رفع كلِّ ونصبه فى قول أبى النجم :

قد أصبحت أم الخيار تدعى : على ذنبا كله لم أصنع

فإن رفعته كان النفي عامًا ، واستقام غرضُ الشاعر فى تبرئة نفسه من جملة الذنوب ، وإن نصبته كان النفي نفيًا للعموم ، وهو لا ينافى إثبات بعض الذنب فلا يتم غرضه .

الثالث فى التقديم والتأخير فى الخبر المثبت — ما تقدّم فى الاستفهام والنفي قائم هنا ، فإذا قَدِّمْتَ الاسم وقلت : زيد فعل وأنا فعلت فالقصد الى الفاعل ، إما لتخصيص ذلك الفعل به ، كقولك : أنا شَفَعْتُ فى شأنه مدعى الأفراد بذلك

أولنا كيد إثبات الفعل له لا للمحصر، كقولك : هو يعطى الجزيل، لتكن في نفس السامع أن ذلك دأبه دون نفيه عن غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ فإنه ليس المراد تخصيص المخلوقة بهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ نَجَرُوا بِهِ ﴾ وكقول درّنى بذت عبعة :

هما يلبسان المحمّد أحسن إِبْسَةٍ * شحيحان ما أسطاعا عليه كلاهما
وقول الآخر :

هموا يفرشون اللبد كل طِمْرَةٍ^(٢) * وأجرد سَبَاحٍ يَسْدُ^(٣) المغالب

قال : والسبب في هذا التأكيد أنك إذا قلت مثلاً : زيد ، فقد أشعرت بأنك تريد الحديث عنه فيحصل للسامع تشوّق إلى معرفته ، فإذا ذكرته قبلته النفس [قبول العاشق معشوقه] فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشك والشبهة ، ولهذا تقول لمن تعده : أنا أعطيك أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ، وذلك إذا كان من شأن من يسبق له وعد أن يعترضه الشك في وفائه ، ولذلك يقال في المدح : أنت تعطى الجزيل ، أنت تجود حين لا يجود أحد ، ومن هاهنا تعرف الفخامة في الجمل التي فيها ضمير الشأن والقصة كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ وأن فيها ما ليس في قولك : فإن الأبصار لا تعمى ، وإن الكافرين لا يفلحون ؛ وهكذا

(١) في الأصل وفي حسن التوسل : «عنقة» بناء من مثلثين ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن القاموس . (٢) هي الطويلة القوائم الخفيفة من الأفراس . (٣) في الأصل : «يسد المعاليا» وفي حسن التوسل : «يسد المعاليا» وهو تحريف في كليهما ، والتصويب عن دلائل الإيجاز ص ٩٥ ط المار . ويبد بالذال المعجمة : يغلب . (٤) التكلة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلها عن حسن التوسل إذ بها بنم التعليل ، فإن محرد قبول النفس لا يكفي في تعليل هذا التأكيد .

في الخبر المنفي، فإذا قلت : أنت لا تُحسِنُ هذا ، كان أبلغ من قولك لا تُحسِنُ هذا ، فالأول لمن هو أشد إعجاباً بنفسه وأكثر دعوى بأنه يُحسِن .

قال : واعلم أنه قد يكون تقديم الأسم كاللازم نحو قوله :
يا عاذلي دعني من عدلكا * مثلي لا يقبل من مثلكا

وقول المتنبي :

مِثْلُكَ يَنْتِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ * وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ
(١)
وقول الناس : مِثْلُكَ يَرَى الْحَقَّ وَالْحَرَمَةَ ، وما أشبه ذلك مما لا يُقْصَدُ فِيهِ
إلى إنسان سوى الذي أُضيف إليه وجيء به للمبالغة ، وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى
فقال :

ولم أقل مِثْلُكَ أعني به * سواك يا فردًا بلا مُشَبِّهِ .

وكذلك حكم « غير » إذا سلك فيه هذا المسلك ، كقول المتنبي :

(٢١)

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَخْدَعُ * إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا
(٢)
أى لستُ ممن يخدع ويفتر ، ولو لم يقدم مثلاً وغيراً في هذه الصور لم يؤدَّ
هذا المعنى .

قال : ويقرب من هذا المعنى تقديم بعض المفعولات على بعض في نحو قوله
تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ فإن تقديم شركاء على الجن أفاد أنه ما ينبغي لله
شركاء لا من الجن ولا من غيرهم ، لأن شركاء مفعول ثان لجعلوا ، ولله متعلق به
والجن مفعوله الأول ، فقد جعل الإنكار على جعل الشريك لله على الإطلاق من غير
اختصاص بشيء دون شيء ، لأن الصفة إذا ذكرت مجرّدة عن مجراها على شيء كان

(١) في الأصل : « الالمى » . وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « يقل » . وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في حسن التوسل .

(١)

الذى تعلق بها من المنفى عاما في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة، فإذا قلت : ما في الدار كريم، كنت نفيت الكينونة في الدار عن كل شيء يكون الكرم صفة له، وحكم الإنكار أبدا حكم النفي، فاما إذا أخرت شركاء فقلت : وجعلوا الجن شركاء [لله فيكون جعلُ الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل أن يكون المقصود بالإنكار جعل الجن شركاء] لا جعل غيرهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فقدم شركاء نفيا لهذا الاحتمال .

فصل في مواضع التقديم والتأخير

قال : أما التقديم فيحسن في مواضع :

الأول : أن تكون الحاجة إلى ذكره أشد، كقولك : قطع اللص الأمير .

الثاني : أن يكون ذلك أليق بما قبله من الكلام أو بما بعده، كقوله تعالى : ((وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ)) فإنه أشكل بما بعده وهو قوله : ((إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) وبما قبله وهو : ((مُقرِّنين في الأَصْفَادِ)) .

الثالث : أن يكون من الحروف التي لها صدر الكلام، كحروف الاستفهام والنفي، فإن الاستفهام طلب فهم الشيء، وهو حالة إضافية فلا تستقل بالمفهومية فيشتد اتصاله بما بعده .

الرابع : تقديم الكلي على جزئياته، فإن الشيء كلما كان أكثر عموما كان أعرف فإن الوجود لما كان أعم الأمور كان أعرفها عند العقل .

الخامس : تقديم الدليل على المدلول .

(١) في حسن التوسل : «من النفي» ، وهو أظهر .

(٢) في الأصل : «الانكار» ؛ وهو تحريف .

(٣) التكملة عن حسن التوسل ؛ ولا يستقيم المعنى بدونها .

(٤) في الأصل : «كلما أعم» ؛ وهو غير مستقيم، والتصويب عن حسن التوسل .

وأما التأخير فيحسُن^(١) في مواضع :

الأول : تمام الاسم كالصلة والمضاف اليه .

الثاني : توابع الأسماء .

الثالث : الفاعل .

- الرابع : المضمَر، وهو أن يكون متأخرا لفظا وتقديرا، كقولك : ضرب زيدُ غلامه .
أو مؤخرا في اللفظ مقدما في المعنى كقوله تعالى : ((وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ)) أو بالعكس
كقولك : ضرب غلامه زيد ، وإن تقدم لفظا ومعنى لم يحز كقولك : ضرب
غلامه زيدا .

الخامس : ما يُفِضِي إلى اللبس، كقولك : ضرب موسى عيسى ، أو أكرم هذا

١٠

هذا، فيجب فيه تقديم الفاعل .

السادس : العامل الذي هو ضعيف عمله ، كالصفة المشبهة والتمييز وما عمل فيه
حرف أو معنى ، كقولك : هو حسنٌ وجهها ، وكريمٌ أباء ، وتصيب عرقا ، وخمسة وعشرون
درهما ، وإن زيدا قائم ، وفي الدار سعد جالسا . ولا يجوز الفصل بين العامل
والمعمول بما ليس منه ، فلا تقول : كانت زيدا الحمى تأخذ إذا رفعت الحمى بكانت^(٢)
للفصل بين العامل وما عمل فيه ، فإن أضمرت الحمى في كانت صحت المسألة .

١٥

وأما الفصل والوصل — فهو العلم بمواضع العطف والاستئناف ، والتهدي
إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها ، وهو من أعظم أركان البلاغة ، حتى إن

(١) أراد بالحسن هنا ما يعم الوجوب .

(٢) في الأصل : « فكانت » ؛ بالفاء وهو تحريف .

بعضهم حدّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل . وقال عبد القاهر : إنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة .

قال : اعلم أن فائدة [العطف] ^(١) التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو ، ومنها ما يفيد فائدة زائدة كالفاء ^(٢)

٧٧

وتمّ وأو ، وغرضنا ها هنا متعلق بما لا يفيد إلا الاشتراك فنقول : العطف إما أن يكون في المفردات ، وهو يقتضى التشريك في الإعراب ، وإما أن يكون في الجمل ، وتلك الجملة إن كانت في قوة المفرد كقولك : مررت برجل خلقه حسن وخلقته

قبيح ، فقد أشركت بينهما في الإعراب [والمعنى] لا اشتراكهما في كون كل واحد منهما تقييدها للوصف ، ولا يتصور أن يكون اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك

معنى يقع ذلك الاشتراك فيه ، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حاله الأول عساه يعرف حاله الثاني ، يدلك على ذلك أنك إذا

عطف على الأول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يُذكر بذكره لم يستقم ، فلو قلت : خرجت اليوم من دارى ، وأحسن الذى [يقول] ^(٤) بيت كذا قلت ما يضحك منه ، ومن هاهنا عابوا على أبي تمام قوله :

لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم .

وإن لم تكن في قوة المفرد فهى على قسمين :

الأول أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الأخرى كما إذا كانت كالتركيب لها أو كالصفة ، فلا يجوز إدخال العاطف عليه ، لأن التوكيد والصفة

(١) الكلمة التى بين مربعين عن حسن التوسل ، واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : « ما لا يفيد » وهو غير مستقيم ، والصواب حذف اللام كما فى حسن التوسل .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيا . (٤) الزيادة عن حسن التوسل ، وصحة

التمثيل تقتضيا . (٥) فى الأصل : « الآخر » وصوابه ما أثبتنا .

متعلقان بالمؤكد والموصوف لذاتهما، والتعلق الذاتي يغني عن لفظ يدل على التعلق، فمثال التوكيد قوله تعالى: ﴿لَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فلا ريب فيه توكيد لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ كأنه قال: هو ذلك الكتاب، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تأكيد ثان أبلغ من الأول، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ولم يقل: ويخادعون، لأن الخداعة ليست شيئا غير قولهم: آمنا مع أنهم غير مؤمنين، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا﴾ ولم يقل تعالى: وكأن، وأمثال [ذلك] في القرآن العز بها كثيرة .

- ١٠ القسم الثاني ألا يكون بين الجملتين تعلق ذاتي، فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضا، لأن العطف للتشريك ولا تشريك، ومن هنا أيضا عابوا على أبي تمام البيت المتقدم، لا والذي هو عالم...، إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وبين كرم أبي الحسين، ولذلك لم يحسن جواز العاطف .
وإن كان بينهما مناسبة فيجب ذكر العاطف .

- ١٥ ثم إن كان المحذوثة عنه في الجملتين شيئين فالمناسبة بينهما إما أن تكون بالذي أخبر بهما، أو بالذي أخبر عنهما، أو بهما كليهما، وهذا الأخير هو المعتبر في العطف .
قال: ونعني بالمناسبة أن يكونا متشابهين، كقولك: زيد كاتب وعمرو [شاعر]^(١)
[أو متضادين تضادا على الخصوص، كقولك زيد طويل وعمرو قصير، وكقولك: العلم حسن والجهل قبيح، فلو قلت: زيد طويل والخليفة قصير لا آختل معنى عند

٢٠ (١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوصل، وتمام التثليل يقتضي إثباتها .

(٢) هذه النكبة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها كما في حسن التوصل .

ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة، ولو قلت : زيد طويل وعمر شاعر لا أختل لفظاً، إذ لا مناسبة بين الطويل القامة والشاعر .

وإن كان المحدث عنه في الجملتين شيئاً واحداً، كقولك : فلان يقول ويفعل ويضرب وينفع ، ويأمر وينهى ، ويسىء ويحسن ، فيجب إدخال العاطف فإن الغرض جعله فاعلاً لأمرين، فلو قلت : يقول يفعل بلا عاطف لتوهم أن الثانى رجوع عن الأول .

وإذا أفاد العاطف الاجتماع آزداد الاشتراك^(١)، كقولك : العجب من أنك أحسنت وأساءت، والعجب من أنك تنهى عن شيء وتأتى مثله، وكقوله :
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فإن المعنى جعل الفعلين فى حكم واحد، أى لا تطمعوا أن تروا إكرامنا إيانكم يوجب مع إهانته إيانا .

قال : وقد يجب إسقاط العاطف فى بعض المواضع لاختلال المعنى عند إثباته كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ فقوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ كلام مستأنف، وهو إخبار من الله تعالى، فلو أتى بالواو لكان إخباراً عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم يفسدون فيختل المعنى، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ وأمثال ذلك كثيرة؛ وإذا كان كذلك فلا حاجة الى العاطف بخلاف قوله تعالى : ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ فإن كل واحدة من الجملتين خبر عن الله تعالى .

قال : ومما يجب ذكره هاهنا الجملة إذا وقعت حالا فإنها تجيء مع الواو تارة وبدونها أخرى فنقول : الجملة اذا وقعت حالا فلا بد أن تكون خبرية تحتل الصدق والكذب^(١)، وهو على قسمين :

الأول وله أحوال :

- ٥ الأولى : أن يُجمع لها بين الواو وضمير صاحب الحال ، كقولك : جاء زيد ويده على غلامه ، ولقيت زيدا وفرسه سابقه ، وهذه الواو تسمى واو الحال .
- الثانية : أن تجيء بالضمير من غير واو ، كقولك : كلمته فوه الى في ، وهو في معنى مُشافِها ، والرابط الضمير ، فلو قلت : كلمته الى في فوه ، ولقيته عليه جبة وشي لم يكن من باب وقوع الجملة حالا ، لأنه يمكننا أن نرفع فوه وجبة بالجاز والمجرور فيرجع الكلام الى وقوع المفرد حالا ، والتقدير كلمته كائن الى في فوه ، ولقيته مستقرة عليه جبة وشي ، وعليه قول بشرار :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها * غدوت مع البازي على سواد.

- الثالثة : أن تجيء الواو من غير ضمير وهو كثير ، كقولك : لقيتك والجيش قادم وزرنا والشتاء خارج . ويجوز أن يُجمع بين حالين مفرد وجملة إذا أجزنا وقوع حالين كقولك : لقيتك راكبا والجيش قادم ، فالجملة حال من التاء أو من الكاف ، والعامل فيها لقيت ، أو من ضمير "راكبا" و"راكبا" هو العامل فيها .

القسم الثاني الجملة الفعلية ، ولا بد أن تكون ماضيا أو مضارعا أما الماضي فلا بد معه من الإتيان بالواو وقد أو بأحدهما ، كقولك : تكلمت وقد

(١) كذا في الأصل وحسن التوصل بتذكير الضمير . وهو عائد على الحال لا على الجملة ، والحال

يذكر ويؤنث . أنظر المصباح مادة «حال» .

عجلت ، وجاء زيد قد ضرب عمرا ، وجئت وأسرعت في المجيء ، قال الله تعالى :
 ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ولم يُجَزَّ البصريون خلوه عنهما ، وقالوا في قوله
 تعالى : ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ وفي قول أبي صخر الهذلي :
 وإني لتعروني لذكرائك هِزَّة * كما آنتَفَضَ العُصفور بلله القطر :

إِنَّ قَدْ مَقْدَرَةٌ فِيهِمَا ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُرِفَ مَوْضِعُهُ جَازَ حَذْفُهُ .

وأما المضارع فإن كان موجبا فلا يؤتى معه بالواو ، فقول : جاءني زيد
 يضحك ، ويحيى عمرو يسرع ، وأجلس تحدثنا بالرفع أى محدثا لنا ، لأنه بتجزيه
 عما يغير معناه أشبه اسم الفاعل إذا وقع حالا .

وإن كان منفيا جاز حذف الواو مراعاة لأصل الفعل الذي هو الإيجاب
 وجاز إثباتها ، لأن الفعل ليس هو الحال ، فإن معنى قولك : جلس زيد ولم يتكلم
 جلس زيد غير متكلم ، فجري مجرى الجملة الإسمية ، فالحذف كقولك : جاء
 زيد ما يقو به بنت شقة ، قال الله تعالى : ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
 فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فقلوه : لا يمسنا في موضع نصبٍ على الحال من
 ضمير المرفوع في أحلنا ، والإثبات كقولك : جلس زيد ولم يتكلم ، قال الله تعالى :
 ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ . قال : وشبهوا به الفعل
 الماضي فقالوا : جاء زيد ما ضرب عمرا ، وجاء زيد وما ضرب عمرا .

وأما الحذف والإضمار — فقد قال : الأفعال المتعدية التي ترك ذكر مفعولاتها
 على قسمين :

الأول : ألا يكون له مفعول معين ، فقد يترك مفعوله انظما وتقديرا ويُجعل حاله
 كحال غير المتعدى ، كقولهم : فلان يحلّ ويعقد ، ويأمر وينهى ، ويضر وينفع

(١) في الأصل : «إلا بالواو» وقوله : «إلا» زيادة من النسخ ، إذ هي تفيد خلاف المراد .

والمقصود إثبات المعنى في نفسه للشيء من غير التعرض لحديث المفعول، فكأنك قلت: بحيث يكون منه حل وعقد وأمر ونهى ونفع وضرر، وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن ينص على معلوم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكُ وَأَبْكَى﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ وبالجملة فمتى كان الغرض بيان حال الفاعل فقط فلا تعد الفعل، فإن تعديته تنقُض الغرض. ألا ترى أنك إذا قلت: فلان يعطي الدنانير كان المقصود بيان جنس ما يتناوله الإعطاء لا بيان حال كونه معطيا؟

الثاني: أن يكون له مفعول معلوم إلا أنه يُحذف في اللفظ لأغراض:
الأول: أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك الحال دأبه لا بيان المفعول كقول طُفيل:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملؤنا ولو أن أمنا * تلاقى الذي لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجؤا * إلى عجرات أدفات وأظلت

والأصل أن تقول: لملأنا وألجؤونا وأدفاتنا وأظلتنا، فحذف المفعول المعين من هذه المواضع الأربعة، وكأنه قد أبهم ولم يقصد قصد شيء يقع عليه، كما تقول: قد مل فلان، تريد قد دخل عليه الملال من غير أن تخص شيئا بل لا تريد على أن تجعل

(١) في حسن التوسل: «الفعل» والمعنى يستقيم على كليهما.
(٢) في الأصل: «من النقوش» بقاء مثناة وشين معجمة، وهو تحريف، والتصويب عن دلائل الإعجاز وغيره من كتب البلاغة والأدب.

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل. وعبرة دلائل الإعجاز ص ١١٥ ط المنار: «وكان الفعل قد أبهم أمره ولم يقصد به قصد شيء يقع عليه» وهي أظهر.

المَلَال من صفته ، فلذلك الشاعرُ جعل هذه الأوصافَ من دأبهم ، ولو أضاف الى مفعول معين لبطل هذا الغرض ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّْا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ فقد حذف المفعول في أربعة مواضع ، فإن ذكره ربما يُحِلّ بالمقصود ، فلو قال تعالى مثلاً : تذودان غنمهما لتوهم أن الإنكار إنما جاء من ذودهما الغنم لا من مطلق الذود ، كقولك : مالك تمنع أخاك ؟ فإن الإنكار من منع الأخ لا من مطلق المنع .

الثاني : أن يكون المقصود ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاماً بأنك لا تقصد ذكره كقول البحري :

شَجَوُ حَسَّادِهِ وَغِيْظُ عِدَائِهِ * أَنْ يَرَى مَبْصَرًا وَيَسْمَعَ وَاعٍ

المعنى أن يرى مبصر محاسنه ، أو يسمع واع أخباره ، ولكنه تغافل عن ذلك إيذاناً بأن فضائله يكفى فيها أن يقع عليها بصر أو يعيها سمع حتى يعلم أنه المتفرد بالفضائل ، فليس لحساده وعداءه أشيى من علم بأن هنا مبصراً وسماعاً .

الثالث : أن يُحذف لكونه بيتاً ، كقولهم : أصغيت اليك ، أى أذنى ، وأغضيت عليك ، أى جفنى .

فصل فى حذف المبتدأ والخبر

قال : قد يحسن حذف المبتدأ حيث يكون الغرض أنه قد بلغ فى استحقاق الوصف بما جعل وصفاً له الى حيث يعلم بالضرورة أن ذلك الوصف ليس إلا له سواء كان فى نفسه كذلك ، أم بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة ، فذكره

(١) فى الأصل : «أو» والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد ؛ قال فى معنى اللبيب ص ٢٤ ط الحلبي : إذا عطف بعد الهزة بأوفان كانت همزة التسوية لم يجز قياساً ، وقد أوقع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا : سواء كان كذا أو كذا ، وهو نظير قولهم : يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا ؛ والصواب العطف فى الأول بأمر ... الخ .

يُطِلُّ هذا الفرض، ولهذا قال الإمام عبدُ القاهر : ما من اسم يُحذفُ في الحالة التي ينبغي أن يُحذفَ فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره ، فمن حذف المبتدأ قوله تعالى : ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ (١) أي هذه سورة ، وقول الشاعر : لا يُعيد الله التلبُّب (٢) والتَّغَارَات (٣) إذ قال الخميس نَعَمْ

أي هذه نَعَمْ . قال عبدُ القاهر : ومن المواضع التي يطرَّد فيها حذف المبتدأ بالقطع والاستئناف أنهم يبدؤون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأوَّل ويستأنفون كلاماً [آخر] وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ ، مثال ذلك قوله :

وعلمتُ أنَّ يومَ ذا * كَ مُنَازِلٌ كَعِبا وَهَذَا
قوم إذا لبسوا الحديد تَمَزَّوْا خُلُقًا وَقَدْ

وقال الخطيئة :

هُمُ حَلَّوْا مِنَ الشَّرَفِ المَعْلَى * وَمِنْ حَسَبِ العَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا
بُنَاةٌ مَكَارِمَ وَأَسَاةٌ كَلَمٌ :: دِمَاؤُهُمْ مِنَ الكَلْبِ الشِّفَاءِ
وأمثله ذلك كثيرة .



- ١٥ (١) التلبب : التعزم بالسلاح ، يريد النهي للحرب . (٢) كذا في الأصل . وعبرة دلالة الإيجاز ص ١٠٦ ط المنار : «القطع والاستئناف يبدؤون» الخ بسقوط الباء وقوله : «أنهم» ، والمعنى يستقيم على كلتا العبارتين . (٣) الزيادة عن دلائل الإيجاز . (٤) في الأصل : «في ذلك» وقوله «في» زيادة من النسخ . (٥) كذا في الأصل بالخاء المعجمة . وفي دلائل الإيجاز ص ١٠٧ ط المنار : «حلقا» بالخاء المهملة ، والمعنى يستقيم على كل من الروايتين ، والفد بكسر القاف : الجلد . (٦) الكلب بالتحريك : داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا يعرض أحداً إلا الكلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً . وأراد الخطيئة بهذه العبارة وصف من يمدحهم بالشرف والسيادة ، قال الخياطي : إن الرجل الكلب يعرض إنساناً فيأتون رجلاً شريفاً فيقطر لهم من دم أصبعه فيسقون الكلب فيبرأ .
- ٢٠

ومن حذف الخبر قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أى لولا أنتم مضطرون
وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لولا على هلك عمر ، أى لولا على حاضر
أو مفت .

فصل

الإضمار على شريطة التفسير كقولهم : أكرمنى وأكرمت عبد الله
أى أكرمنى عبد الله وأكرمت عبد الله ، وما يشبه ذلك مفعول المشيئة اذا جاءت
بعد لو ، فإن كان مفعولها أمرا عظيما أو غريبا فالأولى ذكره ، كقوله :
ولو شئت أن أبكى دما لبكىته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع^(١)
فإن بكاء الإنسان دما عجيب ، وإن لم يكن كذلك فالأولى حذفه ، كقوله
تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ والتقدير لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى
لجمعهم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ
يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ و﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .
قال : واعلم أنه قد تترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة
كقول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السو * دد والمجد والمكارم مثلا ١٥

المعنى قد طلبنا لك مثلا ، ثم حذف ، لأن هذا المدح إنما يتم بنفى المثل ، فلو قال :
قد طلبنا لك مثلا فى السودد والمجد فلم نجده لكان قد أوقع نفى الوجود على ضمير
المثل ، فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا أوقعه على صريح المثل ، فإن الكناية لا تبلغ مبلغ

(١) البيت للجزيمى ، وهو إسحاق بن حسان ، ويكنى بأبى يعقوب ، وكان من العجم ، وكان مولى
ابن خزيم الذى يقال لأبيه خزيم الناعم . وهذا البيت من قصيدة يرقى بها أبا الهيثم ، وهو عامر بن
عمارة الخزيمى ، وهو والد موسى بن عامر المحدث . أنظر معاهد النصيب ص ١١٣ و ١١٦ ط بولاق .

الصريح ، ولهذا لوقلت : وبالحق أنزلناه وبه نزل ، وقل هو الله أحد وهو الصمد لا تجد من الفخامة ما تجده في قوله تعالى : ﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وعلى ذلك قول الشاعر :

لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيءٌ * نَقَصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرا .

وأما مباحث إن وإنما — فإنه قال : أما إن فلها فوائد :

- ٥ الأولى أن تربط الجملة الثانية بالأولى ، وبسببها يحصل التأليف بينهما حتى كأن الكلامين أفرغا إفراغا واحدا ، ولو أسقطتها كان الشانئ نائيا عن الأول ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . وقوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ وقد تكرر في كلام واحد ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . ثم متى أسقطت « إن » من الجملة التي أدخلتها عليها ، فإن كانت الجملة الثانية إنما تذكر لإظهار فائدة ما قبلها كما في الآيات المذكورة احتجت إلى الفاء ، وإلا فلا ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ فلو قلت :
- ١٥ فالمتقون لم يكن كلاما ، وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ في موضع خبر إن ، فدخل الفاء يوجب عطف الخبر على المبتدأ ، وهو غير جائز عند أكثر النحويين .

الثانية : أنك ترى لضمير الشأن والقصة في الجملة الشرطية مع «إِنَّ» من الحسن واللفظ ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليها ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

الثالثة : أنها تهيب النكرة وتصلحها لأن يحدث عنها ، كقوله :
إِنَّ شِوَاءَ وَنَشِوَةٍ * وَخَبُّ الْبَازِ الْأُمُونِ^(٢)

فلولا هي لم يكن كلاما ؛ وإن كانت النكرة موصوفة جاز حذفها ولكن دخولها أصلح ، كقول حسن :

إِنَّ دَهْرًا يُلْفُ شَمْلِي بِجُلٍ * لَزِمَانِيَهُم بِالْإِحْسَانِ .

الرابعة : أنها قد تُغني عن الخبر ، كما إذا قيل لك : الناس إِبْ عَلَيْكُمْ فهل لكم أحد؟ فقلت : إِنَّ زَيْدًا وَإِنَّ عَمْرًا ، أَى لَنَا ، قال الأعشى :
إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلًا * وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا .

(١) البيت لسلي بن ربيعة .

(٢) الخب هو المراحة بين اليدين والرجلين في السير ، وهو نقل الأيمن جميعا والأيسر جميعا فيه . والأُمُون : النافة الوثيقة الخلق ، المأمونة العثار والإعياء ، جمعه أُمْن ككتب .

(٣) الإلب بكسر الهمزة ، وفتح في لغة : الجماعة .

(٤) هو الأعشى الأكبر واسمه ميمون بن قيس بن جندل بفتح الجيم .

(٥) كذا في الأصل وحسن التوصل . والذي في معاهد التنصيص ص ٩٢ ط بلاق : (وإن

في شعر من مضى مثلا) وكلتا الروايتين تؤدّي معنى صحيحا ؛ ورواية اللسان مادة «حلل» : «وإن في السفر ما مضى مهلا» ، وقال في تفسيره : أراد بالسفر الذين ماتوا فصاروا في البرزخ ، والمهل : البقاء والانتظار .

الخامسة : قال المُبرّد : اذا قلت عبد الله قائم ، فهو إخبار عن قيامه ، فاذا قلت :
 إن عبد الله قائم ، فهو جواب عن إنكار مُنكر لقيامه ، سواء كان المنكر هو السائل
 أو الحاضرين ؛ والدليل على أن إن^(١) إنما تذكر لجواب السائل أنهم ألزموها الجملة من
 المبتدأ والخبر ، نحو : والله إن زيدا لمنطلق ، فالحاجة إنما تدعو الى « إن » اذا كان
 للسامع ظن يخالف ذلك ، ولذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمر يبعد^(٢) ، كقول
 أبي نواس :

عليك بالياس من الناس * إن غنى نفسك في الياس .

ومن لطيف مواقعها أن يُدعى على المخاطب ظن^(٣) لم يظنه ولكن [صدر] منه فعل
 يقتضى ذلك الظن^(٤) ، فيقال له : حالك تقتضى أن تكون قد ظننت ذلك ، كقول
 الشاعر^(٤) :

جاء شقيق عارضا رحمه * إن بنى عمك فيهم رماح

أى مجيئك هذا مُدلاً بنفسك مجيء من يعتقده أنه ليس مع أحد ربح غيره .
 وقد تجيء اذا وُجد أمر كان المتكلم يظن أنه لا يوجد ، كقولك للشيء الذى يراه المخاطب
 ويسمعه : إنه كان من الأمر ما ترى ، إنه كان منى إليه إحسان فقابلنى بالسوء^(٥)
 كأنك ترد على نفسك ظنك الذى ظننت ، وعليه قوله عز وجل حكاية عن أم مريم :
 ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ وحكاية عن نوح : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَوِّى كَذَّبُون ﴾ .

(١) فى الأصل : « بأن » ؛ والباء زيادة من الناصح .

(٢) فى الأصل : « يفد » ، وفى حسن التوسل : « متعد » وهو تحريف عن كليهما .

(٣) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضى اثباتها . انظر حسن التوسل

ص ٣٩ ط الوهاية .

(٤) هو جمل بن فضلة .

(٥) كذا فى حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهاية . والذى فى الأصل : « له » .

وأما إنما - فتارة تجيء للحصر بمعنى أن هذا الحكم لا يوجد في غير المذكور وهي بمنزلة ليس إلا، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ﴾ .

وتارة تجيء لبيان أن هذا الأمر ظاهر عند كل حد، سواء كان كذلك أم فزعم المتكلم، ومنه قول الشاعر :^(٢)

إنما مُصْعَبُ شِهَابٍ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

مدعى أن ذلك مما لا ينكره أحد من الناس . قال : وأعلم أنه يُستعمل للتخصيص ثلاث عبارات :

الأولى : إنما جاء زيد،

الثانية : جاءني زيد لا عمرو، والفرق أن في الأولى يفهم إيجاب الفعل من زيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة، ومن الثانية دفتين، ثم إنهما كلتيهما يُستعملان لإثبات التخصيص لا لنفي التشريك، وفيه نظر .

الثالثة : ما جاءني إلا زيد، وهي بأصل الوضع تفيد نفي التشريك، ولهذا لا يصح ما زيد إلا قائم لا قاعد، لأنك بقولك : إلا قائم نفيت عنه كل صفة تنافي القيام، فيندرج فيه نفي القعود، فإذا قلت بعده : لا قاعد كان تكرارا لأن لفظة « لا » موضوعة لأن ينفى بها ما أوجب الأول لا لأن يعاد بها نفي ما نفى أولا، ويصح إنما زيد قاعد لا قائم، لأن صيغة « إنما » بأصل وضعها تدل على تخصيص الحكم بالمذكور،

(١) في الأصل : « أو » ؛ والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد، انظر معنى اللبيب ص ٢٤ ط الحلبي

(٢) هو عبد الله بن قيس الرقيات، قاله في مصعب بن الزبير، وكان منقطعا إليه كثير المدح له .

(٣) في الأصل : « كلاهما » بالألف، واللغة تقتضي ما أثبتنا .

(٤) في حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية : « يفاد » بالفاء الموحدة ؛ والمعنى يستقيم على كلتيهما

وأما نفى الشركة فهو لازم من لوازمها، فليس له من القوة ما يبدل عليه بوضعه،
ولهذا يصح: زيد هو الجاني لا عمرو، فثبت أن دلالة الأولين على التخصيص
أقوى، ودلالة الثالثة على نفى التشريك [أقوى^(٢)]، لكن الثالثة قد تقام مقام الأولين
في إفادة التخصيص، كما إذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قلت بخلافه، فقلت له:
ما قلت الآن إلا ما قلته قبل، وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام:
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتني به شيئاً، ولكن
المعنى أنى لم أدع مما أمرتني به [أن] أقوله شيئاً.

قال: وحكم «غير» حكم «إلا» فإذا قلت: ما جاءنى غير زيد أحتمل أن يكون
المراد نفى أن يكون جاء معه إنسان آخر، وأن يكون المراد تخصيص الحكم بالمذكور
لا نفيه عما عداه.

١٠

فصل



إذا دخل ما وإلا على الجملة المشتملة على المنصوب كان المقصود
بالذكر ما اتصل بإلا متأخراً عنها، فإذا قلت: ما ضرب عمراً إلا زيد، فالمقصود
المرفوع، وإذا قلت: ما ضرب زيد إلا عمراً، فالمقصود المنصوب، وإذا قلت:
ما ضرب [إلا] زيد عمراً، فالاختصاص للضارب، وإذا قلت: ما ضرب إلا زيداً
عمرو، فالاختصاص للضروب، فإذا قلت: لم أكس إلا زيداً جبة، فالمعنى تخصيص

١٥

(١) في الأصل: «الجاني» وهو تحريف.

(٢) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل، وقد نقلناها عن حسن التوسل، والمقام يقتضى إثباتها.

(٣) عبارة الأصل: «به أقوله» بسقوط لفظة «أن»؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل من نسخه
المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٧ أدب.

٢٠

(٤) في الأصل: «من الذكر»؛ والسياق يقتضى الباء، كما أثبتنا.

(٥) الكلمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل، وصحة التمثيل تقتضيها.

زيد من بين الناس يكسوة الجبة، وإن قلت : لم أكس إلا جبة زيدا، فالمعنى تختص كسوة الجبة من بين الناس بزيد؛ وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد المفعولين جاراً ومجروراً، كقول السيد الحميري :

لو خير المنبر فُرساًنه * ما أختار إلا منكم فارساً.

وكذلك حكم المبتدأ والخبر والفعل والفاعل، كقولك : ما زيد إلا قائم، وما قام

إلا زيد .

وأما إنما فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر، فإذا قلت : إنما ضرب زيدا عمرو فالاختصاص في الضارب، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فالغرض بيان المرفوع وهو أن الخاشين هم العلماء، ولو قدم المرفوع لصار المقصود بيان المخشاة منه، والأول اتم، ومنه قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما * يدافع عن أحسابكم أنا أو مثلى

فإن غرضه أن يحصر المدافع بأنه هو لا المدافع عنه، ولو قال : إنما أنا أدافع عن أحسابكم، توجه التخصيص الى المدافع عنه؛ [وحكم المبتدأ والخبر] إذا أدخلت عليهما إنما، فإن قدمت الخبر فالاختصاص للمبتدأ، وإن لم تقدمه فللخبر، فإذا قلت : إنما هذا لك فالاختصاص في "لك"، بدليل أنك بعده تقول : لا لغيرك، فإذا قلت إنما لك هذا فالاختصاص في "هذا"، بدليل أنك بعده تقول : لا ذاك، وعليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَستَازِدُونَكَ ﴾ فالاختصاص في الآية الأولى للبلّاغ والحساب، وفي الثانية في الخبر الذى هو على الذين دون المبتدأ الذى هو السبيل .

(١) هذه التكملة الموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل ؛ وسياق الكلام يقتضيا .

(٢) فى الأصل : « ذلك » وهو محرف .

وإذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعل لا يصح إلا من المذكور، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾؛ ثم قد يجتمع معه حرف النفي، إما متأخرا عنه كقولك، إنما يحيى زيد لا عمرو: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لِّسِتَ عَلَيْهِمْ يُصِطِرُ﴾ وقال لبيد:

فإذا جوزيت قرضا فأجزه * إنما يحزى الفتى ليس الجمل^(١)

وإما مقدما عليه، كقولك: ما جاءني زيد وإنما جاءني عمرو، فهذا لو لم تقل: إنما، وقلت: ما جاءني زيد وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن أنهما جاءك جميعا، وإذا أدخلتها فإن الكلام مع من غلط في الجأى أنه زيد لا عمرو.

قال: واعلم أن أقوى ما تكون «إنما» إذا كان لا يراد بالكلام الذى بعدها نفس

معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، فإننا نعلم أنه ليس الغرض من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار

ويقال لهم: إنهم من فرط العناد فى حكم من ليس بذى عقل، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ

مُنذِرٌ مِّنْ نَّحْشَاهَا﴾ و﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ والتقدير إن من لم تكن

له هذه الخشية، فهو كمن لم تكن له أذن تسمع وقلب يعقل، فالإنذار معه كلا إنذار،

وهذا الغرض لا يحصل دون «إنما» لأن من شأنها تضمين الكلام معنى النفي بعد

الإثبات، فإذا أسقطت لم يبق إلا إثبات الحكم للذكورين، فلا يدل على نفيه [عن]^(٢)

غيرهم إلا أن يذكّر فى معرض مدح الإنسان بالتيقظ والكرم وأمثالها، كما يقال:

كذلك يفعل العاقل، هكذا يفعل الكريم.

(١) مجز هذا البيت يضرب مثلا فى المكافأة، والمراد: إنما يحزى بك من فيه إنسانية لا بهيمية.

(٢) فى الأصل: «وما تقدم» وهو تحريف. (٣) عبارة الأصل وحسن التوسل:

«نفى غيرهم» وفيها نقص لا يستقيم به المعنى. وما أثبتناه تقتضيه صحة العبارة، وما قبله يؤيده.

تنبيه — قال : كاد تقرب الفعل من الوقوع ، فنفيها ينفي القرب ، فإن لم يكن في الكلام دليل على الوقوع فيفيد نفي الوقوع ونفي القرب منه ، كقوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا﴾ [أى لم يرها^(١)] ولم يقارب رؤيتها ، وكقول ذى الرمة :

إذا غيّر النأى المحبين لم يكذ^(٢) * رسيس الهوى من حب مية يبرح^(٣)
المعنى أن براح حبها لم يقارب الكون فضلا عن أن يكون .

وأما النظم — فهو عبارة عن تونخى معانى النحوفيا بين الكلم ، وذلك أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو بأن تنظر في كل باب إلى قواينه والفروق التى بين معانى اختلاف صيغه^(٤) ، وتضع الحروف مواضعها وتراعى شرائط التقديم والتأخير ، ومواضع الفصل والوصل ، ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها ، وتعتبر الإصابة في طريق التشبيه والتمثيل .

وقد أطبق العلماء على تعظيم شأن النظم ، وأن لا فضل مع عدمه ولو بلغ الكلام في غرابة معناه إلى ما بلغ ، وأن سبب فساد^(٥) [ترك] العمل بقوانين النحو وأستعمال الشئ في غير موضعه .

ثم قال : الجمل الكثيرة إذا نظمت نظما واحدا فهى على قسمين :
الأول : أن لا يتعلّق البعض ببعض ولا يحتاج واضعه إلى فكر وروية في أستخراجه ، بل هو كمن عمّد إلى الآلى ينظمها في سلك ، ومثاله قول الجاحظ

(١) التكلة الموضوعية بين مربعين عن حسن التوسل ؛ والمقام يقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : « ما » والنصوب عن حسن التوسل وعيره . وريس الهوى : بقيته وأثره ،

أو هو الثابت الذى قد لزم مكانه ولم يبرحه .

(٣) في الأصل : « مقاربتا » وهو تحريف ؛ والنصوب عن حسن التوسل .

(٤) في الأصل : « صنعت » ؛ وهو تحريف .

(٥) الكلمة الموضوعية بين مربعين عن حسن التوسل ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

في مصنفاته : جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبُهَةَ ، وعصمك من الخيِّرة ، وجعل بينك وبين المعروف تَسْبِيًا ، وبين الصدق سببًا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ الْإِنْصَافَ وَأَذَاكَ حَلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ بَرْدَ الْيَقِينِ ، وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الطَّمَعِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذَّلَّةِ ، وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ . وكقول النابغة للنعمان وتفضيله إياه على ذى فأنس يزيد بن أبي جَفْنَةَ^(١) ، وكقول حسَّان ابن ثابت للحارث الجفني يفعله على النعمان بن المنذر ، وكقول ضرار بن صَمْرَةَ لمعاوية في وصف عليّ ؛ وقد تقدّم شرح أقوالهم في الباب الأوّل من القسم الثالث من هذا الفن في المدح ، وهو في السِّفَرِ الثالث فلا حاجة بنا الى إعادته . وهذا النظم لا يستحقّ الفضل إلا بسلامة معناه وسلامة ألفاظه ، إذ ليس فيه معنى دقيق لا يدركه إلا بثناقب الفكر .

قال : وربما طُنَّ بالكلام أنه من هذا الجنس ولا يكون منه ، كقول الشاعر :
سالت عليه شعابُ الحَيِّ حين دعا * أنصاره بوجوه كاللدنانير^(٢)
فإن الحسن فيه ليس مُجَوِّدَ الاستعارة ، بل لما في الكلام من التقديم والتأخير ، ولهذا لو أزلت ذلك وقلت : سالت شعابُ الحَيِّ بوجوه كاللدنانير عليه حين دعا أنصاره ، فإنه يذهب بالحسن والحلاوة .

(١) كذا في الأصل . وصوابه سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يعصب بن مالك ، وكان النابغة منقطعاً اليه قبل اتصاله بالنعمان ، كما في السفر الثالث من هذا الكتاب الذي أحال عليه . وفأنس : موضع باليمن كان يحببه سلامة بن يزيد كما في شرح القاموس . وقال ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٨٤٩ ط المدرسة الحروسية بمدينة غنتغة : « وفأنس واد في أرض اليمن » ، وبه سمى سلامة بن يزيد بن عريب بن تريم بن مرثد : ذا فأنس .

(٢) في حسن التوسل ص ١ ط الوهاية : « وسلاسة » بالسین المهملة ، والمعنى يستقيم على كل منهما .

(٣) في الأصل : « الكتاب » وهو بحر ب ف .

الثانى : أن تكون الجمل المذكورة يتعلّق بعضها ببعض ، وهناك تَظْهَرُ رَقُودُ الطبع ، وجَوْدَةُ القريحة ، وأَسْتِقَامَةُ الذّهن .

ثم [ليس] لهذا الباب قانون يُحَفَظُ ، فإنه يحىء على وجوه شتى :

منها الإيجاز ، وهو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ، وهو على ضربين : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف ، وقد تقدّم الكلام على ذلك وذكر أمثله عند ذكر الفصاحة .

ومنها التأكيد — وهو تَقْوِيَةُ المعنى وتقريره ، إما بإظهار البرهان ، كقول قابوس :

يا ذا الذى بَصُرَوف الدهر عَيْرَنَا * هل عاند الدهرُ إلا من له خَطَرُ
أما ترى البحر تعلو فوقه جَيْفٌ * وتَسْتَقِرُّ بأقصى قعره الدَّرر
وفى السماء نجوم ما لها عَدَدٌ * وليس يُخَسِّفُ إلا الشمس والقمر
وإما بالعزيمة ، كقوله تعالى : (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ) وقوله تعالى : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) وكقول الأَشْتر النُّخَعِي :

بَقِيْتُ وَفَرَى وَأَنحَرْتُ عن العلا * ولقيتُ أضيافى بوجه عبوس
إن لم أَشْنُ على ابن حرب غارة * لم تَحُلْ يوما من نهاب نفوس
يريد معاوية بن أبى سفيان ، وكقول أبى نواس .

لا فرج الله عني إن مددت يدي * إليه أسأله من حبك الفرجا

٣٤

(١) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها . انظر حسن التوسل ص ٤١ ط الوهاية .

(٢) فى الأصل وفى حسن التوسل : « غير ذى عدد » ، وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن الذخيرة لابن هشام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٨ أدب .

وكقول أبي تمام :

حُرِمْتُ مَنًى منك إن كان ذا الذى * تقوله الواشون حقاً كما قالوا .

أو بالتكرار، كقولهم : الله الله ، والأسد الأسد ، وكقول الحادِرة^(١) :

أطاعنةً وما تودّعنا هندُ * وهند أتى من دونها التأى والبعد

وهذا فى التزئيل كثير، والعلم فيه سورة الرحمن .

وأما التجنيس — فهو يتشعب منه شعب كثيرة :

فمنه المستوفى التام — وهو أن يحىء المتكلم بكلمتين متفتحتين لفظاً، مختلفتين

معنى ، لانتفاوت فى تركيبهما ، ولا أختلاف فى حركاتهما ، كقول الغزوى :

لم يبق غيرك إنسان يلاذبه * فلا يرحت لعين الدهر إنسانا

وقول عبدالله بن طاهر :

وإئى للنفير الخوف لكالى * وللنفير يجرى ظلمه كرشوف^(٢)

وكقول البستى :

سما وحى بنى ساي وحام * فليس كشله سام وحامى

وذكر التبريزى أن التجنيس المستوفى كقول أبى تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه * يحيا لدى يحيى بن عبد الله

وقال : وإنما عُد من هذا الباب لأختلاف المعنيين ، لأن أحدهما فعل ،

والآخر أسم .

(١) هو قطبة بن أوس العلبي ، والحادرة لقبه .

(٢) الظلم بفتح الظاء المعجمة : ماء الأسان وبريقها .

ومنه المختلف — ويسمى التجنيس الناقص — وهو مثل الأول في اتفاق حروف الكلمتين إلا أنه يخالفه : إما في هيئة الحركة، كقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي"؛ وكقول معاذ رضى الله عنه : الدين يهدم الدين؛ وكقولهم : جبة البرد جنة البرد؛ وكقولهم : الصديق الصدوق أول العقد وواسطة العقد؛ وكقول المعترى :

لغيرى زكاة من جمال فإن تكن * زكاة جمال فازكرى ابن سبيل
أو بالحركة والسكون، كقولهم : البدعة شرك الشرك . أو بالتخفيف والنشديد كقولهم : الجاهل إما مفريط وإما مفرط .

ومنه المذيل — ويقال له : التجنيس الزائد والناقص أيضا — وهو أن تجيء بكلمتين متجانستى اللفظ متفقتى الحركات، غير أنهما يختلفان بحرف، إما في آخرهما كقولك : فلان حامٍ حاملٌ لأعباء الأمور، كافٍ كافٍ لمصالح الجمهور؛ وقولهم : أنا من زمانى فى زمانه ، ومن إخوانى فى خيانه ؛ وقولهم : فلان سالى عن إخوانه ، سالم من زمانه ؛ ومن النظم قول أبى تمام :

يُمَدُّون من أيِّد عواصٍ عواصمٍ * تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضبٍ
وقولُ البحترى :

لئن صَدَفْتُ عَنَّا فَرُبَّتْ أَنفُسُ * صَوَادٍ إِلَى تِلْكَ النُّفُوسِ الصَّوَادِ
وإما من أولها، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْتَقَتْ السَّاقِ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ﴾
ومن النظم ما أنشده عبد القاهر :

وكم سَبَقْتُ منه إلى عوارف * ثنائى من تلك العوارف وارِفُ

وكم غُرِرْتُ من برِّه ولطائف * لشكرى على تلك اللطائف طائف .

(١) كذا فى الأصل وحسن التوسل . ووجه التمثيل بها خفى ، و الظاهر أن محل التمثيل أول العبارة .

(٢) كذا فى الأصل وخزانة الأدب للمصموى ص ٣٤ ط بولاق ؛ والدى فى حسن التوسل : « من أحزانه » .

ومنه المركب وهو على ضربين :

الأول : ما هو متشابه لفظا وخطا ، كقولهم : هَيْتَكَ الْهَيْمَةُ الْفَاتَرَةُ ، وفي صميم قلبك الْفَاتَرَةُ ، ومن النظم قول البُسْتِيّ :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبُهُ * فَدَعَهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبُهُ

وقول الآخر :

عَضْنَا الدَّهْرَ بِنَابِهِ * لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ

وقول طاهر البَصْرِيّ :

نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاطِرَاهُ * أَوْدَعَانِي رَهْنًا بِمَا أَوْدَعَانِي .

الثاني : ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى التَجْنِيسَ [المفروق ^(١)] ، كقوله :

كُنْتُ أَطْمَعُ فِي تَجْرِيكِ ، وَمَطَايَا الْجَهْلِ تَجْرِي بِكَ ؛

ومن النظم قول الشاعر :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرِّوَاةِ قَصِيدَةً * مَا لَمْ تَكُنْ بِالْفَتْ فِي تَهْذِيبِهَا

فَإِذَا عَرَضْتَ الْقَوْلَ غَيْرَ مَهْدَّبٍ * عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوَسَا تَهْدِي بِهَا

وأمثال ذلك كثيرة .

ومن أنواع المركب المرفق ، وهو أن تجمع بين كلمتين إحداهما أقصر من

الأخرى ، فتضم إلى القصيرة حرفا من حروف المعاني أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركا التجنيس ، كده ولهم :

يَا مَغْرُورَ أَمْسِكْ ، وَقِسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ ؛

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُ الْهَمْدَانِيّ :

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا حَظٌّ فِي دَرَكِ دَرَكٍ ، نَخْلَصْنَا مِنْ شَرِّكَ شَرِّكَ ؛

(١) الكلمة التي بين مربعين عن حسن التوسل ص ٤٤ ط الرهاية ؛ واستقامة الكلام تقضي لمباتها .

وقول الحريري :

إِنْ أَخَلَيْتَ مِنَّا مَبَارِكَ مَبَارِكَ، نَخْلَصْنَا مِنْ مَعَارِكِ مَعَارِكَ؛

ومن النظم قول البستي :

فَهِمْتُ كِتَابَكَ يَا سَيِّدِي * فَهِمْتُ وَلَا عَجَبٌ أَنْ أَهْمَا

ومنه قول الآخر :

ذَوْرَاحَةٌ وَكَفَّتْ نَدَى وَكَفَّتْ رَدَى * وَقَضَتْ يَهْلِكَ عُدَاتُهُ وَعِدَاتُهُ

كَالْغَيْثِ فِي إِرْوَانِهِ وَرُوَانِهِ * وَاللَيْثِ فِي وَثْبَاتِهِ وَثْبَانِهِ.

ومنه المزدوج — ويقال له التجنيس المردّد والمكرر أيضا — وهو أن يأتي

في أواخر الأتباع وقوافي الأبيات بلفظتين متجانستين إحداهما نيمية الأخرى

وبعضها، كقولهم : الشراب بغير النغم غم، وبغير الدسم سم؛

وقول البستي :

أَبَا الْعَبَّاسَ لَا تَحْسَبْ لَشَيْئِي ^(١) * بَأْنِي مِنْ حُلَى الْأَشْعَارِ عَارِي

فَلِي طَبْعٌ كَسَلْسَالٍ مَعِينٍ * زُلَالٌ مِنْ ذُرَى الْأَحْجَارِ جَارِي

إِذَا مَا أَكْبَتِ الْأَدْوَارَ زَنْدًا * فَلِي زَنْدٌ عَلَى الْأَدْوَارِ وَارِي.

ومن أجناس التجنيس المصحف — ويقال له تجنيس الخط أيضا —

وهو أن تأتي بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظا، كقوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾

وقوله صلى الله عليه وسلم : «عليكم بالأبكار فإنهن أشد حبا وأقل خبا» وقول [النبي

صلى الله عليه وسلم] ^(٢) «لعلّى رضى الله عنه : قَصْرٌ مِنْ ثِيَابِكَ فَإِنَّهُ أَبْقَى وَأَنْقَى وَأَنْقَى».

(١) في حسن التوسل : « لشيء » بالباء، وهو تحريف . (٢) عبارة الأصل وحسن

التوسل : « وقول على » وفيها نقص ؛ والتكلمة عن خزنة الأدب للمحوى ص ٤٤ ط بولاق .

وكقول أبي فراس :

من بحر شعرك أعترف * وبفضل علمك أعترف .

ومنه المضارع - ويسمى المَطَّع - وهو أن يُجاء بالكلمة ويبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها، فقطع في أنها مثلاً، فتخالفها بحرف، ويسمى المَطَّرَف وهو أن تجمع بين كلمتين متجانستين لا تَفَاوَتْ بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتقاربة، سواء وقع آخرًا أو حشواً، كقوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير » ومنه قول الخطيئة :

مَطَّاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَطَّاعِيمُ فِي الدَّجَى * بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدَّ وَقَوْلُ الْبَحْتَرَى :



١٠ ظَلِمْتُ أَرْجَمُ فَيْكَ الظَّنُون * أَحَاجُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهُ؟

(١) وإن كان التفاوت بغير المتقاربة سَمِيَ التَّجْنِيسَ اللاحق، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وقولُ الْبَحْتَرَى :

هَلْ لِمَا فَاتَ مِنْ تَلَاقٍ تَلَافِي * أَمْ لِمَاكَ مِنَ الصَّبَابَةِ شَافِي .

١٥ ومنه المشوَّش - وهو كل تجنيس يتجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه، كقولهم : فلان مليح البلاغة، صحيح البراعة

(١) في الأصل : « الالتفات » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه السياق .

(٢) في الأصل وحسن التوسل : (الصيغة) بياء مثناة بعدها غين معجمة؛ وهو تحريف، والتصويب عن شرح الباعونية المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة، وهو شرح على بديعتها الموسومة بالفتح المبين في مدح الأمين .

٢٠

(٣) كذا ورد هذا المثال في الأصل وحسن التوسل . ووجه التمثيل به خفي، ولم نقف عليه فيما لدينا من المراجع .

ومنهُ تجنيس الاشتقاق — ويسمى الاقتضاب أيضاً، ومنهم من عدّه أصلاً برأسه، ومنهم من عدّه أصلاً في التجنيس — وهو أن يحمىء بالفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَحَقُّ اللَّهُ الرَّبَّوْا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجها » وقوله : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ومن النظم قول أبي تمام :

عَمَّمتَ الخلقَ بالنِّعماءِ حتى * غدا الثقلان منها مُثقلين

وقولُ المطرّزى :

وإني لأعتجبي من المجد أن أرى * حَلِيفَ غَوَايَ^(١) أو أليفَ أغاني

وقولُ الصاحب بن عباد :

وقائلةٍ لِمَ عَرَّثَكَ الهمومُ * وأمرَكَ ممتثل في الأُم

فقلت ذري على غُصَّتِي * فإن الهموم بقدر الهمم

وقولُ آخر :

إن ترى الدنيا أغارت * ونجوم السعد غارت

فُصُروف الدهر شتّى * كَلَمَّا جارت أجارت

(٣)

(٢)

ومما يشبه المشتق — ويسميه بعضهم المشابه، وبعضهم المعايير — قوله

تعالى : ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾

(١) في الأصل : « غواني » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « المشتق » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « المشابهة والمفايرة » ، بتأنيث اللفظين ؛ والتصويب عن حسن التوسل .

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَسَلْتُكَ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ ومن النظم قول البحرى:

وإذا ما رياح جُودك هبت * صار قول العذال فيها هباءً.

ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف - وهو ما كان كالمصحف

- (٢) [إلا] في اتحاد الكتابة، ثم لا يخلو من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج
- أولا تتقارب فإن تقاربت سُمي مضارعا، وإن لم تتقارب سُمي لا حقا.

مثال الأول قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وقوله تعالى ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وقول قس بن ساعدة الإيادي:

”من مات فات“

وقول الشاعر:

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديدُ اليلي تحت الصفا والصفائح

وهذا البيت يشتمل على المضارع والمتعم،

ومثال الثاني قول علي رضي الله عنه: الدنيا دار مَمَرٌ، والآخرة دار مَقَرٍّ، وقول

عبد الله بن صالح وقد وصف اليمن: ليس فيه إلا ناسج بُرد، أو سائس قرد.

(١) في الأصل: « رماح » بالميم، وهو تحريف.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد قلناها عن حسن التوسل ليستقيم بها التعريف ويصح بها التمثيل الآتي، فإنه ليس بين قوله: « ينهون » و « ينهون » اتحاد في الكتابة. عبارة ابن أبي الإصيص في تحرير التحيير المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٥٤ بلاغة في تعريف هذا النوع: « وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه. »

(٣) عبارة الأصل: « من أن تفاوتت فيه الحروف باعتبار المخارج أو لا تفاوتت، فإن تفاوتت » الخ.

بفاء موحدة في الكلمات الثلاث وواو وتاء مثناة فوقية، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى.

(٤) في الأصل: « سامر »، وما أثبتناه عن حسن التوسل.

ومنها التجنيس المخالف — وهو أن تشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها، كقول أبي تمام :

بيض الصفائح لاسود الصخائف * متونهن جلاء الشك والريب
وقوب البحرى :

شواجر أرماع تُقطع بينهم * شواجر أرحام ملوم قَطوعها
وقول المتنبي :

منعة منعمة رداح * يكلف لفظها الطير الوقوعا

(٧٧)

فإن أشتملت كل كلمة على حروف الأخرى، وكان بعض هذه قلب حروف هذه
خُصَّ باسم جناس العكس، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : «يقال لصاحب القرآن
يوم القيامة اقرأ وأرق» وقول عبد الله بن رواحة^(١) يمدح [النبي] صلى الله عليه وسلم :
تحمّله الناقة الأدماء معجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما.

ومنها تجنيس المعنى — وهو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجنس بمعناها
دون لفظها، وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجاسة لفظا ولا يوافق
الوزن على الإتيان باللفظ المجانس فيعدل إلى مرادفه، كقول الشاعر يمدح المهلب
ويذكر فعله بقطري بن الفجاءة، وكان قطري يكنى أبا نعام :

حدا بأبى أم الرّئال فأجفلت * نعامته من عارض متلب^(٢)

أراد أن يقول : حدا بأبى نعامه فأجفلت نعامته أى روحه ، فلم يستقم له
فقال : بأبى أم الرّئال ، وأم الرّئال هى النعامه ، وكقول الشماخ :

(١) التكملة عن حسن التوسل . (٢) فى الأصل : «متلب» ، وما أثبتناه عن حسن التوسل إذ هو

المناسبات لها ، ولعل ما فى الأصل مقلوب عن متلب ، أى متوقد غيرة وحمة . والمتلب : المتحزم
بالسلاح ، يريد المتى للقتال .

وما أَرَوَى وإن كَرُمْتُ علينا * بأدنى من مَوْقِفَةٍ حَرَوَى^(١)

أَرَوَى : أَسَمَ امرأة . والمَوْقِفَةُ الحرون من الوحش : أَرَوَى ، وبها سميت المرأة فلم يمكنه أن يَأْتِيَ بِاسْمِهَا فَأَتَى بِصَفَتِهَا ، وقد صرح بذلك المَعْرَى في قوله :
أَرَوَى النَّيَاقَ كَأَرَوَى النَّيَقِ يَعِصِمُهَا^(٢) * ضرب يظلل له السَّرحان مبهوتا

وبعضهم لا يدخل هذا في باب التجنيس . قال : وإنما يحسن التجنيس إذا
قُلَّ ، وأَتَى في الكلام عفوًا من غير كَدٍّ ولا أَسْتَكْرَاهُ ، ولا بُعْدَ ولا مِيلَ إلى جانب الرِّكَّةِ
ولا يكون كقول الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يَتَبَعْنِي * شَاوٍ مِشَلٍّ شُلُولٍ شُلْشُلٍ شُولٍ^(٤)
ولا كقول مسلم بن الوليد :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا * فَأَتَى سَلِيلَ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا
ولا كقول المتنبي :

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الْحَشَا * قَلَا قَلَّ عَيْشُ كُلِّهِمْ قَلَا قَلَّ .

وأما الطَّبَاقُ — قال : المطابقة أن تجمع بين ضدين مختلفين ، كالإيراد والإصدار
والليل والنهار ، والسواد والبياض ؛ قال الأخفش وقد سئل عنه : أجد قوما يختلفون

١٥ (١) الموقفة من الوقف ، وهو الخلخال أو السوار من العاج وغيره ، وأراد به هنا : الأروى التي
في رجلها أو يديها بياض تشبها لها بلباسة الخلخال أو السوار .

(٢) النيق بالكسر : أرفع موضع في الجبل ، جمعه نياق وأنياق ونيوق .

(٣) في الأصل : « كدر » براء زائدة في آخره ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) قال في اللسان مادة شل : الشاوى : الذى شوى . والشلول : الخفيف . والمثل :

٢٠ المطرود . والشلل : الخفيف القليل . وكذلك الشول . والألفاظ متقاربة أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة .

فيه ، فطائفة — وهم الأكثر — يزعمون أنه الشيءُ وضدُّه ، وطائفة تزعم أنه اشتراك المعنيين في لفظ واحد ، كقول زياد الأعمى :

وَبَنَيْتَهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ * وَلَلُّؤْمُ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ

ثم قال : وهذا هو التجنيس بعينه ، ومن أدعى أنه طباق فقد خالف الأصمعي والخليل ، ف قيل له : أَوَكانا يعرفان ذلك ؟ فقال : سبحان الله ! وهل أعلم منهما بالشعر وتمييز خبيثه من طيبه ؟ . ويسمونه المطابقة والطباق والتضاد والتكافؤ وهو أن تجتمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل ، فلا تجيء بأسم مع فعل ولا بفعل مع أسم ، مثاله قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَغْيِرْ حِسَابِ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقُولُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » ومن النظم قولُ جرير :

وباسط خير فيكمُ بينه * وقابض شرَّ عنكمُ بشمالها

وقولُ البحتري :

وأمةٌ كان قبحُ الجورِ يُسْخِطُهَا * حيناً فأصبحَ حسنُ العدلِ يرضيها
وقوله أيضاً :

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى * كالبرق والرعد وَسَطَ العارضِ البردِ
وقولُ دِعْبِل :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ * ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وقولُ ابنِ المعتز :

مَهَا الْوَحِشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ * قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ

فإن هاتما للحاضر، وتلك للغائب، فكانتا متقابلتين؛ وقد تجيء المطابقة بالنفي
[والإثبات^(١)] كقول البحتري^(٢) :

تُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى * وَيَسْرَى إِلَى الشُّوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ .

وقال الزكي بن أبي الإصبع المصري في الطباق : وهو على ضربين : ضرب يأتي
بألفاظ الحقيقة ، وضرب يأتي بألفاظ المجاز ، فإكان بلفظ [الحقيقة^(٣)] سَمِيَ طَبَاقًا
وما كان بلفظ المجاز سَمِيَ تَكَافُؤًا ، فمثال التكاؤ قول أبي الأشعث العبسي من إنشادات
قُدَّامَة :

حلوا الشَّامِل وهو مرّةً باسَل * يَحْيَى الدَّمَارَ صَبِيحَةَ الإِرْهَاقِ

لأنَّ قوله : حلو ومر خارج تَخْرَجَ الاستعارة ، إذ ليس الإنسان ولا شَمائله ما
يَذَاق بِحَاسَّةِ الذَّوْقِ .

١٠

ومن أمثلة التكاؤ قول ابن رَشِيق :

وقد أطفأوا شمس النهار وأوقدوا * نَجْمُومَ العَوَالِي فِي سَمَاءِ عَجَاجِ

وقد جَمَعَ دِعِيلٌ فِي بَيْتِهِ الْمُتَقَدِّمَ بَيْنَ الطَّبَاقِ وَالتَّكَافُؤِ ، وهو :

لَا تَعَجَّبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ * صَحَّكَ الْمَشِيبَ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

١٥

لأنَّ صَحَّكَ الْمَشِيبَ مجاز ، وبكاء الشاعر حقيقة .

قال : هكذا قال ابن أبي الإصبع ، وفيه نظر ، لأنه إذا كان الطباق عنده هو التضاد
من حقيقتين ، والتكاؤ التضاد من مجازين ، فليس في البيت ما شرطه .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل ؛ والمقام يقتضي إثباتها .

(٢) في الأصل : « يقنص » وهو تحريف .

٢٠

(٣) الكلمة عن حسن التوسل ص ٨ ط الوهاية ؛ واستقامة الكلام تقتضيها .

(٤) في الأصل : « لما كان » وما أثبتناه عن حسن التوسل ، إذ به يستقيم الكلام .

قال : ومما جَمَعَ بين طباقِ السلب والإيجاب قولُ الفرزدق من إنشادات ابن المعتز :

لعن الإله بنى كليب إنهم * لا يَغْدِرُونَ ولا يفون لجار
يساقطون إلى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الأوتار.

وذكر في آخر الباب طباق الترديد، وهو أن يرد آخر الكلام المطابق إلى أوله
فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو ردّ الأعجاز على الصدور، ومثاله قول الأعشى :

لا يَرَقع الناس ما أَوْهَوْا وإن جَهِدُوا * طُول الحياة ولا يُوهُونَ ما رَقَعُوا.

وأما ^(١)المقابلة — وهى أعم من الطباق، وذكر بعضهم أنها أخص، وذلك
أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة، فتأتى في الموافق بما وافق،
وفي المخالف بما خالف أو تشترط شروطاً وتعدّ أحوالاً في أحد المعنيين فيجب
أن تأتى في الثانى بمثل ما شرطت وعددت [في الأول] ^(٢)، كقوله عز وجل : ﴿فَأَمَّا
مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّ يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ومثاله
من النظم قولُ الشاعر :

فيا عجباً كيف آتفقتنا فناصح * وفي مطوئى على الغلّ غادر!

وقول آخر :

تَقَاصِرْنَ وَأَحْلَوْلَيْنِ لى ثم إنه * أتت بعد أيام طوالاً أمرت

(١) عنوان هذا الفصل ساقط من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباته .

(٢) التكملة عن حسن التوسل .

وقول زهير بن أبي سلمى :

محلماء في النادى إذا ما جئتهم * جهلاء يوم عجاجة ولقاء.

ومن فساد ذلك أن يقابل الشيء بما لا يوافقه ولا يخالفه، كقول أبي عدى

القرشى :

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس * أنت زين الدنيا وغيث الجود

فليس قوله : غيث لجود موافقا لقوله : زين الدنيا ولا مخالف له

(٢٩)

وكقول الكُميت :

وقد رأينا بها حورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فالشنب لا يشاكل الدل .

وقول آخر :

رحمأ بذى الصلاح وضربون قدما لهامة الصنديد .

قال : وقد ذكر بعض أئمة هذا الفن تفصيلا في المقابلة فقال :

فن مقابلة اثنين بأثنين قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ ، وقول

النابغة :

ففى تم فيه ما يتر صديقه * على أن فيه ما يسوء الأعادياء

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر^(١) :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا * وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وقول أبي نواس :

أنا أستدعيت عفوك من قريب * كما أستعفيت سخطك من بعيد

ومن مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ المقابل بقوله تعالى : « آسْتَغْنَىٰ » قوله تعالى : « وَاتَّقَىٰ » لأن معناه : زهد فيما عند الله وآسْتَغْنَىٰ بشهوات الدنيا عن نعم الآخرة ، وذلك يتضمن عدم التقوى ، ومنه قول النابغة :
إذا وطئا سهلا أنا را عَجاجة * وإن وطئا حَرًّا تَشْطَىٰ الجنادل ؛

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يَشْفَعُ لى * وأنثنى وبياض الصبح يُغْرِى بى
قابل أزور بأنثنى ، وسواد ببياض ، والليل بالصبح ، ويشفع بيغرى ، ولى بقوله : بى .

١٠ وأما السجع — فهو أن كلمات الأبيجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها ، لأن الغرض أن يجانس بين قرائن ، ويزاوج بينها ، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف ، ألا ترى الى قولهم : « ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هوات » فلو ذهبت تصل لم يكن بُد من إعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الإعراب ، فتختلف أواخر القرائن ، ويفوت الساجع غرضه ، واذ رأيناهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها للازدواج فيقولون : أتينك بالغدايا والعشايا ، وهنأتى الطعام ومرأتى ، وأخذته ما قدم وما حدث ، « وأنصيرن مازورات غير ماجورات » ، يريد الغدوات ، وأمرأتى وحدث ، وموزورات ، مع أن فيه ارتكابا لمخالفة اللغة [فما الظن بأواخر الكلم المشبهة بالقوافى] .

(١) فى الأصل : « سألقة » ؛ وهو تصحيف .

(٢) الكلمة عن حسن التوصل ص ٤٩ ط الوهاية .

قال : والسجع أربعة أنواع وهى : الترصيع والمتوازى والمطرّف والمتوازن .

أما الترصيع — فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَحِيمٍ ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ”اللهم أقبل توبتي، وأغسل حوبتي“ وقولهم : فلان يفتخر بالهمم العاليه ، لا بالرم الباليه ؛ وقولهم : عاد تعريضك تصريحا ، وتمريضك تصحيحا ؛

ومن النظم قولُ الخنساء :

حامي الحقيقة محمد ود الخليفة مهدي الطريقة نفاع وضرار
جواب قاصية جراز ناصية * عقاد ألوية للخل جراز

وقد يجرى مع التجنيس ، كقولهم :

إذا قلت الأنصار، كَلَّتْ الأبصار؛ وما وراء الخلق الدميم، إلا الخلقُ الذميم ؛

ومن النظم قولُ المطرزي ^(١) :

ورنْدُ ندى فواضله وري * ورنْدُ ربا فضائله نضير
ودرّ جلاله أبدا ميم * ودرّ نواله أبدا غزير.

وأما المتوازى — فهو أن يراعى فى الكلمتين الأخيرتين من القريتين الوزن



مع اتفاق الحرف الأخير منهما ، كقوله عز وجل : ﴿ فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَنْكَوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ .

(١) فى الأصل : « المطرز » بدون ياء ، والتصويب عن حسن التوسل ، وهو ناصر بن أبى المكارم

عبد السيد بن على ، ويكنى أبا الفتح ؛ وكانت وفاته سنة عشر وستمائة هـ . انظر وفيات الأعيان ج ٢

وقول الحريري : أُلْخَانِي حَكْمٌ دَهْرٌ قَاسِطٌ ، الى أَنْ أُتَجَعَ أَرْضٌ وَاسِطٌ .^(١)

وقوله : وَأَوْدَى النَّاظِقِ وَالصَّامِتِ ، ورثي لنا الحاسد والشامت .

وأما المطرّف — فهو أن يراعى الحرف الأخير في كلمتي قرينتيه من غير مراعاة الوزن ، كقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ وقولهم : جنباه مَحَطَّ الرِّحَالِ ، وَنَحْمِ الآمَالِ .

وأما المتوازن — فهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَمَارُقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَّائِي مَبْثُوثَةٌ ﴾ وقولهم : اصبر على حَرِّ الْقِتَالِ ، وَمَضَضِ النَّزَالِ^(٢) ، وَشِدَّةِ الْمِصَاعِ ، وَمَدَاوِمَةِ الْمِرَاسِ ؛ فإن راعى الوزن في جميع كلمات القرائن أو أكثرها ، وقابل الكلمة منها بما يعادها وزنا كان أحسن ، كقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، وقول الحريري : اسودَّ يَوْمِي الْأَبْيَضَ ، وَأَبْيَضَ فَوْدِي الْأَسْوَدَ ؛ ويسمى هذا في الشعر الموازنة ، كقول البحري :

فَقَفَّ مُسْعِدًا فِيهِمْ إِنْ كُنْتَ عَاذِرًا * وَسِرَّ مُبْعِدًا عَنْهُمْ إِنْ كُنْتَ عَاذِلًا

(١) قال في معجم البلدان ص ٨٨١ ج ٤ ط المدرسة المحروسة بمدينة غنغنه : واسط في عدة مواضع : نبداً أولاً بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها ثم تبعها الباقي . فأول ما ذكر لم سميت واسطاً ولم صرفت ؟ فأما سميتها فلائها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها الى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً الخ . ثم ذكر بعد ذلك نقلاً عن أبي حاتم أنه مصروف لأنه مذكر ، فإنهم أرادوا به بلداً واسطاً أو مكاناً واسطاً ؛ وأنه قد يذهب به مذهب البقرة أو المدينة فيمنع من الصرف للتأنيث حينئذ . وقد ابتداء الحجاج في عمارتها سنة أربع وثمانين وفرغ منها سنة ست وثمانين .

(٢) كذا في الأصل وحسن التوصل . ومحل التنبيل هذه القرينة مع القرينتين اللتين بعدها دون التي قبلها لانفاق الحرف الأخير فيها .

قال : وما هو شرطُ الحسن في هذا المحافظةُ على التشابه ، وهو أسم جامع للملاءمة والتناسب .

فالملاءمة : تأليف الألفاظ الموافية بعضها لبعض على ضرب من الاعتدال كقول لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه * يعود رمادا بعد إذ هو ساطع
وما آمال والأهلون إلا وديعته * ولا بد يوما أن تُرَدَّ الودائع
وبعضهم يعدّ التلفيق من باب الملاءمة ، وهو أن تضمّ الى ذكر الشيء ما يليق به ويجرى مجراه ، أى تجمع الأمور المناسبة ، ويقال له : مُراعاة النظير أيضا ، كقول ابن سميون للمهلي^(١) :

أنت أيها الوزير إبراهيمي الجود ، إسماعيلي الوعد ، شعبيّ التوفيق ، يوسفى العفو ، محمدى الخلق .

وكقول أبي الفوارس الحمداني^(٢) :

أخا الفوارس لو رأيتَ موافقى * وأنحيلُ من تحت الفوارس تخط^(٤)
لقرأت منها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكّل والأسنّة تنقُط

(١) في الأصل : « ابن سميون المهلي » بالشين المعجمة وسقوط اللام ؛ وفي حسن التوسل :
« ابن سميون المهلي » بالهمزة ، ولم نقف على هذه النسبة لكلا الشخصين فيما بين أيدينا من كتب التراجم ومعاجم الأعلام ، ولعل صواب العبارة ما أثبتنا ؛ والمهلي هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة ؛ وكان وزيراً لمعز الدولة بن بويه . وكانت وفاته سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠١ ط دار الطباعة المصرية . وابن سميون هو أبو الحسين محمد بن أحمد ابن إسماعيل الواعظ البغدادي ؛ وتوفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٠١
(٢) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل : (أبو العشار) وكلاهما من آل حمدان ، ولم نعر فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجح إحدى الروايتين ، كما أننا لم نقف على هذين البيتين في شعر أبي فراس الحمداني كما يتوهم تحريف ما هنا عنه .

(٣) في الأصل : « أأجاد » وهو تحريف .

(٤) تخط : من النخط ، وهو صوت الخيل من الثقل والإعياء ، يكون بين الصدر الى الخلق .

وكقول آخر :

وكم سائل بالغيب عنك أجبتُه * هناك الأيادي الشفعُ والسوددُ الوتر
عطاءً ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر
وقول ابن حيوس ^(١) :

يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

والتناسب : هو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر، كقول النابغة :

والرفق يُمن والآنأة سعادة * فاستأن في رزق تنال نجاحا ^(٢)
والياس عمافات يُعقب راحة * ولرب مطمعة تعود ذباحا

ويسمى التشابه أيضاً، وقيل : التشابه أن تكون الألفاظ غير متباعدة بل متقاربة
في الجزالة والرقّة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكسو اللفظ ^(٣)
الشريف المعنى السخيف، أو على الضد، بل يصاغان معا صياغة تناسب وتلائم .



فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها

قال : قصر الفقرات يدل على قوة التمكن وإحكام الصناعة ، وأقل ما تكون
كلمتان ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) وأمثال ذلك
في الكتاب العزيز كثيرة ، لكن الزائد على ذلك هو الأكثر ، وكان بديع الزمان يكثر من

(١) هو محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، ويكنى أبا الفتيان ، ويلقب بصفي الدولة .

(٢) في الأصل : « والرزق » بالزاي المعجمة ، وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٣) في الأصل : « يكثر » بالثاء المثلثة والراء المهملة ، وهو تحريف .

ذلك في رسائله ، كقوله : ^(١) تُكَيِّتُ نَهْد ، كأن ركبته في مهده ؛ يَلِطِمُ الأرض بزبر
وينزل من السماء بخبر . قالوا : لكن التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر ، لتشوقه الى
ما يَرِدُ متريدا على سمعه .

- فأما الفقر المختلفة فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى ولكن لا بقدر
كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فيقل الالتذاذ بسماعها ، فإن زادت
القرائن على اثنين فلا يضر تساوى القرينتين الأولىين وزيادة الثالثة عليهما وإن
زادت الثانية عن الأولى يسيرا ، ^(٢) [والثالثة على الثانية] فلا بأس ، لكن لا يكون
أكثر من المثل ، ولا بد من الزيادة في آخر القرائن ، مثاله في القرينتين : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ ومثاله في الثالثة قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ
بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا
ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ^(٣) وأقصر الطوال ما كان من إحدى عشرة لفظة
وأكثرها غير مضبوط ، مثاله من إحدى عشرة لفظة : ﴿ وَلَئِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ
ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوسُ كُفُورًا ﴾ ^(٤) والتي بعدها من ثلاث عشرة كلمة ؛ ومثاله من
عشرين لفظة قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ
وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

(١) الكيت من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث ، ولونه الكتمة ، وهى سواد تشوبه حمرة تكون في الإبل

والخيل . والنهد من الخيل : الحسن الجسم المشرف .

(٢) التكلة عن حسن التوصل .

(٣) في الأصل : « في » وما أثبتناه عن حسن التوصل .

(٤) في الأصل : « وأى » وهو تحريف .

وأما ردّ العَجْزِ على الصدر — فهو كل كلام منشور أو منظوم يلاق آخره أوله بوجه من الوجوه، كقوله تعالى : ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وقوله تعالى : ﴿لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ وقولهم : "القتل أنفى للقتل" و"الحيلة ترك الحيلة" وقولهم : طلب ملكتهم فسلب ما طلب، ونهب ما لهم فوهب ما نهب .

وهو في النظم على أربعة أنواع :

الأول : أن يَقَعَ طَرَفَيْنِ ، إما متفقين صورة ومعنى ، كقوله :
سريع إلى ابن العم يشتم عرضه * وليس إلى داعي الندى سريع
وقوله :

سُكْرَانُ سُكْرُهُوْى وَسُكْرُ مَدَامَةٍ * أَنَّى يُفِيقُ فَنَّى بِهِ سُكْرَانُ ؛
أو متفقين صورةً لا معنىً ، وهو أحسن من الأول ، كقول السري :
يَسَارٌ مَنْ سَجَّيْتَهَا الْمَنَايَا * وَيُمْنَى مَنْ عَطَيْتَهَا الْيَسَارَ
وقول الآخر :

ذَوَائِبُ سُودٌ كَالْعَنَاقِيدِ أُرْسِلَتْ * فَمَنْ أَجْلَهَا مَنَا الْنَفُوسُ ذَوَائِبُ ؛
أو معنى لا صورةً ، كقول عمر بن أبي ربيعة ^(١) :

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً * لِمَنَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ
وقول السري :

ضَرَائِبُ أَبَدَعَتْهَا فِي السَّمَاحِ * فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيًّا

(١) في الأصل : « لا صورة له » وقوله : « له » زيادة من النسخ .

وقول الآخر :

ثُبِّكَ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ دَلَّنِي * أَنْكَ مَقْصُوصٌ وَمُشْلُوبٌ

(٤٢)

أولا صورة ولا معنى ولكن بينهما مشابة اشتقاق، كقول الحريري :

وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرَى الْعِنَانِ إِلَى * مَلَهَا فَسُحِقَا لَهُ مِنْ لَا تُحْ لَا حَى

الثاني : أن يقع في حشو المصراع الأول وعجز الثاني، إما متفقين صورة

ومعنى كقول أبي تمام :

وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ * مِنْ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمُضَاعِ

وقول آخر :

أَمَّا الْقُبُورُ فَلَنْهِنْ أَوَانِسُ * بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ

أو صورة لا معنى، كقول النعالي :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بُلْغَاتِهَا * فَأَنْفِ الْبَلَابِلِ بِاحْتِسَاءٍ بِلَابِلِ

فالأول جمع بُلْبُلٌ ، والثاني جمع بَلْبَلَةٌ وهى الهم ^(١) [والثالث جمع بُلْبَلَةٌ الإبريق]

وقول الزمخشري :

وَأُنْخَرْنِي دَهْرِي وَقَدِّمْ مَعَشْرًا * لِأَنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ

فَذِ أَفْلَحِ الْجُهَالِ أَعْلَمُ أَنِّي * أَنَا الْمِيمُ وَالْأَيَّامُ أَفْلَحُ أَعْلَمُ ^(٢)

(١) الكلمة عن حسن التوسل ، وتام الكلام يقتضى إثباتها . والذي في كتب اللغة : ان البلبلة بضم

الباءين وسكون اللام بينهما : كوز فيه بلبل الى جنب رأسه .

(٢) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل ص ٥٣ ط الوهاية : « على أنهم » ؛ وكلتا الروايتين

تؤدى معنى صحيحا .

(٣) في حسن التوسل : « أيقنت » ؛ ولا شاهد فيه على هذه الرواية .

(٤) الأفلح : المشقوق الشفة السفلى . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، يريد تشبيه الأيام في جهل

قدره بالأفلح الأعم الذى لا يستطيع النطق بالميم .

أو معنى لا صورة، كقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وقول أبي تمام :

دَمِنَ أَلَمُهَا فقال سلام * كم حَلَّ عُقْدَةَ صبره الإمام

وقول أبي فراس :

وما إن شَبْتُ من كِبَرٍ ولكن * لَقِيتُ من الأَحَبَّةِ ما أَشَابُ؛

أو في الاشتقاق فقط، كقول أبي فراس :

مَنَحْنَاهَا الحِرَابُ غَيْرَ أَنَا * إِذَا جُرْنَا مَنَحْنَاهَا الحِرَابُ؛

الثالث : أن يقعا في آخر المِصرَاعِ الأولِ وَتَحْزِيهِ الثاني، إما مُتَّفَقَيْنِ صورةً

ومعنى كقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً * فما زِلْتَ بالبيض القواضب مُغرماً؛

أو صورةً لا معنى، كقول الحريري :

فمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ المَثَانِي * ومفتون برّاتِ المَثَانِي؛

أو معنى لا صورة، كقول البحري :

ففعْلُكَ إِن سُلِّتَ لنا مطيع * وقولُكَ إِن سَأَلْتَ لنا مطاع؛

الرابع : أن يقعا في أولِ المِصرَاعِ الثاني والعَجزِ، إما مُتَّفَقَيْنِ صورةً ومعنى^(٢)

كقول الحماسي :

(١) واحدة حرية، وهو المال الذي يماش به، أو هو المال المِسلُوب، يريد : ردّدنا عليها ما سلبته

فرساننا من أموالها فيما سلف .

(٢) في الأصل : « يتفقا » ؛ وما اثبتناه عن حسن التوسل، وهو أنسب ليوافق ما قبله .

فَلَا يَكُنْ إِلَّا مُعَلِّلاً ^(١) سَاعَةً * قَلِيلاً فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

أو صورةً لامعني، كقول أبي دؤاد :

عَهِدْتُ لَهَا مَتَزِيلاً دَائِراً * وَأَلَّا عَلَى الْمَاءِ يَجْمَلْنَ آلَا ^(٢)

فالأول الابتاع، والثاني أعمدة الخيام، وكقول آخر :

رَمَاكَ زَمَانُ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَى * فَرَأَى وَلَمْ يَظْفَرْ بِمَا هُوَ رَامَا

أو معنى لا صورة، كقول أبي تمام :

ثَوَى فِي الثَّرَى مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الثَّرَى * وَيَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهْرِ نَائِلُهُ الْغَمْرُ ^(٣)

وقد كانت اليبسُ البَوَاترُ في الوغى * بَوَاتَرَتْ فِيهِ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ

قال : ومن نوادر هذا الباب بيتا الحريري اللذان سَمَّاهما المطرَفَيْنِ، وهما :



سِمٌ سِمَةٌ تَحْسُنُ آثَارَهَا * وَأَشْكُرُ مَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمِسِمَهُ
وَالْمَكْرُمَهُمَا أَسْطَعَتْ لَا تَأْتَهُ * لَتَبْتَغِي السُّودَدَ وَالْمَكْرُمَةَ.

قال : فإن لم يقع في العجز فليس من هذا الباب، كقوله :

وَنَبِثْتُمْ ^(٤) يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ * وَلَلْتُؤْمُ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ

(١) في ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٣٥ ط التوفيق : « معرَّج » بفتح الراء المهملة مع التشديد

والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

١٥

(٢) في اللسان مادة أول : « عرفت » وكلاهما يستقيم به المعنى . ودائر كدارس وزنا ومعنى ،

والأخيرة رواية للسان . (٣) فسر في اللسان آل الآل بأنه عيدان الخليفة، والثاني بأنه الشخص .

(٤) كذا في الأصل وديوان أبي تمام ص ٣٣١ ط الأدبية بيروت . والذي في حسن التوسل :

* ويأمن صرف الدهر جاهله الغمر * ومؤدى الروايتين مختلف . والغمر يفتح الغين

على رواية الأصل والديوان : الكثير . وبالضم على رواية حسن التوسل : من لا خير فيه ولا غناء عنده

٢٠

في عقل ولا رأى ولا عمل .

وكقول الآفوه الأودى :

وأقطع الهوجل مستانسا * بهوجل عيرانة عنتريس^(١)
فالهوجل الأول : الفلاة ، والثانى : الناقة السريعة .

وأما الإعنات — ويقال له التضيق والتشديد ولزوم ما لا يلزم — فهو أن
يُعْنِتَ نفسه فى التزام رذيف أو دَخِيل أو حرف مخصوص قَبْلَ حرف الروى ، أو حركة
مخصوصة ، كقوله تعالى : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » ، وقول النبي
صلى الله عليه وسلم : « اللهم بك أحوّل ، وبك أصاويل » وقوله عليه الصلاة والسلام
« شَرُّ ما فى المرء شُحُّ هَالِع ، أو جُبْنٌ خَالِع »^(٢) وقوله عليه الصلاة والسلام : « زُرْغَبًا
تزدّد حُبًا » وقول عمر رضى الله عنه : لا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، ولا بُغْضُكَ تَلْفًا ؛
وقول المعزى :

ضحكًا وكان الضحك مناسفاهة * وحقّ لسُكّان البسيطة أن يَبْكُوا
يُحْطَمُنَا صَرَفَ الزمان كَأَنَّا * زُجَاجٌ وَلَكِنْ لا يَعَادُ لَهُ السَّبْكُ
وقول آخر :

يقولون فى البستان للعين لذة * وفى الخمر والماء الذى غيرُ آسن
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلّها * ففى وجه من تهوى جميعُ المحاسن

وقد ألزم ابن الرومى الفتحَ قَبْلَ حرف الروى — وكان أولع الناس بذلك —
فقال :

لِمَا تُؤْذِنُ الدنيا به من صُروفها * يكونُ بُكاءُ الطفل ساعةً يولد

(١) العيرانة من النياق : الناجية فى نشاط . والعنتريس : الغليظة الوثيفة .

(٢) قال فى النهاية مادة خلع فى تفسير هذه الكلمة : أى شديد ، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه .

وإلا فأيُّبكيه فيها وإنَّها * لَا وَسْعَ مَّا كَانَ فِيهِ وَأَرَّغِد
إذا أبصر الدنيا أَسْتَهَلَّ كأنه * بما سِيلَاقِي من أذاها يُهَدِّد
وأمثال ذلك في الشعر كثيرة .

وأما المذهب الكلامي — فهو إيراد حُجَّةٍ لالطُّوب على طريقة أهل الكلام
نحو قوله عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ومنه قولُ النابغةِ يعتذر
إلى النعمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً * وليس وراءَ الله للـرء مذهب
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّي جناية * لمَبْلُغُك الواشي أغشَّ وأكذب
ولكنني كنتُ امرءاً لى جانب * من الأرض فيه مُسْتَرَاد ومذهب
١٠ ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم * أحكمَّ في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك أصطنعتهم * فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

يقول : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم، فكما
أن مدح من أحسنت إليه لا يُعَدُّ ذنباً فكذا مدح من أحسن إلى لا يُعَدُّ ذنباً .
قال ابن أبي الإصبع، ومن شواهد هذا الباب قولُ الفرزدق :

لكلِّ امرئ نفسان نفسٌ كريمةٌ * ونفسٌ يعاصيها الفتى ويطيعها
١٥ ونفسٌ من نفسِكَ تَشْفَعُ للندى * إذا قلَّ من أحرارهنَّ شفيها

يقول : لكلِّ إنسان نفسان : نفس مطمئنة تأمره بالخير، ونفس أمارة تأمره
بالشر، والإنسان يعاصي الأمانة مرةً ويطيعها أخرى، وأنت إذا أمرتكَ الأمانة

بترك الندى شَفَعَتِ المَطْمِئَنَةَ إليها في الندى في الحالة التي يَقْلُ فيها الشفيع في الندى
من النفوس، فانت أكرم الناس .

وأما حسن التعليل — فهو أن يُدَّعى لوصفِ عِلَّةٍ مُنَاسِبَةٍ له باعتبار لطيف
وهو أربعة أضرب : لأن الصفة إما ثابتة فُصِّدَ بَيَانُ عِلَّتِهَا، أو غيرُ ثابتة أريد إثباتها
فالأولى إما لا يَظْهَرُ لها في العادة عِلَّةٌ، كقوله :

لم يَحِكْ نَائِلَكَ السحابُ وإِنَّمَا * حُمْتُ بِهِ فَصِيْبُهَا الرُّحَصَاءُ^(١)

أو يَظْهَرُ لها عِلَّةٌ، كقوله :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ * يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابَ^(٢)
فإن قتل الأعداء في العادة لدفع مضرَّتِهِمْ لا لما ذكره .

والثانية إما مُمَكِّنَةٌ، كقوله :

يَا وَاشِيَا حَسُنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ * نَجَى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغُرُقِ^(٣)
فإن استحسان إِسَاءَةِ الْوَاشِيِ مُمَكِّنٌ، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكره .
أو غيرُ مُمَكِّنَةٍ، كقوله :

لَوْلَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ * لِمَا أَتَتْ وَعَلَيْهَا عَقْدٌ مُتَطَقٌ^(٤) .

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي؛ والرحضاء بضم الراء وفتح الحاء المهمله : العرق أثر الحمى .
(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي كما به في انظر معاهد التنصيص ص ٣٥٨ ط بولاق .
(٣) في الأصل : «بركة» ؛ وهو تحريف ، ولا معنى له .
(٤) في الأصل : «جدواك» وهو تحريف ؛ والتصويب عن معاهد التنصيص ص ٣٥٩ ، والبيت

لمسلم بن الوليد .

(٥) في معاهد التنصيص ص ٣٦٧ ط بولاق أن هذا البيت مترجم من الفارسية ولم يسم قائله .

قال : وألحق به ما بُنيَ على الشكِّ ، كقول أبي تمام :

رُبَّما شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِياضِها * إلى المُنْزَنِ حتَّى جادِها وهو هَامِعٌ
كَأَنَّ السَّحَابَ الغُرَّغِينَ تَحْتِها * حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْرًا مَدَامِعُ

وقد أحسن ابن رشيق في قوله :

سَأَلْتُ الأَرْضَ لِمَ كَانَتْ مَصْلًى * وَلِمَ كَانَتْ لَنَا طُهْرًا وَطِيبًا
فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ لِأَتَى * حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيبًا .

وأما الالتفات — فقد فسره قدامة بأن قال : هو أن يكون المتكلم أخذًا

في معنى فيعترضه إما شكٌّ فيه وإما ظنٌّ أن رادًا يردّه عليه ، أو سائلا له عن سببه
فيلتفت إليه بعد فراغه منه ، فإما أن يُحْلَى الشكُّ ، أو يؤكِّده ، أو يذكّر سببه ، كقول
الرمّاح بن مَيّادة :

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو فِى الْيَاسِ رَاحَةً * وَلَا وَصْلُهُ يَصِفُو لَنَا فَنَكَارُمُهُ

كأنه توهم أن فلانا يقول : ما تصنع بصرمه ؟ فقال : لأن في اليأس راحة .

وأما ابن المعتز فقال : الالتفات أنصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ، ومثاله

في القرآن العزيز الإخبار بأن الحمد لله رب العالمين ، [ثم قال] : ﴿ لِمَا يَكُ نَعْبُدُ وَلِمَا يَكُ

نَسْتَعِينُ ﴾ ومثاله في الشعر قول جرير :

مَتَى كَانَ الْخَلِيَامُ بِذَى طُلُوحٍ ^(٣) * سُقِيتِ الْغَيْثُ أَيَّتَهَا الْخَلِيَامُ ؛

(١) عبارة قدامة : « أن يكون الشاعر » ، كما في كتابه نقد الشعر ص ٥٣ ط الجواثب ؛

وما هنا أعم .

(٢) التكلة عن حسن التوسل ص ٥٦ ط الوهابية .

(٣) ذو طلوح : موضع في حزن بن يربوع بين الكوفة وفيد .

أو أنصرف المتكلم عن المخاطبة [إلى الإخبار] ^(١)، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ومثال ذلك في الشعر قول عنترة :
ولقد نزلت فلا تظنني غيره * متى بمنزلة المحب المكرم
ثم قال مخبراً عنها :

كيف المزار وقد ترعب أهلها * بعنيتين وأهلنا بالغيلم ؛

أو أنصرف المتكلم من الإخبار إلى التكلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ ﴾ ؛

أو أنصرف المتكلم من التكلم إلى الإخبار ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُذِهِبْكُمْ
وَنَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ وقد جمع أمرؤ القيس الالفتانات
الثلاثة في ثلاثة أبيات متواليات ، وهي قوله :

تَطَاوَلْ لِيْلُكَ بِالْإِثْمِدِ * وَنَامَ الْخَلَى وَلَمْ تَرْقُدْ
وَبَاتَ وَبَاتَ لَهُ لَيْلَةٌ * كَلِيلَةُ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ ^(٥)
وَذَلِكَ مِنْ نَبَا جَاءَنِي * وَخُبْرَتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

(١) الزيادة عن حسن التوسل . وصحة العبارة تقتضى إثباتها .

(٢) عنيزتين ثنية عنيزة ، وهو بماءه : موضع بين البصرة ومكة ، أو هو من أودية اليمامة ؛ والغيلم : موضع ذكره ياقوت ولم يعينه .

(٣) كذا وردت هذه الآية بالنون في الكلمات الثلاث في خزنة الأدب للحموى ص ٧٤ ط بولاق وعليه يستقيم التمثيل ، وقال الحموى بعد إيراد الآية : « والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها صاحب البحر الزاخر » . والذي في الأصل وحسن التوسل وشرح الباعونية : « إن يشأ يذهبكم ويات » بالياء . المثناة في الكلمات الثلاث ؛ والتمثيل بها على هذه القراءة غير مستقيم .

(٤) الإثمد : موضع ذكره ياقوت في معجمه ولم يعينه .

(٥) العائر : كل ما أعل العين ، أو هو بئر في الجفن الأسفل منها .

يُخاطَب في البيت الأول ، وأنصرف إلى الإخبار في البيت الثاني ، وأنصرف
عن الإخبار إلى التكلم في البيت الثالث على الترتيب .



وأما النّمام — وهو الذي سماه الحاتميّ التّميم ، وسماه ابن المعتر اعتراض
كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود المتكلم فيتممه ، وشرح حده بأنه الكلمة التي إذا
طُرحت من الكلام نقصُ حسنُ معناه ومبالغته ، مع أن لفظه يومهم بأنه تام ؛ وهو
على ضربين : ضرب في المعاني وضرب في الألفاظ ، فالذي في المعاني هو تميم المعنى
والذي في الألفاظ هو تميم الأوزان ، والأول هو الذي قُدّم حده ، ومثاله قوله تعالى :
(مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً) فقوله تعالى : (مَنْ
ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي) [تميم ، وقوله : (وَهُوَ مُؤْمِنٌ)] تميم ثان في غاية البلاغة ، ومن هذا القسم
قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم أثنتي عشرة ركعة
من غير الفريضة إلا آتيتني الله له بيتا في الجنة » فوقع التميم في هذا الحديث في ثلاثة
مواضع : قوله عليه السلام : مسلم ، والله ، ومن غير الفريضة ، ومن أناشيد قدامة على
هذا القسم قولُ الشاعر :^(٢)

أناس إذا لم يُقَبَلِ الحقّ منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب .^(٣)

وأما الذي في الألفاظ فهو الذي يُؤتى به لإقامة الوزن بحيث لو طُرحت الكلمة
أستقل معنى البيت بدونها ؛ وهو على ضربين : أحدهما مجيء الكلمة لا تفيد غير إقامة

(١) التكملة عن حسن التوسل . واستقامة الكلام تقتضيها .

(٢) هو نافع بن خليفة الغنوي ؛ انظر نقد الشعر لقدامة ص ٩٤ ط الجواب .

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل بالذال المهملة . وفي نقد الشعر لقدامة : « عاذوا » بالذال

الوزن فقط، والثاني : مجيئها تفيد مع إقامة الوزن نوعا من الحسن، فالأول من العيوب والثاني من المحاسن ؛ قال : والكلام هنا في الثاني، ومثاله قول المتنبي :

وُخْفِقَ قَلْبٌ لَوْ رَأَيْتَ لَهْبِهِ * يَا جَتَّى لَظَنَنْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ

فإنه جاء بقوله يا جتتى لإقامة الوزن ، وقصد بها دون غيرها مما يسد مسدّها أن يكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لا تحصل غيرها .

وأما الاستطراد — وهذه التسمية ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة أنه نقلها عن البحرى ، وقيل : أن البحرى نقلها عن أبي تمام ، وسماه ابن المعتز : الخروج من معنى إلى معنى ، وفسره بأن قال : هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفا ، وغالب وقوعه في الهجاء ، ولا بد من [ذكر ^(١)] المستطرّد به باسمه بشرط أن لا يكون تقدّم له ذكر .

فمن أول ما ورد في ذلك من النظم قول السموّيل بن عدياء :

وإِنَّا لَقَوْمٌ مَازَى الْقَتْلَ سُبَّةً * إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

ومنه قول حسان :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي * فَنَجَوْتُ مِنْهَا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ

تَرَكَ الْأَحْبَةَ لَمْ يَقَاتِلْ دُونَهُمْ * وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِحَامِ ^(٣)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) في الأصل : « فن أولها » والسياق يقتضى حذف الهاء .

(٣) الطمرة من الأفراس : المستعمدة للعدو . وقد أشار حسان في هذين البيتين الى فرار الحارث

ابن هشام بن المغيرة يوم بدر : انظر سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة .

وقول أبي تمام في وصف حافر الفرس بالصلابة ^(١) :

أيقنت إن لم تثبت أنت حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول ابن الزمكدم أربعة استطرادات متواليّة :

وليل كوجه البرقيديّ ظلمة ^(٣) * وبرد أغانيه وطول قرونيه

سريت ونوى فيه نوم مشرد ^(٤) * كعقل سليمان بن فهد ودينه ^(٥)

على أولق فيه التفات كأنه * أبو صالح في خطبه وجنونه ^(٦)

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه ^(٧)

وقول البحتري في الفرس أيضا :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلاّق حمدويه الأحول

ومما جمع المدح والهجاء قول بكر بن النطاح :

فقي شقيت أمواله بنواله * كما شقيت بكر بأرماع تغلب



(١) في الأصل : « جاء في الفرس » وما أثبتناه عن حسن التوسل وهو أنسب بقوله بعد : « بالصلابة » .

(٢) في الأصل : « أقيت » بالناء الموحدة بعدها ياء مثناة ، وهو تصحيف . وتدمر : مدينة قائمة في بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام ياقوت . ويريد بعثمان المذكور في البيت : عثمان بن إدريس النامي ؛ انظر ديوان أبي تمام ص ٢٠١ ط الوهبة .

(٣) البرقيدي : نسبة إلى برقيد ، وهي بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين .

(٤) في الأصل : « وهب » وهو تحريف ؛ والتصويب عن معجم ياقوت ج ١ ص ٥٧٢ ط المحرورة : بمدينة غنتغه والوفاي بالوفيات للصفدي .

(٥) في الأصل : « أوقل » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في المعجم ، والأوّل : الجنون ، يريد :

على فرس ذى أولق . (٦) كذا في الأصل . ولعله يريد وصف الفرس بأنه يلتفت في سيره يمتة ويسرة فلا يستقيم في وجهة واحدة ، بل يجتهد في سيره كما يدل عليه بجز البيت . وفي معجم البلدان : « الهباب » ؛ والهباب بكسر الهاء : النشاط والسرعة . (٧) في معجم ياقوت : « أبو جابر » .

(٨) هو قرواش بن مقلد أمير بني عقيل .

(١) ومما جاء به على وجه المجون قول بعضهم :

إِكشَفِي وَجْهَكَ الَّذِي أَوْحَلَتْنِي * فِيهِ مِنْ قَبْلِ كَشْفِهِ عَيْنَاكَ
غَلَطِي فِي هَوَاكَ يُشْبِهْ عِنْدِي * غَلَطِي فِي أَبِي عَلِيٍّ بْنِ زَاكِ

(٢) ومما جاء في النسيب على وجه التشبيه قول امرئ القيس :

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا * نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَمَامٍ (٣)

وأما تأكيد المدح بما يشبه الذم — فهو ضربان : أحدهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، نحو قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا﴾ فالتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء ببيته ، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج الشيء مما قبلها ، فإذا وليها صفة مدح جاء التأكيد .

والثاني : أن يُثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ، كقوله صلى الله عليه وسلم : «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيِّدَ أَيْ مِنْ قَرِيشٍ» وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعا ، لكنه باق على حاله لم يقدر

(١) به ، أى بالاستطراد . وعبرة حسن التوسل : « ومما جاء على وجه » الخ .

(٢) في الأصل : « التشبيه » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل ، والذي في شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبي بكر عاصم ابن أيوب ص ١٤٤ ط الخيرية : « لأننا » بهز بعده نون ، وهي لغة في « لعلنا » حكى الخليل : أن بعض العرب يقول : إيت السوق أنك تشتري لنا سويفا ، أى لعلك . وابن حمام : شاعر يقال له : امرؤ القيس أيضا كما في الشرح ؛ ولم نقف على ضبطه ؛ ورواية الديوان « ابن حزام » بالذال المعجمة ، ولم يسمه شارحه الوزير أبو بكر المتقدم ؛ وروى أبو عبيدة : « ابن حزام » بالحاء المهملة والزاي [المعجمة ؛ وليس هو عمرو بن حزام العذري كما يتوهم . (٤) في الأصل : « أن يستثنى من صفة

مدح منفية عن الشيء صفة ذم » والصواب العكس كما يقتضيه التمثيل .

متصلا فلا يفيد التأكيـد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين، ولهذا كان الأول أفضل .

ومن أمثلة الأول قولُ النابغة الذبياني :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم * بهنَ فُلُولٍ من قِراعِ الكتائبِ

ومن أحسن ما قيل في ذلك قولُ حاتم الطائي :

ولا تستكيني جارتِي غيرَ أني * إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها

ومن الثاني قولُ النابغة الجعدي :

فَتَيَّ كُكِّتَ أخلاقه غيرَ أنه * جوادٌ فما يُبقي من المالِ باقيا

ومن أحسن ما ورد في هذا الباب قولُ بعضهم ^(١) :

ولا عيبَ فينا غيرَ أن سَمَاحنا * أضَرَّ بنا والبأسُ من كلِّ جانبِ ^(٢)

فَأَفْنِي الردى أعمارنا غيرَ ظالم * وَأَفْنِي الندى أموالنا غيرَ عاتب .

وأما تأكيد الذمِّ بما يشبه المدح — فهو ضربان :

أحدهما أن يُستثنى من صفة مدح منفيّة عن الشيء صفة ذمِّ بتقدير دخولها فيها ^(٣)

كقولك : فلان لاخير فيه إلّا أنه يسىء إلى من أحسن إليه .

والثاني : أن تُثبت للشيء صفة ذمِّ وتعقب بأداة استثناء تليه صفة ذمِّ له أخرى

كقولك : فلان فاسق إلّا أنه جاهل ، وتحقيق القول فيها على قياس ما تقدّم .

(١) هو أبو هفان . انظر معاهد التنصيص ص ٣٨٩ ط بولاق .

(٢) في الأصل وحسن التوصل ص ٥٨ ط الوهايبة : « والناس » بالنون ، وهو تحريف ؛

والنصوب عن معاهد التنصيص . وصدر البيت الثاني يدل عليه أيضا .

(٣) في الأصل : « لا يسىء » ؛ وصحة التمثيل تقتضى حذف اللام .

وأما تجاهل العارف — فهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه
ليُخرج كلامه مُخَرَّج المدح أو الذم، أو ليُدلَّ على شدة التدلُّه في الحب، أو لقصد
التعجب أو التوبيخ أو التقرير؛ وقال السكاكي: هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة^(١)
كالنوبخ، كما في قول الخارجية وهي ليل بنت طريف :

أيا شجر الخابور مالك مُورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف^(٢)

والمبالغة في المدح، كقول البحتري :

المع برق سرى أم ضوء مصباح * أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

أو الذم، كما قال زهير :

وما أدري ولست إخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء^(٣)

أو التدلُّه في الحب، كقوله :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكئ أم ليلي من البشر^(٤)

وقول البحتري :

بدا فراع فؤادى حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك.

(١) في الأصل : « لكه » ؛ وهو تحريف .

(٢) الخابور : نهر كبير، بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت إليه ، وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين ، وينضاف إليه فاضل الهرماس ومد وهو نهر نصيبين فيصير نهرا كبيرا انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٣ ط جوتنجن .

(٣) في معاهد التنصيص ص ١٧ ط بولاق : « وسوف » والبيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) نسب هذا البيت الى ذى الرمة والمجنون والعرجي ، وأكثرهم على أنه لا خير ؛ انظر معاهد

التنصيص الصفحة المتقدمة الذكر .

وأما الهزل الذي يراد به الجحد — فهو أن يقصد المتكلم ذمَّ إنسان أو مدحه فيخرج ذلك مخرج المجون، كقول الشاعر ^(١) :
إذا ما تيمى أذاك مُفانرا * فقل عدن ذاك كيف أكلك للضب.

وأما الكليات — فهي أن يُعبرَ المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالطاهر ، وقد تقدّم الكلام على ذلك في باب الكناية والتعريض .
وهو الباب الرابع من القسم الثاني من هذا الفن ، وهو في السفر الثالث من كتابنا هذا .

وأما المبالغة — وتسمى التبليغ والإفراط في الصفة — فقد حدّدها قدامة بأن قال : هي أن يذكر المتكلم حالا من الأحوال لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده ، كقول عمير بن كريمة التغلبي :

وَنُكْرِمَ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا * وَتُبِعَهُ الْكَرَامَةُ حَيْثُ مَالَا
ومن أمثلة المبالغة المقبولة قول امرئ القيس يصف فرساً :

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ * دِرَاكَ وَلَمْ يُنْصَحْ بِمَاءِ فُيْغَسَلِ ^(٣)

يقول : إنه أدرك ثورا وبقرة في مضمار واحد ولم يعرق .

وقول المتنبي :

وَأَصْرَعَ أَىِّ الْوَحْشِ قَفِيَّتُهُ بِهِ * وَأَنْزَلَ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرَكَبَ ^{١٥}

(١) هو أبو نواس ، والبيت من قصيدة يهجو بها تيميا وأسدا وفتخر بقحطان ؛ انظر معاهد التنصيص ص ٤١٣ ط بولاق .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصل وحسن التوصل ص ٥٩ وخزانة الأدب للصحرى ص ٢٧٩ ط بولاق . والذي في معاهد التنصيص ص ٣٤٤ ط بولاق عمرو بن الأهتم . قال : ولم أقف على ترجمة

ابن الأهتم التغلبي قائل البيت . وفي الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٢٨٨ ط الأستانة : عميرة ^{٢٠} ابن الأهتم ، ولم تقف فيما بين أيدينا من المراجع على ما يرجح إحدى هذه الروايات الثلاث .

(٣) العداء : الطلق الواحد بكسر الطاء وسكون اللام ، وهو الشوط .

ولا يعاب في المبالغة إلا ما خرج عن حدّ الإمكان، كقوله :
وأخفت أهل الشرك حتى إنه * لتخافك النطف التي لم تُخلق^(١)

وأما إذا كان كقول قيس بن الخطيم :

طعنتُ ابنَ عبد القيس طعنةً نائر * لها نَفْدٌ لولا الشُّعاعُ أضاءها
ملكْتُ بها كَفَى فأنهتُ فَنَقَّها^(٢) * يرى قائماً من دونها ما وراءها

فإن ذلك من جِدِّ المبالغة إذ لم يكن قد خرج تخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ
النهاية في وصف الطعنة، ومن أحسن ذلك وأبلغه قولُ أحد شعراء الحماسة :
رَهْنْتُ يَدِي بالعجز عن شكرِ رَه * وما بعد شكرى للشكور مَزِيد^(٣)
ولو كان مما يستطيع أستطعته * ولكن ما لا يستطيع شديد.

وأما عتاب المرء نفسه — فهو من أفراد ابن المعتز، ولم يُنشد عليه سوى
بيتين ذكر أن الآمدي^(٤) أنشدهما عن الجاحظ وهما :

عصاني قومي في الرشاد الذي به * أمرتُ ومن يعص المجرّب يندم
فصبرا بنى بكر على الموت لمنى * أرى عارضا ينهل بالموت والدّم

قال : ولا يصلح أن يكون شاهدا لهذا الباب إلا قولُ أحد شعراء الحماسة :
أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويلُ ما هذا التجلّد والصبر

(١) البيت لأبي نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد انظر معاهد التنصيص ص ٥٤ ط بولاق .

(٢) أنهرت : وسعت .

(٣) في الحماسة : «وما فوق» ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) كذا في الأصل وحسن التوصل . والذي في تحرير النجيب لابن أبي الإصبع المحفوظ منه

نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة ونزاعة الأدب للمحوى ص ١٨٠ ط بولاق :

«الأسدي» ولم نقف فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجح إحدى الروايتين .

وقول الآخر :

فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسِ شَعَاعٍ فَإِنِّي * نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعٌ
وما ناسب ذلك من الأمثلة .

٤٨

وأما حسن التضمين — فهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية
أو حديث أو مثل سائر أو بيت شعر ؛
ومن إنشادات ابن المعتز عليه :

عَوَّدَ لِمَا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ * أَقْرَاصَهُ مَنَى بِبَاسِينِ
فَبِتَّ وَالْأَرْضُ فَرَاشِي وَقَدْ * غَنَّتْ قِفَا نَبِكِ مَصَارِيَنِ
فَضَمَّنَ بَيْتَهُ الْأَوَّلَ كَلِمَةً مِنَ السُّورَةِ بِتَوَطُّةٍ حَسَنَةٍ ، وَبَيْتَهُ الثَّانِي مَطْلَعُ قَصِيدَةِ
امْرِئِ الْقَيْسِ .

١٠

ومما ضَمَّنَ معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم قول الآخر :

وَأَخِجَ مَسَّهُ نَزُولِي بِقَرْجٍ * مِثْلَمَا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَرْحٌ^(٢)
بَتَّ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَمَ الدَّهْرُ * رَوَى حَكَمَهُ عَلَى الْحَرْقِ قَبْحٌ
قَالَ لِي مَذْنُوتٌ وَهُوَ مِنَ السَّكْرِ * بِالْهَمِّ طَافَ لَيْسَ يَصْحُو :
لَمْ تَغْرَبْتَ ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ * وَالْقَوْلُ مِنْهُ نُصْحٌ وَنُجْحٌ :
« سَافِرُوا تَغْنَمُوا » فَقَالَ : وَقَدْ قَامَ تَمَامُ الْحَدِيثِ : « صُومُوا تَصِحُّوا »

١٥

ومن تضمين الشعر قول بعضهم :

وَقَفْنَا بِأَنْضَاءِ حَكَّتْنَا لَوَاغِبٍ^(٣) * « عَلَى مِثْلِهِمَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَأَعِبَ »

وهو مطلع قصيدة لأبي تمام ،

٢٠

(١) الشعاع من النفوس : ما تفرقت هومها . والجميع : المجتمعة . (٢) في الأصل : « داح » وهو مخريف ، والتصويب عن حسن التوسل . (٣) في الأصل : « حكتنا » بالياء المثناة التحتية ، وفي حسن التوسل : « حنينا » بنون موحدة بعدها ياء مثناة ، وهو تحريف في كليهما .

ومنه قول الغزّي :

طُولُ حياة ما لها طائل * نَقَصَ عندي كُلُّ ما يُستَهَي
أصبحتُ مثلَ الطفل في ضعفه * تشابهَ المبدأ والمنتهى
فلا تلم سمى إذا خاني * « إن الثمانين وبلغتها »

٥ المراد من التضمنين هاهنا تمام البيت : * قد أحوجتُ سمى إلى تَرْجُمان *
ولمّا تركه لأن أول البيت يدلُّ عليه لأشتهاره، وهذا قد أكثر المتأخرون من أستعماله
في أشعارهم، وضمنوا البيت الكامل بعد التوطئة له .

وأما التلميح — وهو من التضمنين، ولمّا بعضهم أفرده — فهو أن يشير
في خوى الكلام إلى مثلٍ سائر، أو بيت مشهور، أو قضية معروفة من غير أن يذكره،
١٠ كقول الشاعر :

المستغيثُ بعمرٍو عند كُربته * كالمستغيث من الرمضاء بالنار
أشار إلى قضية كليب حين استغاث بعمرٍو بن الحارث ؛ ومنهم من يسمّى ذلك
أقباسا، وإيراد المثل كما هو تضمينا .

وأما إرسال المثل — فهو كقول أبي فراس :
١٥ تهوّن علينا في المعالي نفوسنا * ومن يخطب العلياء لم يغليه المهر^(١)
وكقول المتنبي :

تُبكيَ عليهنّ البطاريقُ في الدجى * وهنّ لدينا مُلقياتٌ كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها * مصائبُ قوم عند قوم فوائد .

(١) لم يغله المهر : أى أن مهرها لم يجعل من يخطبها غاليا عليها ، يريد أن مهرها نفس خاطبها
٢٠ وفي حسن التوسل وغيره : « لم يغلها » بتأنيث الضمير ، والمعنى عليه أن المهر الذى يدفع لها لا يصيرها
غالية عليه أيا كان نوعه وقيمه .

وأما إرسال مثلين — فهو الجمع بين مثلين، كقول لبيد :

الأكلُ شيءٌ ما خلا الله باطل * وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائل

وابيات زهير بن أبي سلمى التي فيها ومن ومن ، وقد تقدّم ذكر ذلك مستوفى في باب الأمثال، وهو الباب الأول من القسم الثاني من هذا الفن، وهو في السفر الثالث.

وأما الكلام الجامع — فهو أن يكون البيت كله جاريا مجرى مثل واحد كقول زهير :

ومن يك ذا فضيلٍ ويمتلٍ بفضله * على قومه يُستغفر عنه ويُدّم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يُضرّس بأنياب ويوطأ بمنسِم^(١)
ومهما تكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ * وإن خالها تخفى على الناس تُعلم
وكقول أبي فراس :

إذا كان غير الله في عُدّة الفتى * أُنّته الرزايا من وجوه الفوائد
وكقول المتنبي :

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفتُه من الفهم السقيم
وقوله :

ومن نكد الدنيا على الحزن أن يرى * عدوّ له ما من صدّاقته بدّ
وقوله :

ومن البليّة عدلٌ من لا يروعى * عن جهله وخطابٍ مع لا يفهم
وقوله :

إنا لفي زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحسان وإجمال.



(١) المنسم : خف البعير .

وأما اللَّفّ والنشر — فهو أن يذكر اثنين فصاعدا ثم يأتي بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقةً بأن السامع يردّ إلى كل واحد منها ما له ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ ومن النظم قولُ الشاعر :

أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي مِنْ وَرْدِ نِعْمَتِهِ * وَوَرْدَ رَاحَتِهِ أَجْنِي وَأُغْتَرِفُ ٥
وقد لا يراعى فيه الترتيب ثقةً بأن السامع يردّ كل شيء إلى موضعه سواء تقدّم أو تأخر، كقول الشاعر :

كَيْفَ أَسْلُو وَأَنْتَ حَقَفٌ وَغَصْنٌ * وَغَزَالٌ لِحْظًا وَقَدْ أَوْرَدَا.
وأما التفسير — وهو قريب منه — فهو أن يذكر لفظاً ويتوهم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير، كقول أبي مُسَهَّرٍ : ١٠
غَيْثٌ وَلَيْثٌ [فغَيْثٌ] حِينَ تَسَالَهُ * عُرْفَا وَلَيْثٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ ضِرْغَامٍ
ومنه قول الشاعر :

يُحْيِي وَيُرْدِي بِجَدْوَاهِ وَصَارِمِهِ * يُحْيِي الْعُفَاةَ وَيُرْدِي كُلَّ مَنْ حَسَدَا
ومن ذلك أن يذكر معاني ويأتي بأحوالها من غير أن يزيد أو ينقص كقول الفرزدق : ١٥

لَقَدْ جِئْتَ قَوْمًا لَوْ لَجَأْتَ إِلَيْهِمْ * طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثَقِيلَ مَغْرَمٍ
لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مَعْطِيًا وَمُطَاعِنًا * وَرَاءَكَ شَرًّا بِالْوَشِيحِ الْمُقَوِّمِ^(٤)
لكنه لم يراعِ شرط اللَّفّ والنشر

(١) في الأصل : « يرى تفسير » وفيه نقص وتحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .
(٢) الحقف بالكسر : الرمل المموج . (٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها يستقيم الوزن والمعنى . (٤) أراد بالوشيح الزمام .
(٧-٩)

وقول آخر :

فوا حسرتا حتى متى القلبُ مُوجَعٌ * بفقد حبيب أو تعذّر إفضال
فراق حبيب مثله يورث الأسى * وخَلَّةٌ حرّ لا يقوم بها مالى^(١)
ومنه قول ابن شَرَف :

٥ سل عنه وأنطق به وأنظر إليه تجد * ملء المسامع والأفواه والمقل
ومن احسن ما فى هذا الباب قول ابن الرومى :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات إذا دَجَوْنَ نجوم
منها معالمٌ للهدى ومصابيح * تجلو الدجى والأخريات رُجوم
وفسادُ ذلك أن يأتى بإزاء الشئ بما لا يكون مقابلاً له ، كقول الشاعر :
١٠ فأيها الحيران فى ظلم الدجى * ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا
تعال إليه تلق من نور وجهه * ضياءً ومن كفيه بحرا من الندى



فاتى بالندى بإزاء بنى العدا ، وكان يجب أن يأتى بإزائه بالنصر أو العصمة
أو الوزر وما جانسه ، أو يذكّر فى موضع البنى الفقر والعُدَم وما جانس ذلك .

وأما التعديد — ويسمى سياقة الأعداد — فهو إيقاع أسماء مفردة على
سياق واحد ، فإن روى فى ذلك آزدواج أو جناس أو تطبيق أو نحو ذلك كان
١٥ غايةً فى الحسن ، كقولهم : وضع فى يده زمام الحَلِّ والعقد ، والقبول والرد ، والأمر
والنهى ، والبسط والقبض ، والإبرام والنقض ، والإعطاء والمنع ، ومن النظم قول
المتنبي :

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفنى * والضرب والطعن والفرطاس والقلم .

وأما تنسيق الصفات — فهو أن يذكر الشيء بصفات متوالية ، كقوله عز وجل : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ” ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلس يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقاً ، الموططون أكنفا ، الذين يالفون ويؤلفون “ ؛

ومن النظم قول أبي طالب في النبي صلى الله عليه وسلم :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقول المتنبي :

دانٍ بعيدٌ محبٌ مبغضٌ بهج * أغرُّ حلوٌ ممرلين شرس .

وأما الإيهام — ويقال له التورية والتخييل — فهو أن يذكر ألفاظها معانٍ قريبة وبعيدة ، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب ، ومراد المتكلم البعيد مثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمانى

فذكر الثريا وسهيلاً ليوهم السامع أنه يريد النجمين ، ويقول : كيف يلتقيان والثريا من منازل القمر الشامية ، وسهيل من النجوم اليمانية ؟ ومراده الثريا التي كان يتغزل بها لما تزوجت بسهيل ؛ ومن ذلك قول المعري :

إذا صدق الجند أترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وإن كذب الخلال

فإن وهم السامع يذهب إلى الأقارب، ومراده بالحدّ : الخطّ، وبالعمّ : الجماعة^(١) من الناس ، وبالنخال : المخيلة، ومن ذلك قول الحريري في [وصف الإبرة والميل في] المقامة الثامنة :

وقوله أيضا :

- ٥ يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الأوصاف في الأندية
قتلتها لا أتقى وارثا * يطلب مني قودا أو ديه
يريد بالعاتق العانس : الخمر، وبقتلها : مزجها، كما قال حسّان :
إن التي عاطيتني فرددتها * قتلت قتلت فهايتها لم تقتل
وأمثال ذلك كثيرة .

- ١٠ وعند علماء البيان : التخيل تصوير حقيقة الشيء للتعظيم، كقوله تعالى :
(وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ) والغرض منه
تصوير عظمته والتوقيف على كنهه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى
جهة حقيقة أو مجاز، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ” إنما نحن حَفَنَةٌ من
حَفَنَاتِ رَبَّنَا “ قال الزمخشري : ولا يُرى باب في علم البيان أدق ولا ألطف من
هذا الباب .

١٥

(١) هذه التكملة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل لاختضاء المقام إثباتها .

(٢) العاتق : الجارية التي أدركت وبلغت في بيت أبيها نخدّرت فيه ولم تنزّوج ، سميت بذلك لأنها
عفت من الصبا ومن خدمة أبيها ولم يملكها زوج بعد ، واجمع عواتق . والعانس التي كبرت في بيت أبيها
ولم تنزّوج .

(٣) كذا في حسن التوسل وغيره . والذي في الأصل : « والتوقف في كنه » وما أثبتناه أظهر
في المراد وأدّل على الغرض .

٢٠

وأما حسن الابتداعات — قال: هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداعات القصائد، وفتزع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بيت أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده؛ والكاتب أشد ضرورة إلى ذلك من غيره ليثبت كلامه على نسق واحد دل عليه من أول علم بها مقصده، إما في خطبة تقليد، أو دناء كتاب، كما قيل لكتاب: أكتب إلى الأمير بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الإنسان، فكتب: أما بعد حمد الله خالق الإنسان في بطون الأنعام

وكقول أبي الطيب في الصلح الذي وقع بين كافور وبين ابن مولاه:
حَسَمَ الصِّلْحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادَى * وَأَذَاعَتْهُ السُّنُحُ الْحَسَادُ
وأمثال ذلك . ١٠

قال: وينبغي أن لا يتبدى بشيء يتطير منه، كقول ذى الرمة:

* مَا بِالْأَعْيُنِ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ *

وقول البحترى:

* لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصِرُ آخِرُهُ *

وكقول المتنبي:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا * وَحَسْبُ الْمَنَاسِيَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا

وكقوله:

مِلْتُ الْقَطَرَ أَعْظَمُهَا رُبُوعَا * وَإِلَّا فَاسَقَمَهَا السَّمُ الْقِيَعَا^(٢)

(١) كذا في الأصل . وهو غير ظاهر، والذي يلوح لنا أن في هذه العبارة تقديم وتأخير أو زيادة ها . والأصل فيها هكذا: « دل على مقصده من أول علم به » أخذنا من عبارة حسن التوكل ص ٦٥ ط الوهابية، ونصها: « فينبى كلامه على نسق يستدل منه على مقصده من أول وهلة » .

(٢) المثلث: من اللث، وهو دوام المطر .

قال : وينبغي أن يراعى في الابتداءات ما يقرب من المعنى إذا لم تنأ له براءة الاستهلال، وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه، وقيل : إن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابغة :

كَلْبَنِي لَهْمَ يَا أُمَيَّةَ نَاصِب * وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطْيَاءُ الْكَوَاكِبِ

• ومن أحسن ما ابتدأ به مؤلف قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

هَلْ إِلَى أَنْ تَتَامَ عَيْنِي سَبِيل * إِنَّ عَهْدِي بِالنَّوْمِ عَهْدٌ طَوِيلٌ
وَيَحْسَنُ أَنْ يَتَدَيَّ فِي الْمَدِيحِ بِمَثَلِ قَوْلِ أَبِزُونِ الثَّمَانِي :

عَلَى مَنَبْرِ الْعُلَيَّا جَدُّكَ ^(١) يَخْطُبُ * وَلِلْبَلَدَةِ الْعِذْرَاءِ سَيْفُكَ يَخْطُبُ

وقول المتنبي :

١٠ عَدُوَّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ * وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ
وقول التيفاشي :

مَا هَزَّ عَظْمِيهِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ * مِثْلُ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ
وفي التشبيب كقول أبي تمام :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبِ * أَذِيلْتُ مَضُونَاتُ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبِ
وفي النسب كقول المتنبي :

١٥ أَرَاهَا لَكَثْرَةِ الْعَشَاقِ * تَحْسَبُ الدَّمَعَ خَلْقَةً فِي الْمَآقِ
وفي المرائي كقول أبي تمام :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ * وَلَيْسَ لَعِينٌ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرًا

(١) في الأصل : «العلباء» وهو تحريف .

وأما براعة التخايص — فهو أن يكون التشبيب أو النسيب ممزوجا بما بعده من مدح وغيره غير منفصل عنه، كقول مسلم بن الوليد :

أَجِدُّكَ هَلْ تَدْرِيْنَ أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ * كَأَنَّ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تُنْشَرُ
نَصَبْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بُغْرَةٌ * كَغُرَّةِ يَمْحَى حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفَرُ

وكقول المتنبي :

نَوَدَّعُهُمُ وَالْبَيْنَ فِينَا كَأَنَّهُ * قَنَا ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقٍ .

وأما براعة الطلب — قال : وهو أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتعظيم المدوح، كقول أمية بن أبي الصلت :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنِّ شَيْتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ

وكقول المتنبي :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ * سَكَوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابُ .

وأما براعة المقطع — فهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعدبا حسنا، لتبقى لذته في الأسماع، كقول أبي تمام :

أَبْقَيْتَ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَصْفَرَّ كَأَسْمَهُمْ * صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

وكقول المتنبي :

وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ * عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

وكقول الغزوي :

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ * وَهَذَا دَعَاءُ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ .

وأما السؤال والجواب — فهو كقول أبي فراس :

لك جسمي نُعلّه * فدمي لم تَطُلْهُ^(١)؟

قال إن كنتُ مالكا * فلي الأمر كله

وأمثال ذلك . وقد أوردنا منه في باب الغزل ما فيه كفاية .

وأما صحة الأقسام — فهو عبارة عن استيفاء أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه .

بحيث لا يغادر منه شيئا ؛

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ وليس في رؤية

البرق إلا الخوف من الصواعق ، والطمع في المطر ؛

وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ فلم يبق قسما من

أقسام الهيئات حتى أتى به ؛

وقوله تعالى : ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَانَا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يَزُوْجَهُمْ ذُكْرَانًا

وإِنَانَا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا﴾ ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ”ليس لك من

مالك إلا ما أكلت فأفريت ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت“ ولا راجع

لهذه الأقسام ؛

ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من

فضل ، أو واسب من كفاف ، أو آثر من قوت ؛ فقال الحسن : ما ترك الأعرابي

منكم أحدا حتى عمه بالمسألة ؛

ومن أمثلة هذا الباب في الشعر قول بشار :

فراح فريق في الإسار ومِثْلُهُ * قتيل ومِثْلٌ لاذ بالبحر هاربه

(١) في حسن التوسل : «تمحله» ومعنى البيت يستقيم على كائنا الروايتين ، وتطله : من طل دمه إذا

أهدروا ولم يؤخذ بثأره .

وأصله قول عمرو بن الأهم :

إشربا ما شربتما فهُدَيْلٌ * من قَتِيل وهارب وأسير

ومن جيد صحة الأقسام قول الحماسي :

وهبها كشيء لم يكن أو كنازح * به الدار أو من غيَّبته المقابر

فاستوفى جميع أقسام المعلوم ؛

وقول أبي تمام في الأَفْشِين لما احترق بالنار :

صَلَّى لها حَيًّا وكان وَقودَها * مِيتًا وَيَدخلها مع الفَجَّار

ومن قديم ما في ذلك من الشعر قول زهير :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله * ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِي

ومن النادر في صحة الأقسام قول عمر بن أبي ربيعة :

تهيم إلى نُم فلا الشَّمْل جامعٌ * ولا الحبل موصول ولا أنت مُقَصَّر

ولا قُرْبُ نُم إن دنت لك نافعٌ * ولا بُعدها يُسلي ولا أنت تصبر.

وأما التوشيح — فهو أن يكون معنى الكلام يَدُلُّ على لفظ آخره، فيتنزل

المعنى منزلة الوشاح ، ويتنزل أوَّل الكلام وآخره منزلة العاتق والكشاح اللذين يحول

عليهما الوشاح .

وقال قدامة : هو أن يكون في أوَّل البيت معنى إذا علم علمت منه قافية البيت

بشرط أن يكون المعنى المَقْدَّم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه ، كقول
الراعي التَّمِيْرِي :

(١) كذا ورد هذا التعريف في الأصل وحسن التوصل في النسخة المخطوطة منه المحفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ٧٧ أدب ؛ وعبارة قدامة في كتابه نقد الشعر ص ٦٣ ط الجواب : هو أن يكون
أوَّل البيت شاهدا بقافيه ومعناها متعلقا به حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع
أوَّل البيت عرف آخره وبانت له قافيه .

(١) فإن وُزِنَ الحصى فوزنت قومي * وجدت حصى ضريبتهم رزينا
فإن السامع إذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزانه الحصى ، وعرف القافية
والروى ، علم آخر البيت ؛ ومن أمثلته ما حُكِيَ عن عمر بن أبي ربيعة أنه أنشد عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما :

* تَسَيَّطَ غدا دار أحبابنا *

فقال له عبد الله :

* وللدَّارُ بعد غد أبعد *

فقال له عمر : هكذا والله قلتُ ، فقال له عبد الله : وهكذا يكون .

وأما الإيغال — فمعناه أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت
أستخرج سبعة أو قافية تفيد معنى زائدا على معنى الكلام ، وأصله من أوغل
في السير إذا بلغ غاية قصده بسرعة .

وفسره قدامة بأن قال : هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن
يأتى بقافيته ، فإذا أراد الإتيان بها أفاد معنى زائدا على معنى البيت ، كقول ذى الرمة :
قِفِ العيسَ في آثار ميةَ واسالِ * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل^(٢)

فتَمَّ كلامه قبل القافية ، فلما احتاج إليها أفاد بها معنى زائدا ، وكذلك صنع في البيت
الثاني فقال :

أظن الذى يُجِدِّى عليك سؤالها * دموعا كتبذير الجمان المفصل

فإنه تَمَّ كلامه بقوله : كتبذير الجمان ، واحتاج إلى القافية ، فأتى بها تفيد معنى
زائدا لو لم يؤت بها لم يحصل .

(١) الضريبة : السجية والطبيعة ، يصفهم برجاجة الحلم وسكون الطبع .

(٢) الثوب المسلسل : الردى . النسخ .

وحكى عن الأصمعيّ أنه سئل عن أشعر الناس فقال : الذى يأتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كثيرا ، وينقضى كلامه قبل القافية ، فإن احتاج إليها أفاد بها معنى ، فقبل له : نُحْمَن ؟ فقال : نُحُو الفاتح لأبواب المعانى أمرئ القيس حيث قال :

كأَنَّ عيُونَ الوحش حول خبائثنا * وأرْحُلنا الجَزَعُ^(١) الذى لم يثْقَبِ
ونُحُوْزُهُرٍ حيث يقول :

كأَنَّ فُتَاتَ العِهنِ فى كُلِّ منزل * نَزَلْ به حَبُّ القَنَا^(٢) لم يحْطِمْ
ومن أبلغ ما وقع فى هذا الباب قولُ الخنساء :

وإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمَّ العُفَاةُ^(٣) به * كأنه عَلمٌ فى رأسه نار

ومنه قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوى :

فَأَتَمُّ بَنُو بَنْتِهِ دُونَنَا * وَنَحْنُ بَنُو عَمِّهِ الْمُسْلِمِ^(٤)

ومن أمثلة ذلك من شعر المتأخرين قولُ الباهرزى :

أَنَا فى فُؤادِكَ فارم طَرْفَكَ نَحْوَهُ * تَرْنى فَقَلْتَ لها وَأَيْنَ فُؤادى
وقولُ آخر :

تَعَجَّبْتُ من ضَنِى جِسمى فَقَلْتَ لها * على هَوَاكِ فَقَالَتِ عِنْدَى الْخَبْرُ.

(١) الجزع بفتح الجيم وتكرس : الخرز اليمانيّ فيه سواد وبياض تشبه به الأعين .

(٢) ألفنا بالقصر : غيب الثعلب ، الواحد فناة . وفى الأصل : « القنا » بالقاف المثناة ، وهو

تحريف .

(٣) فى رواية : « الهداة » كما فى حسن التوسل وغيره ، ومعنى البيت يستقيم على كائنا الرايتين .

(٤) فى الأصل : « فنحن بنوا بيته » وهو تحريف لا يستقيم به معنى البيت ، والتصويب عن حسن

التوسل وغيره من كتب الأدب .

•

١٠

١٥

٢٠

وأما الإشارة — فهي أن يشتمل اللفظ القليل على معان كثيرة بإيحاء إليها،
 وذكر لَحْمَةٍ تَدَلُّ عَلَيْهَا، كقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحِ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحِ ﴾ ، ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ
 النَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ .

وكقول امرئ القيس :

- فإن تَهْلِكَ شُوءَةٌ ^(١) أَوْ تُبَدَّلَ * فَيَسِيرُ إِنِّي فِي غَسَّانٍ خَالَا
 بِمَزْهَمٍ وَعَزَّزْتُ وَإِنْ يَذَلُّوا * فَذَلُّهُمْو أَنَا لَكَ مَا أَنَا لَا

وكقوله أيضا :

فَظَلَّ لَنَا يَوْمَ لَذِيذِ بَنَعْمَةٍ * فَقُلْ فِي نَعِيمٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبٌ .

وأما التذييل — وهو ضدُّ الإشارة — فهو إعادة الألفاظ المترادفة على

- ١٠ المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند مَنْ فُهِمَهُ، كقوله :
 إِذَا مَا عَقَدْنَا لَهُ ذُقْمَةً * شَدَدْنَا الْعِنَاجَ وَعَقَدَ الْكَرْبَ ^(٢)
 وقول آخر :

وَدَعَا نَزَالٍ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ * وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

ويقرب منه التكرار، كقول عبيد :

- ١٥ هل لَا سَأَلْتُ جَمُوعَ كَنَازِدَةٍ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا؟

(١) يريد أزد شُوءَةٌ؛ قال ياقوت : شُوءَةٌ بالفتح ثم الضم وروا ساكنة ثم همزة مفتوحة وهاء :

مخلاف بالين بينها وبين صنعاء اثنا وأربعون فرسخا ، تنسب إليها قبائل من الأزد يقال لهم : أزد شُوءَةٌ .
 ثم قال : والنسبة إليهم شُنَائِي ؛ قال ابن السكيت : ربما قالوا أزد شُوءَةٌ بالتشديد بغير همزة ، ينسب
 إليهم : شُنُوِي .

٢٠ (٢) العِناج : حبل يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد في العراق . والكرَب بالتحريك حبل يشد

في وسط العراق ليلي الماء فلا يغرق الحبل الكبير .

وكقول آخر :

وكانت فزارةٌ تصلى بنا * فأولى فزارةٌ أولى فزارا.

وأما التردد — فهو أن تعلق لفظة في البيت بمعنى ، ثم تردّها فيه بعينها وتعلّقها بمعنى آخر ،

كما قال زهير :

من يلقَ يوما على عِلاته هَرِما * يلقى السّاحة منه والندى خُلُقا

وكقول آخر :

وأحفظ مالى فى الحقوق وإنه * بلحْم وإنّ الدهر جَمّ عجائبه

وكقول أبى نواس :

صفراء لا تنزل الأحران ساحتها * لو مسها سحجر مسسته سراء.

١٠

وأما التفويف — فهو مشتق من الثوب المفوف ، وهو الذى فيه خطوط بيض ، وهو فى الصناعة عبارة عن إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الأغراض ، كلُّ فنّ فى سبعة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل فى الوزنيّة ، وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة ؛

فمثال ما جاء منه فى الجمل الطويلة قولُ النابغة الذبيانيّ :

١٥

فلله عينا من رأى أهل قُبّة * أضرّ لمن عادى وأكثرَ نافعا

وأعظمَ أحلاما وأكبرَ سيّدا * وأفضّلَ مشفوعا إليه وشافعا

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قولُ أبى الوليد بن زيدون :

تَهْ أَحْتَمَلْ ، وَأَسْتَطِلْ أَصْبِرْ ، وَعِزَّ أَهْنُ * وَوَلَّ أَقْبِلْ ، وَقُلْ أَسْمَعْ ، وَمُرَّ أَطْعِ

ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قولُ المتنبيّ :

٢٠

أَقْلُ أَنْيْلُ أَقْطِعْ أَلِ عَلَّ سَلَّ أَعْدُ * زِدْ هِشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدِنْ سُرَّ صِلْ .

وأما التسهيم — فهو مأخوذ من البرد المسهم، وهو المخطط الذى لا يتفاوت ولا يختلف، ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيئا واحدا، ويشرك بينهما بالتسوية، والفرق بينهما أن التوشيح لا يدلّك أوله إلا على القافية فحسب، والتسهيم تارة يدلّ على عجز البيت، وتارة على ما دون العجز؛

- وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدلّ على ما يتأخر، تارة بالمعنى، وتارة باللفظ،
 • كأبيات جنوب أخت عمرو ذى الكلب، فإن الحذاق بمعنى الشعر وتأليفه يعلمون أن معنى قولها :

* فأقسم يا عمرو لو نبهاك *

يقتضى أن يكون تمامه :

- ١٠ * إذن نبها منك داء عضالا *

دون غيره من القوافي، كما لو قالت مكان «داء عضالا» : لينا غضوبا، أو أفعى قتولا، أو سماء وحيا، أو ما يناسب ذلك، لأن الداء العضال أبلغ من جميع هذه الأشياء (٥٥) وأشد، إذ كل منها يمكن مغالته أو التوقى منه، والداء العضال لادواء له، فهذا مما يُعرف بالمعنى؛

- ١٥ وأما ما يدلّ فيه الأول على الثانى دلالة لفظية فهو قولها بعده (١١) :

إذن نبها لىث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

فإن الحذاق بصناعة الكلام إذا سمع قولها : « مفيتا مفيدا » تتحقق أن هذا اللفظ يقتضى أن يكون تمامه : « نفوسا ومالا » ؛ وكذلك قولها :

* فكنت النهار به شمسه *

- ٢٠ (١) فى الأصل : « من قولها » ، وقوله « من » زيادة من الناسخ .

يقتضى أن يكون [بعده^(١)] :

* وكنت دجى الليل فيه الهللا *

ومن ذلك قولُ البحترى :

* وإذا حاربوا أذلّوا عزّيزا *

يحكم السامع بأن تمامه :

* وإذا سالموا أعزّوا ذليلا^(٢) *

وكذلك قوله :

أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي

* فليس الذي حالته بحلل *

يعرف السامع أن تمامه :

* وليس الذي حرّمته بحرام *

وأما الاستخدام — فهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ، ثم يأتي بلفظتين

يستخدم كلّ لفظة منهما في معنى من معني تلك اللفظة المتقدمة ، وربما آلتبس

الاستخدام بالتورية من كون كل واحد من البابين مفتقرا إلى لفظة لها معنيان ،

والفرق بينهما أن التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة ، وإهمال الآخر ،

والاستخدام استعمالهما معا ، ومن أمثله قولُ البحترى :

فسقى القضى والسّاكينة وإن هو * شبّه بين جوانح وقلوب

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها أخذا من عبارة حسن

التوسل ص ٧١ ط الوهابية وغيره ، فإن عبارته : « يقتضى أن يتلوه » .

(٢) في الأصل : « وان » وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « من معاني ذلك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) في الأصل : « الناس » ؛ وهو تحريف .

فإن لفظة الغضى محتملةٌ للموضع والشجر، والسُّقيا صالحةٌ لهما، فلما قال :
« والساكين » آستعمل أحد معني اللفظ، وهو دلالته بالقرينة على الموضع، ولما
قال : « شَبَّوه » آستعمل المعنى الآخر، وهو دلالته بالقرينة على الشجر؛ ومن ذلك
قَوْلُ الشاعر ^(١) :

إذا نزل السماء بأرض قوم * رَعَيْنَاهُ وإن كانوا غُضابا

أراد بالسماء الغيث، وبضميره النَّبَت .

وأما العكس والتبديل — فهو أن يقدّم في الكلام أحد جزئيه ثم يؤخّر،
ويَقَعُ على وجوه :

منها أن يقع بين طرفي الجملة، كقول بعضهم : عادات السادات، ساداتُ
العادات ؛

ومنها أن يقع بين متعلّقَ فعلين في جملتين، كقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ومنه بيت الحماسة :

فردّ شعورهن السود بيضا * وردّ وجوههن البيض سُودا؛

ومنها أن يقع بين كلمتين في طرفي جملتين، كقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ
وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾

وقول أبي الطيّب :

ولا مجدّ في الدنيا لمن قلّ ماله * ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده .

وأما الرجوع — فهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة
كقول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القَدَم * بلى وغيرها الأرواح والديم

(١) هوجير بن عطية الخطّني .

(٢) في الأصل : « من » وما أثبتناه عن حسن التوسل .

كَأَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَى الدِّيارِ عَرَّته رَوْعة ذَهَلْ بها عن رُؤية ما حصل لها من التغيّر
فقال : «لَمْ يَعْفُها الْقِدَمُ» ثم تاب إليه عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس ، فقال :
بلى عَفَتْ وَغَيَّرَها الأرواحُ والدَّيْمُ ؛

ومنه بيت الحماسة :

أليس قليلاً نظرةً ^(١) إن نظرتها * إليك وكلاً ليس منك قليل .

وأما التغيار — فهو أن يغيّر المتكلم الناس فيا عاداتهم أن يمدحوه فيذمه
أو يذموه فيمدحه ؛

فمن ذلك قول أبي تمام يغيّر جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم :

قد بلّونا أبا سَعِيدٍ حديثاً * وبلّونا أبا سَعِيدٍ قديماً
فوردناه سائحاً وقليلاً * ورعينا به بارضاً وجمياً
فعلّمنا أن ليس إلا بشقّ النفس صار الكريم [يدعى] كريماً ^(٣)

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة :

لا يُتَعَبُ النَّائِلُ الْمَبْذُولُ هِمَّتَهُ * وكيف يُتَعَبُ عَيْنَ النَّاظِرِ النَّظَرَ

ومنه قول ابن الرومي في تفضيل القلم على السيف :

إن يَخْدُمَ الْقَلَمُ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ * له الرقابُ ودانت خوفه الأُمم
فالموتُ والموتُ لا شَيْءٌ يَعادِلُهُ * ما زال يَتَّبِعُ ما يَجْرِي به القلم

(١) البيت ليزيد بن الطثرية .

(٢) البارض : أول ما يظهر من نبات الأرض ، والجيم : النبات الكثير ، أو هو ما نهض وانتشرته .

وفي الأصل : «سنباً» وفي حسن التوسل : «هشياً» ، وهو تحريف في كليهما ، والتصويب عن ديوان

أبي تمام ص ٣٦٠ ط الأديبة .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن ديوان أبي تمام إذ بها يستقيم البيت .

كذا قضى الله للأقلام مذ بُرِّيت * أن السيوف لها مذ أُرِهفت خَدَم
وغايره المتنبي على الطريق المألوف فقال :

حتى رجعتُ وأقلامي قوائِلُ لى * المجد لل سيف ليس المجد للقلم
اكتب بها أبدا قبل الكتاب بنا * فإنما نحن للأسياف كالخَدَم.

وأما الطاعة والعصيان — فإنه قال : هذا النوع آستنبطه أبو العلاء المعزى
عند نظره فى شعر أبى الطيّب، وسمّاه بهذه التسمية، وقال : هو أن يريد المتكلم
معنى من المعانى التى للبديع فيستعصى عليه لتعذّر دخوله فى الوزن الذى هو آخذ فيه
فيأتى موضعه بكلامٍ غيره يتضمّن معنى كلامه، ويقوم به وزنه، ويحصل به معنى
من البديع غير الذى قصّده، كقول المتنبي :^(١)

يُرْدِدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد
فإنه أراد أن يقول : يردّدا عن ثوبها وهو مستيقظ، حتى إذا قال :
* ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد *

يكون فى البيت مطابقة، فلم يطمع الوزن، فأتى بقادر فى موضع مستيقظ لتضمّنه
معناه، فإن القادر لا يكون إلا مستيقظا وزيادة، فقد عصاه فى البيت الطباق
وأطاعه الجناس بين قادر وراقد، وهو جناس العكس ؛

١٥

(١) كذا فى الأصل وحسن التوسل وشرح الباعونية المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة ؛ وعبارة ابن أبى الإصبع فى تحرير التحير المحفوظ منه نسخة مخطوطة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة : « أن يريد المتكلم معنى من معانى البديع » .
(٢) كذا فى تحرير التحير وحسن التوسل . والذى فى الأصل : « عن » .

(٣) كذا فى حسن التوسل ص ٧٣ ط الوهية وتحرير التحير لابن أبى الإصبع . وعبارة الأصل :
« فإنه لو أراد » ؛ وقوله : « لو » زيادة من الناسخ بدليل قوله فيما سياتى « فلم يطمع » بإثبات الفاء ؛
على أنه يؤخذ مما سبق فى تعريف هذا القسم من قوله : « أن يريد المتكلم » أن التمثيل لا يتم إلا بأن يكون
الشاعر قد أراد ذلك بالفعل .

٢٠

وأَنكرَ ابنُ أبي الإصبع أن يكون هذا الشاهد من باب الطاعة والعصيان ، لأنه كان يمكنه أن يقول عوض قادر : ساهر ، وإنما المتنبّي قصد أن يكون في بيته طباقٌ معنويٌّ ، لأنَّ القادر ساهر وزيادة ، إذ ليس كلُّ ساهر قادرًا ، وأن يكون فيه جناس العكس .

٥ وقال : إن شاهد الطاعة والعصيان عنده أن تعصيه إقامة الوزن مع إظهار مراده ، فتطيعه لفظة من البديع يتم بها المعنى وتزيده حسنا ، كقول عوف بن مُحَلَّم :
 إن الثمانين وبلغتها * قدأُحوجت سمي إلى ترجمان
 فإنه أراد أن يقول : إن الثمانين قد أُحوجت سمي إلى ترجمان ، فعصاه الوزن وأطاعه لفظة من البديع وهي التميم ، فزادته حسنا وكملت مراده ، وكلّ التميم من هذا النوع . ١٠

وأما التسميط — فهو أن يجعل المتكلم مقاطيع أجزاء البيت أو القرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القرينة ، كقول مروان بن أبي حفصة :
 هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجاوبوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
 فإن أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط ، والأجزاء المسجعة بمنزلة حبّ العقد . ١٥

وأما التشطير — فهو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ، ثم يُصرِّع كلّ شطر من الشطرين ، ولكنه يأتي بكلّ شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ، كقول مسلم ابن الوليد :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومٍ ذي رَهِجٍ * كأنه أجلّ يسعى إلى أمل
 وكقول أبي تمام : ٢٠

تدبيرٌ معصِمٌ بالله متقيم * لله مرتقيبٌ في الله مرتغب .

وأما التطريز — فهو أن يتبدى الشاعر بذكر جُمْل من الذوات غير مفصلة ثم يُخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعدادِ جُمْل تلك الذوات تعدادَ تكرار واتحاد، لاتعدادَ تغاير، كقول ابن الرومي:

أُمُورِكُو [بني] خَافَانْ عِنْدِي * عَجَابٌ فِي عَجَابٍ فِي عَجَابٍ ^(١)

قُرُونٌ فِي رءُوسٍ فِي وَجُوه * صِلَابٌ فِي صِلَابٍ فِي صِلَابٍ

٥٧

وكقوله:

وَتَسْقِينِي وَتَشْرَبُ مِنْ رَحِيْقٍ * خَلَقِي أَنْ يُشَبَّهَ بِالْخَلْقِ

كَأَنَّ الْكَأْسَ فِي يَدِهَا وَفِيهَا * عَقِيْقٌ فِي عَقِيْقٍ فِي عَقِيْقٍ .

وأما التوشيع — فهو مشتق من الوشيعه، وهي الطريقة في البرد، وكأنَّ

- الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره، فأتى فيه بطريقة تُعدُّ من المحاسن؛ وهو عند
 ١٠ أهل هذه الصناعة أن يأتي المتكلم أو الشاعر بأسمِ منثى في حشو العجز، ثم يأتي بعده
 باسمين مفردين هما عين ذلك المنثى، يكون الآخر منهما قافيةً بيته، أو سبعة كلامه
 كأنهما تفسير لما شاء، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يُشَبَّهُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبَّ فِيهِ
 خَصْلَتَانِ: الْحَرُصُ وَطُولُ الْأَمَلِ"

- ومن أمثلة ذلك في النظم قول الشاعر:

أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ تَذْكَارِكُمْ وَصَبَا * يَرِنِي لِي الْمُسْهِفَانِ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِنْ تَذْكَرِكُمْ * وَاعْتَادَنِي الْمُضْنِيَانِ الْوَجْدُ وَالْمَكْدُ

وَغَابَ عَنْ مَقْلِي نَوْمِي لَغَيْبَتِكُمْ * وَخَانَنِي الْمُسْعِدَانِ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ خَفِيِّ الرُّوحِ فِي جَسَدِي * فَدَى لَكَ الْبَاقِيَانِ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ .

٢٠ (١) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل، وقد نقلناها عن حسن التوسل وغيره، إذ بها يستقيم

الوزن والمعنى . (٢) في الأصل: «بناء» بالياء الموحدة، وهو محريف .

قال ابن أبي الإصبع : وما بما قلته في هذا الباب من بأس ، وهو :
 بي حِمتان مُلأَم في هَسَوَى بهما * رثى لى القاسيان الحُبَّ والحجر^(١)
 لولا الشفيقان من أمنيّة وأسا^(٢) * أودى بى المرديان الشوق والفكر
 قال : ويحسن أن يسمّى ما فى بيتيه مطرّف التوشيع ، إذ وقع المثنى فى أوّل
 كلّ بيت وآخره .

وأما الإغراق — وهو فوق المبالغة ودون الغلو ، ومن أمثله قول ابن المعتز :
 صَبَبْنَا عليها ظالمين سَيَاطِنَا * فطارت بها أيدٍ سِرَاعٌ وأرجل
 فوضع الإغراق من البيت قوله : ظالمين ، يعنى أنها استفرغت جهدها فى العَدُو
 فما ضربناها إلا ظالما ، فن أجل ذلك خرجت من الوحشية إلى الطيرية ؛ ولولم يقل :
 « ظالمين » لما حسن قوله : « فطارت » ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها
 حقيقة ، وقد عدّ من الإغراق لا المبالغة قول امرئ القيس :
 تنوّرتُها من أذِرَاعٍ وأهلها^(٣) * بيثرب أدنى دارها نظرٌ على .
 وأما الغلو — فمنهم من يجعله هو والإغراق شيئا واحدا ، ومن شواهد
 قول مهلهل :

فلولا الريحُ أَسْمَعَ من بحجر^(٤) * صليلُ البَيضِ تُقَرِّعُ بالذكور^(٥)

- (١) فى الأصل وحسن التوسل : « لى » باللام ؛ وما أثبتاه عن تحرير النحير لابن أبي الإصبع .
 (٢) الأسى بضم الهمزة وكسرها : جمع أسوة بالضم والكسر أيضا ، وهى القدوة ، يريد اقتدائه بغيره
 من مسهم من المحن ما مسه ، فهو يتأسى بهم فيما ناله منها .
 (٣) أذرع : بلد بأطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر ، والنسبة إليه أذرى .
 (٤) حجر يفتح الحاء : مدينة اليمامة وأمّ قراها . والبيض بفتح الباء واحده بيضة ، وهى الخوذة
 التى تلبس على الرأس فى الحرب ، سميت بذلك لأنها تشبه بيضة النعامة . وأراد بالذكور : السيوف ؛
 والذكر من الحديد : أبيضه وأشدّه وأجوده .

ومثله قول المتنبي في وصف الأسد :

وردد إذا ورد البحيرة شارباً * بلغ الفرات زفيره والنيلا

قالوا : ومن أمثلة الغلو قول التمر بن توبل في صفة السيف :

تظل تحفر عنه إن ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادى .

- وأما القسم — فهو أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيأتى في الحلف بما يكون مدحاً [له] وما يكسبه فخراً، أو يكون هجاءً لغيره، أو وعيداً، أو جارياً مجرى التغزل والترقيق؛

فمثال الأول قول مالك بن الأشتر النخعي^(١) : * بقيت وفري وانحرفت عن العلا *

وقد تقدم الاستشهاد بهما في النظم ، فإنها تضمنت فخراً له ، ووعيداً لغيره ؛ وكقول

- أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم :

أكذبت أحسن ما يظن مؤملي * وعدمت ما شادته لى أسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها * قدما من الإخلاف والإتلاف

وغضضت من نارى ليخفى ضوءها * وقرئت عذرا كاذبا أضيف

إن لم أشن على علي^(٢) غارة * تضحى قذى فى عين الأشراف

- وقد يقسم الشاعر بما يزيد المدح مدحاً، كقول القائل :

إن كان لى أمل سواك أعدته * فكفرت نعمتك التى لا تكفر

(١) الورد من الأسود : ما أشبه لونه لون الورد .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوصل إذ السياق يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : « كقول » ، والكاف زيادة من النسخ .

(٤) كذا فى شرح الباعونية المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة ؛

والذى فى الأصل وحسن التوصل : « خلة » بخاء معجمة بعدها لام ، ولم نجد من معانيه ما يلائم معنى

البيت ، ولعله محرف عن « حلة » بخاء مهملة بعدها مم .

ومما جاء من القسم في النسيب قولُ الشاعر :

فإن لم تكن عندي كعيني ومسمعى * فلا نَظَرْتُ عيني ولا سَمِعْتُ أذنى

ومما جاء في الغزل قولُ الآخر :

لاوالذى سَلَّ من جفنيه سيفَ ردى * قُدت له من عذاريه حمائله

ما صارمت مقلتي دمعا ولا وصَلت * غمضا ولا سالمت قلبي بلابله .

٥

وأما الاستدراك — فهو على قسمين : قسم يتقدم الاستدراك فيه تقريرٌ لما أخبر به المتكلم وتوكيدٌ، وقسم لا يتقدمه ذلك ؛ فن أمثلة الأول قولُ القائل :

وإخوانٍ تحذثهمو دروعا * فكانوها ولكن للاعادى

وخلتهمو سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوبٌ * لقد صدقوا ولكن من ودادى

١٠

وقولُ الآخر :

غالطنى إذ كست جسمى ضنى * كسوة أعرت من الجلد العظاما

ثم قالت أنت عندي فى الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

وأما القسم الثانى الذى لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد فكقول زهير :

أخوثة لا يهلك النجر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله .

١٥

وأما المؤتلفة والمختلفة — فهو أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين

فيأتى بهما مؤتلفة فى مدحهما ، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة

لا ينقص بها الآخر ، فيأتى لأجل الترجيح بهما تخالف التسوية ، كقول الخنساء

فى أخيها وأبيها — وراعت حقَّ الوالد بما لم ينقص الولد —

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَا * يَتَعَاقِبَانِ مُلَاءَةَ الْحُضِرِ^(١)
 وَهَمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا * صَقْرَانِ [قَدْ] حَطَّ إِلَى وَكْرِ^(٢)
 حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ * لُزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْعُذْرِ^(٣)
 وَعَلَا هَتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا * قَالَ الْمَجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرَى
 بَرَقَتْ صَحِيفَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ * وَمَضَى عَلَى غُلُوثِهِ يَجْرَى
 أَوَّلَى فَأَوَّلَى أَنْ يَسَاوِيَهُ * لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

وَأَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى زَهِيرٌ حَيْثُ قَالَ :

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوِهِمَا * عَلَى تَكَالُفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقٍّ
 أَوْ يَسْبِقْهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ * فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقًا

وَتَدَاوَلَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

ثُمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَهَى قَدَمًا * دُونَ مَدَاهِ بَغِيرِ تَرْهِيْقٍ
 فَقِيلَ رَاشًا سَهْمًا تُرَادُّ بِهِ الشَّغَايَةُ وَالنَّضْلُ سَابِقُ الْفُوقِ^(٥).

وَأَمَّا التَّفْرِيقُ الْمَفْرَدُ - فَهُوَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

مَا نَوَالَ الْغَمَامُ يَوْمَ رُبْعٍ * كَنَوَالَ الْأَمِيرِ يَوْمَ سِنَاءٍ

فَنَوَالَ الْأَمِيرُ بَدْرُهُ عَيْنٍ * وَنَوَالَ الْغَمَامُ قَطْرُهُ مَاءً.

(١) الحُضِرُ : الْأَرْتِفَاعُ فِي الْعَدُوِّ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَقَدْ نَقَلْنَاهَا عَنْ كَتَبِ الْأَدَبِ إِذْ بِهَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ .

(٣) الْعُذْرُ : جَمْعُ عَذَارٍ ، وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى خَدِّ الدَّابَّةِ مِنَ الْجَمَامِ .

(٤) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « قَوْلُ زَهِيرٍ » ؛ وَكَلِمَةُ « قَوْلٌ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ، وَالصَّوَابُ إِسْقَاطُهَا كَمَا يَقْتَضِيهِ

مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْكَلَامِ . وَعِبَارَةُ حَسَنِ التَّوَسُّلِ : وَأَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى زَهِيرٌ بِقَوْلِهِ .

(٥) الْفُوقُ بِضَمِّ الْفَاءِ ، مَوْضِعُ الْوَتَرِ مِنَ السَّهْمِ ، وَالْجَمْعُ أَفْوَاقُ .

وأما الجمع ^(١) مع التفريق — فهو أن يشبه شيئين بشئ ثم يفرق بين وجهي الاشتباه، كقول الشاعر :

فوجهك كالنار في ضوئها * وقلبي كالنار في حرها .

وأما التقسيم المفرد ^(٢) — فهو أن يذكر قسمة ذات جزأين أو أكثر، ثم يضم إلى كل واحد من الأقسام ما يليق به، كقول ربيعة الرقي :

يزيد سليم سالم المال والفتى * فتي الأزد للأموال غير مسالم
لستان ما بين اليزيد في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم
فهم الفتي الأزدي إتلاف ماله * وهم الفتي القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التتمام أنى هجوته ^(٣) * ولكني فضلت أهل المكارم

وكقول ابن حيوس :

ثمانية لم تفترق إذ جمعتها * فلا آفترقت ماذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى، وجودك والغنى * ولنظك والمعنى، وسيفك والنصر

(١) في الأصل : « بالتفريق » وما أثبتناه هو المعبر به في جميع كتب البلاغة، كما أنه هو الموافق لما سيأتي من قوله : « وأما الجمع مع التقسيم . وقال صاحب التجريد ج ٢ ص ٢٣٨ ط الأميرية نقلا عن عبد الحكيم ما نصه : «أورد كلمة : «مع» إشارة إلى أن المحسن اجتماعهما .

(٢) في الأصل : « بالمفرد » ، والباء زيادة من الناصح إذ لا مقتضى لها في هذه العبارة ، فإن قوله : « المفرد » صفة للتقسيم ، يريد التقسيم المفرد الذي ليس معه جمع كما يدل عليه ما سبق من قوله : « وأما التفريق المفرد » ، أي التفريق الذي ليس معه جمع أيضا . وعبارة حسن التوسل وغيره من كتب البلاغة : « التقسيم المفرد » بدون باء .

(٣) تتم الرجل متممة إذا تردد في التأ. فهو تتمم بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذي يعجل في الكلام ولا يفهمك .

(٤) في الأصل : « يمينك » ؛ وهو تحريف .

وقول آخر :

لِلتَّمِيسِ الْحَاجَاتِ جَمْعُ بِيَابِهِ * فَهَذَا لَهُ فَرْقٌ وَهَذَا لَهُ فَرْقٌ
فَلِلْخَامِلِ الْعَلْيَا، وَلِلْعَدِمِ الْغَنَى * وَلِلذَنْبِ الرَّحْمَى، وَلِلْخَائِفِ الْأَمْنُ
وَيَجُوزُ أَنْ يُعَدَّ هَذَا مِنَ الْجَمْعِ مَعَ التَّقْسِيمِ .

- وأما الجمع مع التقسيم — فهو أن يجمع أموراً كثيرة تحت حكم، ثم يقسم
بعد ذلك، أو يقسم^(١) ثم يجمع، مثال الأول قول المتنبي :
حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ^(٢) * تَسْقَى بِهِ الرُّومَ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ
لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُّوا، وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا * وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا، وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا
بِجَمْعٍ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَرْضَ الْعَدُوِّ مَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الشَّقَاوَةِ، وَذَكَرَ التَّقْسِيمَ
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي .

ومثال الثاني قول حسان :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ * أَوْ حَافِلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ * إِنَّ الْحَوَادِثَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ .

- وأما التزاوج — فهو أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول
البُحْتَرِيِّ :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِيَ وَجَّ بِي الْهَوَى * أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْمَجْرُ .

- وأما السلب والإيجاب — فهو أن يُوقِعَ [الكلام]^(٣) على نفي شيء وإثباته
في بيت واحد، كقوله :

(١) في الأصل : « و يقسم » ، والمقام يقتضى العطف بأو .

(٢) خرشنة بفتح الخاء وسكون الراء : بلد قرب ملطية من بلاد الروم .

(٣) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وَتَنكِرُ إِن شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ * وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
وَكَقَوْلِ الشَّمَاخِ :

هَضِيمُ الْحَشَى لَا يَمْلَأُ الْكَفَّ خَصْرُهَا * وَيَمْلَأُ مِنْهَا كُلَّ حِجْلٍ ^(١) وَدُمْلُجٍ .

وَأَمَّا الْأَطْرَادُ — فَهُوَ أَنْ يَطْرُدَ الشَّاعِرُ أَسْمَاءً مُتتَالِيَةً يَزِيدُ الْمَدْحُوحَ بِهَا
تعريفاً ، لِأَنَّهُ لَا تَكُونُ إِلَّا أَسْمَاءٌ أَبَانَهُ تَأْتِي مَنْسُوقَةً غَيْرَ مَنْقُطَةٍ مِنْ غَيْرِ ظَهْوَرٍ كُفَّةٍ
عَلَى النَّظْمِ كَأَطْرَادِ الْمَاءِ وَأَنْسَجَامِهِ ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْأَعَشَى ^(٢) :

أَقْيَسُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنِ قَيْسٍ بْنِ خَالِدٍ * وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجُو حِبَاءَكَ وَائِلُ
وَكَقَوْلِ دُرَيْدٍ :

قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ * ذَوَابَّ بَنِ أَسْمَاءٍ بِنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ
وَهَذَا أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِ ، لِأَطْرَادِ الْأَسْمَاءِ فِي عَجْزِ الْبَيْتِ .



وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ : وَقَدْ أَرَبَى عَلَى هَؤُلَاءِ بَعْضُ الْقَائِلِينَ حَيْثُ قَالَ :
مَنْ يَكُنْ رَامَ حَاجَةٍ بُعِدَتْ عِنْدَ * لَهُ وَأَعِثَّ عَلَيْهِ كُلُّ الْعِيَاءِ
فَلَهَا أَحْمَدُ الْمُرْجِيُّ ابْنُ يُحْيَى ب * مِنْ مُعَاذِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ رَجَاءٍ
لَوْ لَمْ يَقَعْ فِيهِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ بِلَفْظَةِ الْمُرْجِيِّ .

وَمِنْهُ مَا كَتَبَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الدِّينُ بْنُ الظَّهِيرِ الْحَنْفِيُّ عَلَى إِجَازَةٍ :

أَجَازَ مَا قَدْ سَأَلُوا * بِشَرَطِ أَهْلِ السَّنَدِ

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ب * مِنْ عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ

فَلَمْ يَفْصِلْ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ فِي الْبَيْتِ بِلَفْظَةِ أَجْنَبِيَّةٍ ^(٣) .

(١) الْجِلْ : الْخُلْخَالُ . وَالْدُمْلُجُ وَالْمَدْلُوجُ : الْمَعْضَدُ مِنَ الْحِلْيَةِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَاسْتَجَابَهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « بِدَخَلَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَهْنَا كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ثَبُوتُ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ بَعْدَ :

« بِلَفْظِهِ » وَقَوْلُهُ فَمَا سَبَقَ : « لَوْ لَمْ يَقَعْ فِيهِ الْفَصْلُ » .

وأما التجريد — فهو أن يَنترع الشاعر أو المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخرَ
مِثْلَه في تلك الصفة مبالغةً في كمالها فيه ؛ وهو أقسام : منها نحو قولهم : ^(١)لى [مِن] فلان
صديقٌ حميم ، أى بَلَغ من الصداقة حدّاً صحّ معه أن يُستخلص منه صديقٌ آخر ؛
ومنها نحو قولهم : لئن سألتَ لَنَسألنَّ به البحرَ ، ومنه قولُ الشاعر :

وشوّهاءَ تعدو بى إلى صارخ الوغى * بمستلّمٍ مِثْلِ الفَنيقِ المُرحّلِ
أى تعدو بى ومعى من أستعدادى للحرب لايسُ لأُمة ؛

ومنها نحو قوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ لأن جهنم — أعادنا الله منها —
هى دار الخلد ، لكن أنترع منها مثلها وجعل فيها مُعدّاً للكفار تهويلاً لأمرها ؛
ومنها نحو قول الحماسي :

١٠ فلئن بقيتُ لأرحلنَّ بغزوة * نحو الغنائم أو يموتَ كريم
وعليه قراءة من قرأ : ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ بالرفع ، بمعنى
فخصّلت سماءٌ واردةٌ ، وقيل : تقدير الأول أو يموتَ منى كريم ، والثانى : فكانت
منها واردةٌ كالدهان ، وفيه نظر ؛
ومنها نحو قوله :

١٥ ياخيرَ من يركبَ المِطى ولا * يشرب كأساً بكفٍ من بخلا
ونحو قول الآخر :

إن تلقنى — لا ترى غيرى يناظره — * تنس السلاحَ وتعرفُ جبهة الأسد ^(٢)
ومنها مخاطبة الإنسان غيره وهو يريد نفسه ، كقول الأعشى :

ودّع هُريرةً إن الركبَ مرتحل * وهل تُطيق وداعاً أيها الرجل

وقول المتنبي :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مأل * فليُسعدِ النطقُ إن لم تسعدِ الحالُ
ومنه قول الحَيَّصَ بَيَّصَ :

إلام يراك المجد في زِيٍّ شاعر * وقد نَحَلَّتْ شوقاً فروع المنابر
كَتَمْتَ بِصِيتِ الشَّعرِ علماً وحكمة * ببعضهما ينقاد صعبُ المفاخر
أما وأبيك الخير إنك فارس ال * كلام ومحيي الدارسات الغواير.

وأما التكميل — فهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلام وأغراضه، ثم يرى مدحه بالاعتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة، ثم رأى الاعتصار عليها دون مدحه بالكرم مثلاً غير كامل أو بالبأس دون الحلم، ومثال ذلك قول كعب بن سعد الغنوي :

حَلِيمٌ إذا ما أَلِلمَ زَيْنُ أَهلِهِ * مع الحِلْمِ في عين العدو مَهيب
قوله : " إذا ما أَلِلمَ زَيْنُ أَهلِهِ " احتباس لولاه لكان المدح مدخولاً، إذ بعض التغاضي قد يكون عن تَجْزِئٍ، وإنما يزين الحِلْمُ أَهلَهُ إذا كان عن قدرة، ثم رأى أن يكون مدحه بالحلم وحده غير كامل، لأنه إذا لم يُعرف منه إلا الحِلْمُ طَمِعَ فيه عدوه فقال : « في عين العدو مَهيب »؛ ومنه قول السَّمِوَلِ بنِ عادِياءَ :

وما مات منّا سَيِّدٌ في فراشه * ولا طَلَّ منّا حيث كان قَتِيلٌ
لأن صدر البيت [وإن] ^(٢) تَضَمَّنَ وصفَهُم بالإقدام والصبر ربّما ^(٣) أَوْهم العجز ^(٣)

(١) كذا في الأصل . يريد : ثم اعتقد كون مدحه الخ وعلى هذا التفسير لا يحتاج فعل « رأى » الى مفعول ثان . وعبرة حسن التوسل : « ثم رأى أن مدحه » الخ والمعنى عليه يستقيم أيضاً .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها ؛ انظر حسن التوسل .
(٣) عبارة الأصل : « فإيا أَوْهم الفخر » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(١) [لأن] قتل الجميع يدلّ على الوهن والقِلّة فكلّه بأخذهم للنّار، وكلّ حسنه بقوله :
 ”حيث كان“ فإنه أبلغ في الشجاعة، ومن ذلك في النسيب قول كثير :

لو أن عزة حاکت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
 لأن قوله : ”عند موفق“ تكميل للمعنى ، إذ ليس كلّ من يحاكم إليه موقفاً ، ومنه
 قول المتنبي :

أشدّ من الرياح الهوج بطشا * وأسرع في الندى منها هبوبا .

وأما المناسبة — فهي على ضربين : مناسبة في المعنى ، ومناسبة في الألفاظ
 فالمعنوية أن يتبدى المتكلم بمعنى ، ثم يتمّ كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، كقوله
 تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
 ١٠ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ فقال تعالى في صدر الآية التي
 الموعظة فيها سمعية : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ ، وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾
 وقال في صدر الآية التي موعظتها مرئية : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ وقال بعد الموعظة :
 ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

ومن أمثلة المناسبة المعنوية قول المتنبي :

١٥

على سابع موج المنايا بنحره * غداة كأت النبل في صدره وبلى

فإن بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والوبل تناسبا صار البيت به متلاحما ، وقول
 ابن رشيقي :

أصح وأقوى مارويناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

٢٠

(١) التكلة عن حسن التوسل ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

أحاديثُ تروِيها السيولُ عن الحِي * عن البحر عن جُود الأمير تميم
فإنه وَفَى المَناسِبَةَ حَقَّها في صحَّة العَنَنَةِ برواية السيول عن الحِي عن البحر، وجَعَلَ
الغاية فيها جُودَ الممدوح .

والمَناسِبَةُ اللفظِيَّة : تَوَخَّى الإتيان بكلمات مَتَرَّات، وهى على ضربين : تامة
وغير تامة ٥

فالتامة : أن تكون الكلمات مع الأتزان مقفأة، فمن شواهد التامة قوله تعالى :
(لَبَّ الْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ)
ومن الحديث النبوى - صلاة الله وسلامه على قائله - قولُ النبي صلى الله عليه وسلم
للحسن والحسين - رضى الله عنهما - : "أعِيدُكما بكلمات الله التامة، من كل
شيطان وهامه، ومن كل عين لامة"، ولم يقل : «ملمة» وهى القياس لمكان المَناسِبَةِ
اللفظِيَّة التامة ؛ ١٠

ومن شواهد الناقصة قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَجْبَكُمْ إِلَى
وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالَسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ أَحَاسُنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّئُونَ أَكْثَفًا »

ومما جَمَعَ بين المَناسِبَتَيْنِ قوله صلى الله عليه وسلم : «اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ رَحْمَةً تَهْدِي
بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتُلَمُّ بِهَا شَعْبِي، وَتُصْلِحُ بِهَا غَايَتِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتَرْكِي
بِهَا عَمَلِي، وَتُلَهْمَنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرْدُّ بِهَا أَلْفَتِي، وَتَعْصِمَنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللَّهُمَّ
إِنِّى أَسْأَلُكَ الْعَوْنَ فِي الْقَضَاءِ، وَنُزْلَ الشَّهَادَةِ، وَعَيْشَ السَّعَادَةِ، وَالنَّصَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ،
فَنَاسِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قَلْبِي وَأَمْرِي، وَغَايَتِي وَشَاهِدِي مَناسِبَةً غَيْرَ تَامَةٍ، لِأَنَّهَا
فِي الزَّيْنَةِ دُونَ التَّقْفِيَةِ ، وَنَاسِبَ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالشَّهَادَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالْأَعْدَاءِ مَناسِبَةً تَامَةً
فِي الزَّيْنَةِ وَالتَّقْفِيَةِ ؛ ٢٠

ومن أمثلة المناسبتين قول أبي تمام :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَانَا أَوَانُسُ * قَنَا الْخَطُّ^(١) إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ

فناسب بين مَهَا وَقَنَا مناسبة تامة ، وناسب بين الوحش والخط ، وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة .

وأما التفریع — فهو أن يُصَدَّرَ المتكلم أو الشاعر كلامه باسم منفيٍّ بـ"ما" خاصة، ثم يصف الاسم المنفيَّ بمُعْظَمِ أوصافه اللاتقية به في الحسن أو القبح، ثم يجعله أصلاً يُفْرَعُ منه جملةٌ من جَارٍّ ومَجْرُورٍ متعلّقة [به]^(٢) تعلّق مدح أو هجاء أو غير أو نسيب أو غير ذلك، يُفهَم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفيَّ الموصوف كقول الأعشى :

(١٦)

١٠ ماروضةٌ من رياض الحزن مُعْشِبَةٌ * خضراءُ جَادَ عليها مُسِيلٌ هِطْلُ
يضاحك الشمس منها كوكبٌ شَرِيقٌ^(٣) * مؤزَّرٌ بعميمِ النبتِ مَكْتَلُ
يوما بأطيب منها طيبَ رائحةٍ * ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
وقول عائكة المزينة :

١٥ وما طعم ماء أئى ماء تقوله^(٤) * تَحْدَرُ من غُرٍّ طوال الذوائب
بمنعرجٍ من بطنٍ وادٍ تقابلت * عليه رياحُ الصيف من كل جانب

(١) يريد خط عمان ، وهو الذي تنسب اليه الرماح الخطية ، قال ابن سيده : الخط سيف البحرين وعمان .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل ص ٣٠ ط الوهية .

(٣) كوكب الروضة : نورها . قال في التهذيب : الكوكب معروف من كواكب السماء ، ويشبه به

النور فيسمى كوكبا . انظر اللسان مادة كوكب .

٢٠

(٤) كذا في الأصل وزهر الآداب ج ١ ص ١٦٧ ط الرحمانية ؛ عبارة حسن التوسل :

« بمزلة » والمعنى يستقيم على كلتا الرايتين .

نَفَتْ جَرِيَّةُ الْمَاءِ الْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ * فَلَيْسَ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِعَائِبٍ
بِأَطْيَبِ مَنْ يَقْصِرُ الطَّرْفَ دُونَهُ * تَقَى اللَّهَ وَاسْتَحْيَا بَعْضَ الْعَوَاقِبِ
وَقَدْ وَقَعَ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ لِأَبَى تَمَامٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ :
مَارِعَ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ * غَيْلَانُ أَهْبَى رَبًّا مِنْ رَبْعِهَا انْخِرِبِ
وَلَا انْخُدُودُ وَإِنْ أَدَمِينَ مِنْ نَجَلٍ * أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرِبِ

٥

ومما ورد في النثر رسالةُ أَبِي الْقَعْمَى التي كتبها إلى سبيل بن أحمد صاحب صنعاء :
وأما حال عبده بعد فراقه في الجَلَدِ، فما أتم تسعة من الولد؛ ذكور، كأنهم عقبانُ
وُكُور؛ اخْتُرِمَ منهم ثمانية، فهي على التاسع حانية، فنادى النذير في البادية، ياللعادية
ياللعادية ؛ فلما سَمِعْتُ الداعِيَ ، ورأت الخليل سَواحِي ؛ أقبلت تنادى ولدها :
الْأَنَاةُ الْآنَاةُ، وَهُوَ يَنَادِيهَا : الْقَنَاةُ الْقَنَاةُ

١٠

بَطَلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ * يُجَدِّي نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
فلما رَمَقْتُهُ يَخْتَالُ فِي غُضُونِ الزَّرْدِ الْمُوْضُونِ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَسَدٌ أَضْبَطُ يَمْشِي * بَيْنَ طَرْفَاءَ وَغِيلٍ
لِبُسِهِ مِنْ نَسِجِ دَاوٍ * دَكْضَ حَضَاحِ الْمَسِيلِ

(١) في الأصل : «الكراعي» ؛ وهو تحريف .

١٥

(٢) السرحة : واحدة السرح ، وهو ما عظم وطال من الشجر ، يريد وصفه بطول القامة وضخامة الجسم
والبيت لعنرة العبدى .

(٣) السبت بكسر السين : الجلد المدبوغ ، وفي المصباح أنه يقال : نعل سبتية : أى لا شعر فيها .

(٤) الموضون : المنسوج حلقتين حلقتين ، أو هو المقارب النسيج .

(٥) الطرفاء : من العضاء ، وله هذب كهذب الأثل ، وليس له خشب ، وإنما يخرج عصيا سمحة
في السماء ، وقد تخمض به الإبل إذا لم تجد حمضا غيره . والغيل بكسر الغين وتفتح : الشجر الكثير الملتف ،
أو هو جماعة القصب والحلفاء .

٢٠

(٦) الضحضاح والضحضح : الماء الذي لا غرق فيه ، شبه الدرع به في برقه واطراد منته .

عَرَضَ لَهُ فِي الْبَادِيَةِ أَسَدٌ هَـصُورٌ ، كَأَنَّ ذِرَاعَهُ مَسَدٌ مَعْصُورٌ

فَتَطَاعَنَا وَتَوَافَقَتْ خَيْلَاهُمَا * وَكَلَاهُمَا بَطْلُ اللَّذَاءِ مَقْنَعٌ

فَلَمَّا سَمِعَتْ الرَّعِيلُ ^(١) ، بَرَزَتْ مِنَ الصَّرْمِ بِصَبْرٍ قَدْ عَيْلُ ؛ فَسَأَلَتْ عَنِ الْوَاحِدِ
فَقِيلَ : لِحَدِّهِ الْإِلَاحِدُ ^(٢)

فَكَرَّتْ تَبَتُّغِيهِ فِصَادَتَهُ * عَلَى دِمِهِ وَمَصْرَعِهِ السَّبَاعَا
عَبَثَنَ بِهِ فَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا * أَدِيمًا قَدْ تَمَزَّقَ أَوْ كُرَاعَا
بَاشِدٌ مِنْ عَبْدِهِ تَأْسَفَا ، وَلَا أَعْظَمُ كَمَا وَتَلَهَّفَا .

قال : وذَكَرَ ابْنُ أَبِي الإِصْبَعِ فِي التَّفْرِيعِ قِسْمًا ذَكَرَهُ فِي صَدْرِ الْبَابِ ، وَقَالَ :
إِنَّهُ هُوَ الَّذِي اسْتَخْرَجَهُ ، وَهُوَ أَنْ يَبْتَدِئَ الشَّاعِرُ بِلَفْظَةٍ هِيَ إِمَّا أَسْمٍ أَوْ صِفَةٍ ، ثُمَّ
يَكْرُرُهَا فِي الْبَيْتِ مُضَافَةً إِلَى أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ تُتَفَرَّعُ عَلَيْهَا جُمْلَةٌ مِنَ الْمَعَانِي فِي الْمَدْحِ
وغيره ، كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ :

أَنَا ابْنُ اللَّقَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ * أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ
أَنَا ابْنُ الْفِيَا فِي أَنَا ابْنُ الْقَوَافِي * أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرَّعَانِ ^(٣)
طَوِيلُ النَّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ * طَوِيلُ الْقَنَاةِ طَوِيلُ السِّنَانِ
حَدِيدُ اللَّحَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ * حَدِيدُ الْحَسَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ .

(١) الصرم بكسر الصاد : الجماعة .

(٢) في الأصل : « الملاحد » ، والميم زيادة من النسخ .

(٣) الرعان : أنوف الجبال المتقدمة منها ، واحده رعن ؛ يريد أنه لكثرة قطعه للجبال وسلوكه فيها

ومعرفته بشعابها كأنه ابن لها .

وأما نفى الشيء بإيجابه — فهو أن يُثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه
وَيَنفَى ما هو [من] سببه مجازاً ، والمنفى في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته
كقول امرئ القيس :

على لاحب لا يُهتدى بمناره * إذا سافه العود النباطى جرجراً^(٢)

فظاهر هذا الكلام يقتضى إثبات منار لهذه الطريق ، ونفى الهداية به مجازاً^(٣)
وباطنه في الحقيقة يقتضى نفى المنار جملة ، والمعنى أن هذه الطريق لو كان لها منار
ما أهتدى به ، فكيف ولا منار لها ، كما تقول لمن تريد أن تسلبه الخير : ما أقل
خيرك ! فظاهر كلامك يدل على إثبات خير قليل ، وباطنه نفى الخير كثيره وقليله .

وقول الزبير بن عبد المطلب يمدح عُميلة بن عبد الدار — وكان نديماً له — :

صَحِبْتُ بهم طُلُفًا يَراح الى الندى * اذا ما آنتَشى لم تحتضره مَفاقره^(٤)

ضعيف بحث الكأس قبض بنانه * كليل على وجه النديم أظافره^(٥)

فظاهر هذا أن للممدوح مفاقر لم تحتضره إذا انتشى ، وأن له أظافر يحش بها وجه
نديمه نَحْشاً ضعيفاً ، وباطن الكلام في الحقيقة نفى المفاقر جملة ، والأظافر بـتة .

(١) في الأصل : « ما هو سببه » بسقوط « من » وقد أثبتناه عن حسن التوسل وغيره .

(٢) في الأصل : « سافه » بالقاف المثناة ، وهو تحريف ، ولا معنى له يناسب السياق ، والتصويب
عن شرح ديوان امرئ القيس . وسافه : شمه . والعود : الجمل المسن . وجرجر : رعا ، وإنما يرغو
الجمل لمعرفته ببعد الطريق .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « ونفى بد الهداية » وفيها قلب وتحريف لا يستقيم بهما
المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . انظر تحوير التحجير لابن أبي الإصبع المحفوظ منه نسخة مخطوطة
بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥ بلاغة .

(٤) هذه نسبة إلى جده ، أما أبوه فهو السابق بن عبد الدار . انظر المقتضب من جمهرة النسب
لياقوت المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٨٥ تاريخ .

(٥) في الأصل : « بحث الكأس فضل » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن
حسن التوسل . وفي تحوير التحجير : « فيض » بفاء موحدة بعدها ياء مثناة ؛ وهو تحريف .

وأما الإيداع — قال : وأكثر الناس يجعلونه من باب التضمين ، وهو منه إلا أنه مخصوص بالثر ، وبأن يكون المودع نصف بيت ، إما صدرا أو عجزا فنه قول على رضى الله عنه فى جواب كتاب معاوية :

ثم زعمت أنى لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، فإن يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك ، حتى تكون المَعْدِرَة إليك * وتلك شكاة ظاهرة عنك عارها * ٥

وأما الإدماج — فهو أن يدمج المتكلم غرضا له فى جملة معنى من المعانى قد نحاه ليوهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض فى كلامه لتتمة معناه الذى قصده ، كقول عبيد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للعنصدة — وكان ابن عبيد الله قد آختلت حاله — فكتب الى ابن سليمان :

أبى دهرنا إسعافنا فى نفوسنا * وأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونكرِم
فقلتُ له نِعْمَاك فيهم أتمها * ودع أمرنا إن المهمَّ المقدم
فأدج شكوى الزمان فى ضمن التهئة ، وتلطّف فى المسألة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال . ١٠

وأما سلامة الاختراع — فهو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبعه أحد فيه ، كقول عنتره فى الذباب :

هزّجا يحكّ ذراعاه بذراعه * قدح المِكْب على الزناد الأجزم
وكقول عدى بن الرّفاع فى تشبيه ولد الطيبة :
ترجى أغرب كأن إبره روفه * قلم أصاب من الدواة مداها ١٥

(١) عبارة الأصل : « كقول عبد الله بن عبيد الله لعبد الله » الخ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا

انظر معاهد التنصيص ص ٤٠٢ ط بلاق ، ووفيات الأعيان ترجمة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . ٢٠

(٢) فى الأصل : « كقدح » ، والكاف زيادة من النسخ .

وكقول النابغة في وصف النصور :

تَراهَنَ خَلْفَ الْقَوْمِ زُورًا عَيُونَهَا * جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي مُسُوكِ الْأَرَانِبِ^(٢)
وكقول أبي تمام :

لَا تَتَكْرَى عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى * فَالْسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي
وقوله :

لَيْسَ الْمَجْهَابُ بِمُقْصَدٍ عَنكَ لِي أَمَلًا * إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
وقول ابن حجاج :

وَإِنِّي وَالْمَوْلَى الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ * طَرِيفَانِ فِي أَمْرٍ لَهُ طَرَفَانِ^(٤)
بعيدا ترانى منه أقرب ما ترى * كَأَنِّي يَوْمُ الْعِيدِ فِي رَمَضَانَ.

١٠ وأما حُسن الاتِّباع — فهو أن يأتى المتكلم إلى معنى قد اخترعه غيره
فيتبعه فيه أتباعا يوجب له استحقاقه ، إما باختصار لفظه ، أو قصر وزنه
أو عذوبة نظمه ، أو سهولة سبكه ، أو إيضاح معناه ، أو تميم قصه ، أو تحليته
بما توجه الصناعة ، أو بغير ذلك من وجوه الاستحقاقات ؛
كقول شاعر جاهلي في صفة جمل :

وَعَوْدٌ قَلِيلٌ الذَّنْبُ عَاوَدْتُ ضَرْبَهُ * إِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذَكَرَ ١٥

(١) كذا في تحرير التحير لابن أبي الإصبع . وهو جمع أزور ، والأزور الناظر بؤخر عينيه .
والذي في الأصل : « زرقا » ؛ وهو تحريف .

(٢) المسوك : الجلود ، واحده مسك بفتح الميم .

(٣) في الأصل وحسن التوسل : « ترانى » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد :

٢٠ « طريفان » بإثبات الألف ؛ وانظر تحرير التحير لابن أبي الإصبع .

(٤) في الأصل : « طريفان » بالطاء المدجمة ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « مسكه » ؛ وهو تحريف .

وقلت له ذلفاء ويحك سَبَّبت * لك الضرب فأصبر إن عادتك الصبر
فأحسن ابن المعتز أتباعه حيث قال يصف خيله :

وخيل طواها القود^(١) حتى كأنها * أنايبُ سمر من قنا الخط ذُبُل

صَبَبنا عليها ظالمين سيَّطنا * فطارت بها أيدٍ سراع وأرجل

وأتبع أبو نواس جريرا في قوله :

إذا غَضِبْتَ عليك بنو تميم * حَسِبْتَ الناس كلهم وُغَضابا

فقال أبو نواس — ونقل المعنى من الفخر إلى المدح — :

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقول النَّمِيرِي في أخت الحجاج :

فهن اللواتي إن برزن قتلني * وإن غبن قطعن الحشى حَسرات

فأتبعه ابن الرومي فقال :

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت * وَقَع السهام ونزعت أليم

وأما الذم في معرض المدح — فهو أن يقصد المتكلم ذم إنسان فيأتي

بالفاظ موجَّهة ، ظاهرها المدح ، وباطنها القُدح ، فيُوهِم أنه يمدحه وهو يهجو

كقول بعضهم في الشريف بن الشَّجَرِي :

يا سيدي والذى يعيذك من * نَظْم قريض يَصْدا به الفكر

مافيك من جدك النبي سوى * أنك لا ينبغي لك الشعر.

وأما العُنوان — فهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر

أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ، ثم يأتي لقصد تكيله بالفاظ تكون عُنوانا لأخبار

متقدِّمة ، وقصص سالفة ؛ كقول أبي نواس :

(١) كذا في الأصل . وفي حسن التوسل : « السير » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

يا هاشم بن حُديج ليس فخركو * بقتلِ صهر رسول الله بالسَّد
أدرجتمو في إهاب العير جُثته * لبئس ما قدمت أيديكو لغد
إن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلْت * مُجراً بدارة ملْحوب بنو أسد^(١)
ويوم قلم لعمر وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
ورب كِنديّة قالت لجارها * والدمع ينهل من مثنى^(٢) ومن وحد
ألهي أمرأ القيس تشيب بغانية * عن ناره وصفاتُ النوى والوتد

فقد أتى أبو نواس في هذه الأبيات بعدّة عُنوانات : منها قصة قتل محمد بن
أبي بكر، وقتل مُجَرّ أبي أمرئ القيس، وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجو من أراد
هجوّه، وغير المهجوب بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته ؛

ومثل ذلك قول أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه :
رفدوك في يوم الكلاب وشققوا^(٤) * فيه المزداد بمحففل غلاب^(٥)
وهو بعين أباغ راشوا للعدا * سهميك عند الحارث الحراب^(٦)

(١) في الأصل : « مكحون » ؛ وهو تحريف . وملحوب : اسم ماء لأسد بن خزيمه .

(٢) في الأصل : « مثنى » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومعرة الهجو » وهو غير مستقيم ؛ والنصوب عن حسن التوسل .

(٤) الكلاب بضم الكاف : واد يسلك بين ظهري شعلان ، وفيه كان الكلاب الأول والكلاب الثاني
من أيام العرب المشهورة ، فأما الكلاب الأول فقد كان بين شرحبيل بن الحارث وأخيه سلمه ، ومع شرحبيل
بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم ، ومع أخيه سلمه بنوقيس . وأما الكلاب الثاني
فكان بين بني سعد والرباب وبين بني الحارث بن كعب . وقال في اللسان مادة « كلب » نقلا عن أبي عبيد :
كلاب الأول وكلاب الثاني : يومان كانا بين ملوك كندة وبني تميم . وأشار بقوله : « وشققوا فيه المزداد »
الى ما فعله السفاح في هذا اليوم ، وهو أنه ظمأ خيله وسفح ما في أسقيه أصحابه ، وقال : « لا ماء لكم دون
الكلاب » والسفاح ، هو مسلمة بن خالد بن كعب من بني حبيب بضم الحاء المهمله بن عمرو بن غنم بن تغلب .

(٥) في الأصل : « كلاب » بالكاف ؛ وهو تحريف ، والنصوب عن ديوان أبي تمام .

(٦) عين أباغ بضم الهمة وفتحها : واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام ، وكان عندها
في الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان ملوك الشام ، وملوك نخم ملوك الحيرة ، قتل فيه المذبر بن المذبر بن أمرئ
القيس النخعي .

ولِيَالِي الثَّرَارِ وَالْحَشَاكَ قَدْ * جَلَبُوا الْجِيَادَ لَوَاحِقِ الْأَقْرَابِ^(٢)
فَضَّتْ كُهُولَهُمْ وَدَبَّرَ أَمْرَهُمْ * أَحْدَانُهُمْ تَدِيرَ غَيْرِ صَوَابٍ
وقال بعد ذلك :

لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ أُسُوءَةٍ * وَأَجْلُهَا فِي سُنَّةٍ وَكِتَابٍ
أَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ الْقُلُوبِ رِضَاهُمْ * [كَلَامًا] وَرَدَّ أَخَانَهُ الْأَحْزَابِ^(٣)
وَالْجَعْفَرِيُّونَ اسْتَقَلَّتْ طُعْنُهُمْ * عَنْ قَوْمِهِمْ وَهُوَ نَجُومِ كَلَابٍ
حَتَّى إِذَا أَخَذَ الْفَرَّاقُ بِقَسْطِهِ * مِنْهُمْ وَشَطَّ بِهِمْ عَنِ الْأَحْجَابِ
وَرَأَوْا بِلَادَ اللَّهِ قَدْ لَفَظْتَهُمْ * أَكْثَانُهَا رَجَعُوا إِلَى جَوَابِ
فَأَتَوْا كَرِيمَ الْحَيْمِ مِثْلَكَ صَالِحًا * عَنْ ذِكْرِ أَحْقَادٍ وَذِكْرِ ضِيَابِ^(٤)

- ١٠ فانظر الى ما أتى به أبو تمام في هذه الأبيات من العُنوانات من السيرة النبوية وأيام العرب ، وأخبار بني جعفر بن كلاب ، ورجوعهم الى ابن عمهم جَوَابٍ ؛ وكقوله أيضا لأحمد بن أبي دؤاد :

(١) الثَّرَارُ : واد عظيم بالجزيرة يمتد اذا كثرت الأمطار ، فأما في الصيف فليس فيه إلا منافع ومياه حامية وعيون قليلة ، وهو في البرية بين سنجار وتكريت ، وكان في القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثره بنو تغلب ، والحشاك : هو تل عبدة ، كانت فيه وقعة تغلب على قيس .

١٥

(٢) لَوَاحِقِ الْأَقْرَابِ : أي ضمير الحضور .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن ديوان أبي تمام ، وبها يستقيم الوزن . والأخاند : جمع أخيدة ، وهو فعيلة بمعنى مفعولة ، ولم يرد بالأحزاب هنا من شهدوا غزوة الخندق من المشركين واليهود كما هو المعنى المشهور لهذا اللفظ ، فإنه لم يرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ منهم أخاند ثم ردها ولكنه ردَّ أخاند هوازن يوم حنين ، وإذن فراده بلفظ « الأحزاب » المعنى العام ، وهو كل من تحزَّب على الإسلام ، كما يستفاد ذلك من شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي وغيره من كتب السيرة .

٢٠

(٤) في الديوان : « مضت » ؛ ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين . والضباب : الأحقاد

واحد ضب بفتح الضاد وتكسر .

تَثَبَّتْ إِنْ قَوْلَا كَانَ زُورًا * أَتَى النِّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادٍ
 وَأُورَثَ بَيْنَ حَتَّى بْنِ جُلَاحٍ * لَطَى حَرْبَ وَحَى بْنِ مَصَادٍ^(١)
 وَغَادَرَ فِي صُدُورِ الدَّهْرِ قَتْلَى * بَنَى بَدْرَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ^(٢)
 فَاتَى بَعْنَوَانَ يَشِيرُ بِهِ إِلَى قِصَّةِ النَّابِغَةِ حِينَ وَشَى بِهِ إِلَى النِّعْمَانَ، بِغَزْوِ ذَلِكَ مِنَ
 الْحُرُوبِ مَا تَضَمَّنَتْ أَيْبَاتِهِ .

وَأَمَّا الْإِيضَاحُ — وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامًا فِي ظَاهِرِهِ لَبْسٌ، ثُمَّ يُوَضِّحَهُ
 فِي بَقِيَّةِ كَلَامِهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :
 يَذْكُرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ كُلُّهُ * وَقِيلُ الْخَنَا وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْجَهْلُ
 فَإِنَّ الشَّاعِرَ لَوْ أَقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ لِأَشْكَلَ مَرَادَهُ عَلَى السَّامِعِ بِجَمْعِهِ بَيْنَ الْأَفَاضِ
 الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ، فَلَمَّا قَالَ بَعْدَ :
 فَالْقَاكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مَتَرَّهَا * وَالْقَاكَ فِي مَحْبُوبِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ^(٣)
 أَوْضَحَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ، وَأَزَالَ اللَّبْسَ، وَرَفَعَ الْإِشْكَالَ وَالشَّكَّ .

وَأَمَّا التَّشْكِيكُ — فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ فِي كَلَامِهِ بِلَفْظَةٍ تَشْكِكُ الْمُخَاطَبَ
 هَلْ هِيَ فَضْلَةٌ أَوْ أُصْلِيَّةٌ لَا غِنَى لِلْكَلَامِ عَنْهَا؟ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
 تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ﴾ فَإِنَّ لَفْظَةَ بِدِينٍ تَشْكِكُ السَّامِعَ هَلْ هِيَ فَضْلَةٌ أَوْ أُصْلِيَّةٌ؟ فَالضَّعِيفُ
 النَّظَرِ يَظُنُّهَا فَضْلَةً لِأَنَّ لَفْظَةَ تَدَايَيْتُمْ تَغْنِي عَنْهَا ، وَالنَّاظِرُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ يَعْلَمُ أَنَّهَا أُصْلِيَّةٌ

(١) أَوْرَثَ النَّارَ : أَوْقَدَهَا .

(٢) هُوَ اسْمُ مَاءٍ لَعَلَّ عَلَيْهِ دَاحِسُ فَرَسٍ قَيْسِ بْنِ زَهْرٍ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ حَرْبَ دَاحِسٍ وَالنَّبْرَاءِ، أَوْ هُوَ
 رَدْعَةٌ فِي دِيَارِ عَبَسَ وَسُطِّ هَضْبِ الْقَلِيبِ بِأَقْوَتِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «عَنْ» ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لأن لفظة الدين لها محامل ، تقول : دأيت فلانا المودة ، يعني جازيته ، ومنه :
« كما تدن ثدان » ومنه قول رؤبة :

دأيت أروى والديون تُقضى * فطلت بعضها وأدت بعضا

وكل هذا هو الدين المجازي الذي لا يكتب ولا يشهد عليه ، ولما كان المراد
من الآية تمييز الدين المالي الذي يكتب ويشهد عليه ، وتيسير أحكامه ، أوجبت
البلاغة أن يقول : « بدين » ليعلم حكمه .

وأما القول بالموجب — فهو ضربان :

أحدهما أن تقع صفة في كلام مدح شيئاً يعني به نفسه ، فتنت تلك الصفة
لغيره من غير تصريح بثبوتها له ، ولا نفيها عنه ، كقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لئن رجعنا
إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزَّ منها أَلَاذِلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنهم كنوا
بالأعز عن فريقهم ، وبالأذل عن فريق المؤمنين ، فأثبت الله عز وجل صفة العزة
لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإنحراج بصفة العزة ولا لنفيه .
والثاني حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه
(٢)
كقول الشاعر :

(١) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل : « وتبين » ؛ والمعنى يستقيم على كليهما . ١٥

(٢) كذا ورد هذا التعريف في الأصل وحسن التوسل . وهو غير ظاهر ، إذ أن الذي لا يصرح
بثبوت ولا نفيه إنما هو الحكم الذي ثبتت بواسطته تلك الصفة ، لانفس الصفة ، كما يفهم مما يأتي بعد الآية
الكريمة . وعادة اللخيص : « أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فثبتها
لغيره من غير تعرض لثبوت له أو نفيه عنه » . وقال في الإيضاح في شرح قوله : « من غير تعرض لثبوت
له » ما نصه : « أي ثبوت ذلك الحكم لذلك الغير » الخ . ٢٠

(٣) هو ابن حجاج .

قُلْتُ : ^(١) ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا * قَالَ : ثَقُلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي

قُلْتُ : طَوَّلْتُ قَالَ : ^(٢) [لِي] بَلْ تَطَوَّلْتُ * وَأَبْرَمْتُ قَالَ : حَبَلَ الْوَدَادِ

③

ومنه قول الأَرَجَانِي : * غَالَطَنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِي ضُنًى * البيتين، وقد

تَقَدَّمَ الِاسْتِشْهَادُ بِهِمَا فِي الِاسْتِدْرَاكِ .

وللولى شهاب الدين محمود الحلبي الكاتب في ذلك :

رَأَيْتِي وَقَدْ نَالَ مِنِّي النُّحُولُ * وَفَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى الْخَدَّيْضَا

فَقَالَتْ : بَعِينِي هَذَا السَّقَامُ * فَقُلْتُ : صَدَقَتْ ، وَبِالْخَصْرِ أَيْضَا

وَقَوْلُ مُحَاسَنِ الشَّوَاءِ :

وَلَمَّا أَتَانِي الْعَاذِلُونَ عَدَمَتُهُمْ * وَمَا فِيهِمْو إِلَّا لِلْعَمَى قَارِضُ

وَقَدْ بُهِتُوا لَمَّا رَأَوْنِي شَاخِبَا * وَقَالُوا : بِهِ عَيْنٌ فُكِلَتْ : وَعَارِضُ .

١٠

وأما القلب - فهو أن يكون الكلام أو البيت كيفاً آنقَلَبَتْ حروفه كان

بحاله لا يتغير، ومنه في التنزيل قوله تعالى : ﴿كُلٌّ فِي فَلَاكِ﴾ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وقولهم :

سَاكِبُ كَاسٍ ؛

ومنه قول العِمَادِ الْأَصْفَهَانِي لِلْفَاضِي الْفَاضِل : سِرْ فَلَا تَجَا بِكَ الْفَرَسَ ، وَجَوَابُ

الْفَاضِي الْفَاضِلُ لَهُ : دَامَ عَلَا الْعِمَادُ ، وَهِيَ أَوَّلُ قَصِيدَةِ لِلْأَرَجَانِي ، مَطْلَعُهَا : «دَامَ عَلَا

١٥

الْعِمَادُ » ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَرَجَانِي :

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوَلٍ * وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتِهِ تَدُومُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَحَسَنَ التَّوَسُّلِ . وَالَّذِي فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ لِابْنِ حِجَّةٍ ص ١٤٥ ط بُولَاق :

« قَالَ ثَقُلْتُ » فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَفِي عِجْزِهِ : « قَالَتْ » وَكَذَلِكَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ، وَكَلَّمَا الرِّوَايَتَيْنِ تُؤَدِّي

مَعْنَى صَحِيحًا .

٢٠

(٢) فِي الْأَصْلِ : « قَالَ بَلْ » بِإِسْقَاطِ « لِي » ؛ وَقَدْ أُثْبِتَ بِهَا عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ إِذْ بِهَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ .

وأما التندير — فهو أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة ، أو نكتة مستظرفة^(١)
يُعَرِّض فيها بمن يريد ذمه بأمر ، وغالب ما يقع في الهزل ، فمنه قول أبي تمام فيمن
سرق له شعرا :

- مَنْ بُوْجِدَلٍ ، مَنْ أَبْنُ الْحُبَابِ * مَنْ بُوْ تَغْلِبَ غَدَاةَ الْكُلابِ
مَنْ طُفَيْلٌ ، مَنْ عَامِرٌ ، أَمْ مَنْ الْحَا * رُثٌ ، أَمْ مَنْ عُتْبِيَّةُ بْنُ شِهَابِ
إِنَّمَا الضَّيْعُ الْمَصُورُ أَبُو الْأَشَدِّ * جَالِ هَتَاكَ كُلِّ خَيْسٍ وَغَابِ
مَنْ عَدَتْ خَيْلُهُ عَلَى سَرَحٍ شَعْرَى * وَهُوَ لِلْحَيْنِ رَاتِعٌ فِي كِتَابِ
يَا عَذَارَى الْكَلَامِ صَرْتَنَ مَنْ بَعْدِ * لَدَى سَبَايَا تُبْعِنُ فِي الْأَعْرَابِ
لَوْ تَرَى مَنَظِقِي أَسِيرَا لِأَصْبَحْتَ أَسِيرَا ذَا عِبْرَةٍ وَأَكْتَابِ
طَالَ رَغْبِي إِلَيْكَ مِمَّا أَقَاسِي * هُ وَرُهِبِي يَارَبَّ فَاحْفَظْ ثِيَابِي
ومن ذلك ما قاله شهاب الدين بن الحيمى يُعَرِّضُ بنجم الدين بن إسرائيل لما
تنازعا في القصيدة المعروفة لابن الحيمى التى أولها :
* يَامَطْلَبَا لَيْسَ لِي مِنْ غَيْرِهِ أَرْبَ *

فقال من قطعة منها :

- هُمُ الْعَرِيبُ بَنَجْدٍ مَذْعَرَفْتُهُمْ * لَمْ يَبْقَ لِي مَعَهُمْ مَالٌ وَلَا نَسَبُ
فَا أَلْمُوا بِحَيٍّ أَوْ أَلَمْ بِهِمْ * إِلَّا أَغَارُوا عَلَى الْأَبْيَاتِ وَأَتَهَبُوا
لَمْ يَبْقَ مَنَظِقُهُ قَوْلَا يَرُوقُ لَنَا * لَقَدْ شَكَتْ ظَلَمُهُ الْأَشْعَارُ وَالْخَطَبُ .

(١) أراد به محمد بن يزيد الأموى . انظر شرح ديوان أبي ممام للطبيب التبريزى المحفوظ منه
نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .

- (٢) أراد عمير بن الحباب السلى . انظر شرح ديوان أبي تمام المتقدم .
(٣) فى الأصل : « جيش » بجم فوقية وشين معجمة ، وهو تصحيف . وخيس الأسد : عرينه .
(٤) فى الأصل « باين » بالباء ، وهو تحريف ، والسياق يقتضى اللام .

وأما الإسجال بعد المغالطة — فهو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح
فیشترط لحصوله شرطاً ، ثم یقدر وقوع ذلك الشرط مغالطة لیسجل به استحقاق
مقصوده ، كقول بعضهم :

جاء الشئاء وما عندي لقرته * إلا أرتعادي ونصفي بأسنانني
فإن هلكت فلولانا يكفني * هبني هلكت فهبني بعض أكفاني .

وأما الافتنان — فهو أن يأتي الشاعر بفنن متضادين من فنون الشعر
في بيت واحد ، مثل التشبيب والحماسة ، [والمديح] ^(١) والهجاء ، والهناء والعزاء
فأما ما جمع فيه بين التشبيب والحماسة فكقول عنتره :

إن تُغدي دوني الفناع فإني * ^(٢) طُبُّ بأخذ الفارس المستلِّم

وكقول أبي ذؤلف — ويروي لعبد الله بن طاهر — :

أحبك يا جنان وأنت مني * محلَّ الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول محلَّ روعي * لخفت عليك بادرة الطعان .

وأما ما جمع فيه بين تهنية وتعزية فقد تقدم ذكر ذلك في بابي التهناني والتعازي
ومنه فيما لم نورد هناك ما كتب به المولى شهاب الدين محمود الكاتب تهنية وتعزية
لمن رزق ولدا ذكرا في يوم مات له فيه بنت :

ولا عتب على الدهر فيما أقرَف ، فقد أحسن الخلف ؛ واعتذر بما وهب
عما سلب ، فعفا الله عما سلف .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وصحة التثنية تقتضي إثباتها .

(٢) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . والطب بفتح أوله : الماهر الحاذق .

وأما الإيهام - بباء موحدة فهو أن يقول المتكلم كلاماً مبهماً يتحمل
معنيين متضادين ، كقول بعضهم في الحسن بن سهل لما تزوج المأمون بنته
بُوران :

بارك الله للحسن * ولُبُورانَ في الختن

٥ يا إمام الهدى ظفیر * ت ولكن بنت من

فلم يُعرف مرأده «بنت من» هل أراد به الرفعة أو الضعة ؟

ومنه قولُ بشار في خياط أعور اسمه عمرو :

خاط عمرو لى قباء * لیت عينیه سواء

فأبهم المعنى في الدعاء له بالدعاء عليه .

١٠ وأما حصر الجزئى وإلحاقه بالكلّى - فهو كقول السّلامى :

إليك طوى عَرْضَ البسيطة جاعلٌ * قُصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنتُ وعزى في الظلام وصارمى * ثلاثة أشباه^(١) كما اجتمع النسر

وبشرتُ آمالى بملك هو الورى * ودارى هى الدنيا، ويوم هو الدهر .

فأما حصر أقسام الجزئى فإن العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف

١٥ مكان، وقد حصر ذلك ؛

وأما جعله الجزئى كلياً فإن المدوح جزء من الورى، والدار جزء من الدنيا، واليوم
جزء من الدهر .

(١) كذا في يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٦٣ ط الحفنية ، ونزاة الأدب للعموى ص ٤٥٤ ط

بولاق ، وتحرير الحبر لابن أبى الإصبع المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥

٢٠ بلاغة . وفي الأصل : أشياء ؛ وما أثبتناه أقرب الى معنى البيت ، وأظهر في المراد .

وأما المقارنة — فهي أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة أو غير ذلك بوصف يخفى أثره إلا على مُدْمِن النظر في هذه الصناعة، وأكثر ما يقع ذلك بالجمل الشرطية، كقول بعض شعراء المغرب ^(١) :

وكنْتَ إِذَا اسْتُرِّلْتَ مِنْ جَانِبِ الرُّضَى * نَزَلْتَ نَزْوَلِ الْغَيْثِ فِي الْبِلَدِ الْمَحَلِّ
وَإِنْ هَيَّجَ الْأَعْدَاءُ مِنْكَ حَفِيزَةً * وَقَعْتَ وَقُوعَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْجَزَلِ
فإنه لآدم بين الاستعارة والتشبيه المتزوع الأداة ^(٢) في صدرى بيتيه وعجزيهما .

وأما ما قُرِنت به الاستعارة من المبالغة فمثاله قول النابغة الذبياني :
وَأَنْتَ رَبِيعٌ يُعِيشُ النَّاسَ سَبِيَهُ * وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمِنْبَةُ قَاطِعُ
فإن في كل من صدر البيت وعجزه استعارة ومبالغة ، وإنما التي في العجز أبلغ .

ومما أَقْرَنَ فِيهِ الْإِرْدَافُ بِالْأَسْتِعَارَةِ قَوْلُ تَمِيمِ بْنِ مُقْبِلٍ :
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى تَزْعَنَا عَشِيَّةً * وَقَدَمَاتُ شَطْرِ الشَّمْسِ وَالشَّطْرُ مُدْنَفٌ
فإنه عَبَّرَ بِمَوْتِ شَطْرِ الشَّمْسِ عَنِ الْغُرُوبِ ، وَأَسْتَعَارَ الدَّنْفَ لِلشَّطْرِ الثَّانِي .

وأما الإبداع — فهو أن يأتي في البيت الواحد من الشعر، أو القرينة الواحدة من التريضة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته ، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع

قال ابن أبي الإصبع : وما رأيتُ فيما استقرّيتُ من الكلام كآية استخرجتُ منها أحدا وعشرين ضربا من المحاسن ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ

(١) هو إدريس بن اليمان كما في تحرير التعبير لابن أبي الإصبع .

(٢) في الأصل : «الإرادة» ؛ وهو تحريف .

- وَيَاسَّمَاءُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ : وهى المناسبة التامة فى « أَبْلَى » و « أَقْلَى » ؛ والمطابقة بذكر الأرض
 والسماء ؛ والمجاز فى قوله : « يَاسَّمَاءُ » ، فإن المراد - والله أعلم - يامطر السماء ؛ والاستعارة
 فى قوله تعالى : « أَقْلَى » ؛ والإشارة فى قوله تعالى : « وَغِيضَ الْمَاءِ » فإنه عبر بهاتين
 اللفظتين عن معان كثيرة ؛ والتثيل فى قوله تعالى : « وَقُضِيَ الْأَمْرُ » فإنه عبر عن
 هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له ؛ والإرداف فى قوله :
 « وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ » فإنه عبر عن استقرارها بهذا المكان استقرارا متمكنا
 بلفظ قريب من لفظ المعنى ؛ والتعليل ، لأن غيض الماء علة الاستواء ؛ وصحة
 التقسيم إذ استوعب الله تعالى أقسام أحوال الماء حالة تقصيه ، إذ ليس
 إلا احتباس ماء السماء ، واحتقان الماء الذى ينبع من الأرض ، وغيض الماء
 الحاصل على ظهرها ؛ والاحتراش فى قوله تعالى : « وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » إذ
 الدعاء عليهم يُشعر أنهم مستحقو الهلاك احتراسا من ضعيف العقل يتوهم أن
 العذاب شمل من يستحق ومن لا يستحق ، فتأكد بالدعاء كونهم مستحقين ؛
 والإيضاح فى قوله : « لِلْقَوْمِ » ليبين أن القوم الذين سبق ذكرهم فى الآية المتقدمة
 حيث قال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مَلَأً مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ هم الذين وصفهم بالظلم ليعلم
 أن لفظة القوم ليست فضلة وأنه يحصل بسقوطها لبس فى الكلام ؛ والمساواة
 لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها ؛ وحسن النسق ، لأنه تعالى عطف القضايا بعضها
 على بعض بحسن ترتيب ؛ وائتلاف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لا يصلح
 موضعها غيرها ؛ والإيجاز ، لأنه سبحانه وتعالى أقتص القصّة بلفظها مستوعبة
 بحيث لم يُخل منها بشئ فى أقصر عبارة ؛ والتسليم ، لأن أول الآية الى قوله : « أَقْلَى »

(١) يقتضى آخرها ؛ والتهديب ، لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير ؛ والتمكن ، لأن الفاصلة مستقرة في قرارها ، مطمئنة في مكانها ؛ والأنسجام ، وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء ؛ وما في [مجموع] الآية من الإبداع ، وهو الذى سُمي به هذا الباب . فهذه سبع عشرة لفظة تَصْمُنَتْ أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها .

وأما الانفصال — فهو أن يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دَخَلٌ لو أَقْتَصَرَ عليه ، فيأتى بما يفصله عن ذلك الدَّخَل ، كقول أبي فراس :

ولقد نُبِيتُ إبلى * س إذا راك يَصُدِّ

ليس من تقوى ولكن * ثَقُلَ فيك وبردٌ

والفرق بين هذا وبين الاحتراس خلو الاحتراس من الدَّخَل عليه من كل وجه .

وأما التصرف — فهو أن يتصرف المتكلم فى المعنى الذى يقصده ، فيبرزه

فى عدة صور : تارة بلفظ الاستعارة ، وطورا بلفظ التشبيه ، وآونة بلفظ الإرداف

وحينا بلفظ الحقيقة ، كقول امرئ القيس يصف الليل :

وليل كوج البحر مُرْخ سُدُوله * على بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تَمْطَى بَصْلُه * وأردف أعجازا وناء بكل كل

فإنه أبرز المعنى بلفظ الاستعارة ، ثم تصرف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال :

(١) فى الأصل : « نقيض » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . واستقامة الكلام تقتضى إثباتها . انظر تحرير التعبير لابن

أبى الإصبع .

(٣) فى الأصل : « عموم » ؛ وهو تحريف .

فيا لك من ليل كأت نجومه * بكل مغار القتل شدت بيذبل^(١)

ثم تصرف فيه فأخرجه بلفظ الإرداف فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا آنجلي * بصبح وما الإصباح منك بأمثل^(٢).

وأما الاشتراك — فمنه ما ليس بحسن ولا قبيح ، وهو الاشتراك في الألفاظ

مثل اشتراك الأبيد وأبي نواس في لفظة الاستعفاء ، فإن الأبيد قال في مرثية أخيه :

وقد كنت أستعفى الإله إذا أشتكى * من الأجر لي فيه وإن عظم الأجر

وقال أبو نواس :

٦٩

ترى العين تستعفيك من لماعها * وتحسر حتى ما تقل جفونها^(٣)

ومنه الحسن ، وهو الاشتراك في المعنى ، كقول امرئ القيس :

كبر المقاتاة البياض بصفرة * غذاها تميم الماء غير المحلل^(٤)

وقول ذى الرمة :

كلأ في برج صفراء في دجج^(٥) * كأنها فضة قد مسها ذهب^(٥)

(١) يذبل : جبل بجذ في طريقها يا قوت .

(٢) في الأصل : « فيك » ؛ وهو تحريف .

١٥

(٣) في الأصل : « وتحنس » ؛ بالنون ؛ وهو تحريف . وهذا البيت في صفة الخمر ؛ يريد أن العين تكمل عن النظر إليها من شدة لمعان هذه الخمر وبريقها حتى إن العين تستعفى الناظر من أن يكلفها النظر إليها ، أى تطلب منه أن يعفها من ذلك .

(٤) المقاتاة من قانيت بين الشئين : أى خلطت أحدهما بالآخر . والمحلل : الذى لم يكثر حلول الناس

٢٠

عليه فيكدرونه بكثرة وروده ؛ يريد تشبيهه بمبوته ببيضة النعامة التى يخالط بياضها صفرة ، وهو من الألوان التى محمد عند العرب ؛ وأن غذاها الماء العذب الصافي الذى لم يكدره الوردون .

(٥) البرج بفتح أوله وثانيه في العين : نقاء بياضها وصفاء سوادها ، أو هو اتساعها . والدجج :

شدة سواد العين .

(١) فوقَ الاشتراك بينهما في وصف المرأة بالصفرة ، غير أنَّ الأول شبه الصفرة ببيضة النعامة ، والآخر وصفها بالفضة المموَّهة ؛

ومن الاشتراك المعنوي ما ليس بحسن ولا معيب ، كقول كثير :

وأنتِ التي حَبَبْتَ كُلَّ قَصِيْرَةٍ * إلى وما تدري بِذلكِ القصائر

عَينَتْ قَصِيْرَاتِ الجِمالِ ولم أُرِدْ * قِصَارَ الخُطَا ، شرُّ النساءِ البِحاترِ (٢)

٥

فإن لفظة قصيرة مشتركة ، فلواقتصر على البيت الأول لكان الاشتراك معيباً لكنه لما أتى بالبيت الثاني زال العيب ، ولم يبلغ رتبة الحسن لما فيه من التضمين .

وأما التهكم — فالفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الإحدُّ أن التهكم ظاهره جدُّ وباطنه هزل ، والهزل الذي يراد به الإحدُّ على العكس منه ، فمن التهكم قولُ الوجيه الذروي في ابن أبي حصينة من أبيات :

١٠

لا تَظَنَّ حَذْبَةَ الظَّهْرِ عِيَا * فهي في الحُسن من صفات الهلال

وكذلك القِسَى مُحْدَوْدِيَاتٌ * وهي أَنَّكَ مِنَ الظُّبَا والعوالى

وإذا ما علا السَّنام ففيه * لُقُروم الجِمالِ أيُّ جِمالِ

وَأَرَى الانْحِساءَ في مِخْلَبِ البَا * زى ولم يَعُدْ مِخْلَبَ الرِّبَالِ

كَوْنِ الله حَذْبَةَ فِيكِ إن شِئْتَ * من الفضل أو من الإفضال

١٥

فأنتِ رَبَوَةٌ على طُودِ علم * وأنتِ مَوْجَةٌ يبحر نوالِ

ما رأتها النساءُ إلا تَمَنَّتْ * أنها حَلِيَّةٌ لكلِّ الرجالِ

(١) في الأصل : « فَرُوق » ؛ والواو الثانية زيادة من الناسخ .

(٢) البِحاتر : الفصار من النساء ، واحده بَحْترَة .

ثم ختمها بقوله :

وإذا لم يكن من الهجر بُدٌّ * فعمسى أنف تزورنا في الخيال^(١)
وكقول ابن الرومي :

فياله من عمل صالح * يرفعه الله إلى أسفل .

- وَأما التدبّيج — وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوّانا يقصد بها الكناية
أو التورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو هجاء أو نسيب أو غير ذلك من
الفنون ، فمن ذلك قول الحريريّ في بعض مقاماته : فذ أزور المحبوب الأصفر
وأغرب العيش الأخضر ، اسودّ يومى الأبيض ، وأبيض فودى الأسود^(٢) ، حتى رثى لى
العدوّ الأزرق ، فحبذا الموت الأحمر .

- وهذا التدبّيج بطريق التورية . وقال بعض المتأخّرين يصف موقف السلطان
الملك الناصر بمصاف شقّحب الكائن بينه وبين التار في شهر رمضان سنة
اثنتين وسبعائة^(٣) :

- وما زال بوجهه الأبيض ، تحت علمه الأصفر ، يكابد الموت الأحمر ، تجاه
العدوّ الأزرق ، الى أن حال بينهما الليل الأسود ، وبكر في غرة نهار الأحد الأشعل
وأمّطى السبيل الأحوى الى أن حلّ بالأبلق . يريد بالأبلق : القصر الظاهريّ^(٤)
الذى بالميدان الأخضر بظاهر مدينة دمشق ؛ ومن أمثلة هذا الباب قول ابن
حيّوس الدمشقي :



(١) في الأصل : « تزورني » ؛ والباء زيادة من النسخ .

(٢) في الأصل : « يومى » ، وهو تحريف .

(٣) قال في القاموس شقّحب بكسر : موضع قرب دمشق . والذي يستفاد من تاريخ أبي الفداء .

ج ٤ ص ٥٠ ط القسطنطينية أن هذا الموضع في طرف مرج الصفر .

(٤) في الأصل : « البيت » ؛ وهو تحريف .

إن تُردِّدِ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ * فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ قَتَالٍ
تَلْقَى بِيَضِّ الْوُجُوهِ سُودَ مُثَارِ النَّاسِ * تَعِ حُضْرَ الْأَكْثَرِ حُمَرَ النَّصَالِ .

وأما الموجه — فهو الذي يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر، كقول المتنبي :
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ * لَهَنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ
وكقوله أيضا :

عُمِّرَ الْعَدُوُّ إِذَا لَاقَاهُ فِي رَجْعٍ * أَقْلٌ مِنْ عُمُرٍ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا
فأول البيتين وصف بفرط الشجاعة، وآخر الأول بعلو الدرجة ، وآخر الثاني بفرط
الجود .

وأما تشابه الأطراف — فهو أن يجعل الشاعر [قافية] بيته الأَوَّلِ أَوَّلَ البيت
الثاني، وقافية الثاني أَوَّلَ الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه، ومن أحسن ما قيل فيه
قول ليلي الأَخِيلِيَّةِ تمدح المجاح :

إِذَا نَزَلَ الْمَجْحَاحُ أَرْضًا مَرِيضَةً * تَتَّبَعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاها
شَفَاها مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بِهَا * غَلَامٌ إِذَا هَزَّتِ الْقَنَاةُ سَقَاها
سَقَاها فَرَوَّاهَا بِشُرْبِ سِجَالِهَا * دِمَاءُ رِجَالٍ يَحْبُوبُونَ صَرَاها (٣)

هذا ما أورده في حسن التوسل من علوم المعاني والبيان والبدیع ، وقد أتينا على
أكثره بنصه لما رأيناه من حسن تأليفه ، وبدیع ترصيفه ، وأن اختصاره لا يمكن

(١) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل : « هو أن يمدح » ؛ وهو أظهر ، فإن التعريف
عليه يكون لنفس هذا النوع من الكلام ؛ ومقتضى عبارة الأصل أن التعريف لنفس المتكلم ، وهو غير
ما سار عليه في تعريف سائر الأنواع .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل ، إذ بها
يستقيم التعريف .

(٣) الصري : اللبن الفاسد المتغير الطعم ، استعارته هنا للدماء .

إلا عند الإخلال بفائدة لا يُستغنى [عنها] ^(١) فلم نحذف منه إلا ما تكرر من الأمثلة والشواهد ، لاستغنائنا بما أوردناه عما حذفناه ، فالنسبة فيه إلى فضائله وفضله والعمدة على شواهدده ونقله ؛ فلقد أحسن التأليف ، وأجاد التعريف ، وأحتمل التوفيق ؛ وحرر الشواهد ، وأوضح السبيل حتى صار الغائب عن هذه الصناعة إذا طالع كتابه كالشاهد ؛ وأبدع في صناعة البديع ، وبيّن علم البيان بحسن الترصيف والترصيع ؛ وأعنى بالفاظ المعاني فصرف أعتبها ببنائه ، وأبان مشكلها فأحسن في بيانه ؛ وحلّ من التعقيد عقابها الذي عجز غيره عن حلّه ، وسهّل للأفهام مقالها فأبرزته الألسنة من محرم اللفظ إلى حلّه ؛ فله المنة فيما ألف ، والفضل بما صنف .

وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة — فالأقتباس

والاستشهاد والحل :

١٠

[فالأقتباس ^(١) هو أن يضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث ، ولا يُنبّه عليه للعلم به ، كما في خطب ابن نباتة ، كقوله : فيا أيها الغفلة المطرقون ، أما أتم بهذا الحديث مصدّقون ؟ مالكم لا تُشفيقون ؟ ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . وكقوله أيضا : يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ، ويعمل الظالمين لجهنم وقودا ، يوم تكونون ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ١٥ ﴿ يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

ومن ذلك ما أورد المولى شهاب الدين محمود في تقليد عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بالسلطنة ، جاء منه : وجمع بك شمل الأمة بعد أن "كادَ يزيغُ

٢٠

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا في حسن التوسل . والذي في الأصل : « الكاتب » .

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ“ ، وعَصْدُكَ لإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ وَخَصَّكَ بِأَنْصَارِ دِينِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَهُمْ فَارَهُونَ ، وَأَظْهَرَكَ عَلَى الَّذِينَ ”ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ“ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ .

(٧١)

وَأَمَّا الْأَسْتِشْهَادُ بِالْآيَاتِ — فَهُوَ أَنْ يَنْبُتَ عَلَيْهَا كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَفِي الْأَحَادِيثِ بِالتَّنْبِيهِ عَلَيْهَا أَيْضًا ، كَقَوْلِ الْمَوْلَى شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ فِي خُطْبَةٍ تَقْلِيدٍ حَاكَمِيٍّ : وَنُصِّلِي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَسْتَخْرِجُهُ اللَّهُ مِنْ عُنْصُرِ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ ، وَشَرَّفَ قَدْرَ جَدِّهِ بِقَوْلِهِ فِيهِ : ”إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُّ أَبِيهِ“ وَسَرَّهُ بِمَا أَسَرَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ فُتِّحَ بِهِ وَيُحْتَمَّ بِهِ . وَأَمْثَالَ ذَلِكَ [لَا تُحْصَرُ] ^(١) .

١٠

[وَأَمَّا الْحَلُّ] ^(١) — وَهُوَ بَابٌ مُتَّسِعُ الْجَمَالِ ، وَمِلَاكُ أَمْرِ الْمُتَّصِدِي لَهُ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْحِفْظِ [لِلْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالْآثَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ لِيُنْفِقَ مِنْهَا وَقْتَ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا] .

قَالَ : وَكَيْفِيَّةُ الْحَلِّ أَنْ يَتَوَخَّى هَدْمَ الْبَيْتِ الْمَنْظُومِ ، وَحَلَّ فَرَائِدِهِ مِنْ سِلْكَهَ ، ثُمَّ يَرْتَّبُ تِلْكَ الْفَرَائِدَ وَمَا شَاهَبَهَا تَرْتِيبَ مُتَمَكِّنٍ لَمْ يَحْصُرْهُ الْوِزْنُ ، وَيُبرِّزُهَا فِي أَحْسَنِ سِلْكِ ، وَأَجْمَلَ قَالِبٍ ، وَأَصَحَّ سَبْكِ ، وَيَكْمُلُهَا بِمَا يَنَاسِبُهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ إِنْ أَمَكْنَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ كُفَّةٍ ، وَيَخْتَارُ لَهَا الْقُرَائِنَ ، وَإِذَا تَمَّ مَعَهُ الْمَعْنَى الْمَحْلُولُ فِي قَرِينَةٍ وَاحِدَةٍ يَغْرَمُ لَهُ مِنْ حَاصِلِ فِكْرِهِ ، أَوْ مِنْ ذَخِيرَةِ حَفِظِهِ مَا يَنَاسِبُهُ ، وَلَهُ أَنْ يَنْقُلَ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يُفْسِدْهُ إِلَى مَا شَاءَ ، فَإِنْ كَانَ نَسِيْبًا وَتَأَثَّى لَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مَدِيحًا فَلْيَفْعَلْ ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ

١٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

٢٠

من الأنواع ؛ وإذا أراد الحَلَّ بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبةً لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها ، فتي قُصرت عنها ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحَلَّ وعُدَّ معيباً ؛ وإذا حَلَّ باللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل إلا مع مُراعاة نظام الفصاحة في ذلك ، واجتناب ما ينقص المعنى ويحطّ رتبته ؛ وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه ، ولا يجزى على المتصرف فيه .

قال : ومما وقع التصرف فيه بزيادة على المعنى قولُ ضياء الدين بن الأثير الجزريّ في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير : وهذه لمبتدا ضعفى خبر ، ولِقوس ظهري وترّ ، وإذا كان إلقاؤها دليلاً على الإقامة فإنّ حملها دليل على السفر . والمحلول في ذلك قول بعضهم :

١٠ * كَأَنِّي قَوْسٌ رَامٍ وَهِيَ لِي وَتَرٌّ *

وقول الآخر :

فألقت عصاها وأستقرت بها النوى * كما قرّ عينا بالإياب المسافر .

وأما ما يحتاج فيه الى مؤاخة القرينة المحلولة بمثلها أو ما يناسبها فكما قال المولى شهاب الدين محمود في تقليد :

١٥ فكم ملّ ضوءُ الصبح مما يُغيره ، وظلامُ النَّعَمِ مما يُثيره ؛ وحديدُ الهند مما يلاطمه والأجلُّ مما يسابقه الى قبض الأرواح ويزاحمه .

والقرينتان الأولىان نصفان للنتى ، فأضاف الى كل قرينة ما يناسبها ، وهذا من أكثر ما يستعمل في الكتابة ، ولا ينبغي للكاتب أن يعتمد في جميع كتابته على الحَلَّ ، فيتكلّ خاطره على ذلك ، ويذهب رونقُ الطبع السليم ، وتقلّ مادة الانسجام . بل يكون استعمال ذلك كاستعمال البديع اذا أتى عفواً من غير تكلف ليكون كالشاهد .

على صحة الكلام ، والدالّ على الاطلاع ، وكالرقم في الثوب ، والشُدرة في الفلادة والواسطة في العقد ، إذ لا ينبغي للكاتب أن يُخْلِ كلامه من نوع من أنواع المحاسن .
ويقرب من هذا النوع التلميح ، وقد تقدّم ذكره في بعض أبواب البديع ،
والذى يقع في بعض استعماله في مثل ذلك مثل قول الحريرى : وإنى والله لطالما
لقيت الشتاء بكافاته ، وأعددتُ الأهبة له قبل موافاته . يشير الى بيتى ابن سكرة :
* جاء الشتاء وعندى من حوائجه *
وهى مشهورة .

فإذا عرف الكاتب هذه العلوم ، وأتى الصناعة من هذه الأبواب تعين عليه
أموار أخر نذكرها الآن .

٧٢

١٠ ذكر ما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به
وما يجوز في الكتابة وما لا يجوز

قال إبراهيم بن محمد الشيبانى : فإن احتججت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء
والكتاب والأدباء والخطباء والشعراء وأوساط الناس وسوقهم ، فخطب كلاً على قدر
أهته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وفطنته وانتباهه ، ولكل طبقة من هذه الطباق
معانٍ ومذاهبٍ يجب عليك أن تراها في مراسلتك إليهم في كتبك ، وترن كلامك
في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ، فإنك متى أهملت ذلك وأضعته
لم آمن عليك أن تعيد بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع
بلاغتك في غير مجراه ، وتتنظّم جوهر كلامك في غير سلكه ، فلا تعتد بالمعنى الجزل
ما لم تليسه لفظاً [لائقاً بمن كاتبته ، وملاصاً لمن راسلته] ، فإنّ البأسك المعنى

(١) الكلمة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٦ ط الغمازية ؛ واستقامة الكلام تقتضى إبانها

وموضئها بالأصل جملة مكررة مع ما سأتى ، وهى قوله : « مختلفاً على قدر المكتوب اليه » .

— وإن صحَّ وشُرف — لفظاً مختلفاً عن قدر المكتوب إليه لم تجر به عادته تهجيناً للمعنى وإخلالاً بقدره، وظلم يالحق المكتوب إليه، ونقص ما يجب له، كما أت في اتباع تعارفهم، وما انتشرت به عادتهم، وجرت به سنتهم، قطعاً لعذرهم، وخروجاً من حقوقهم، وبلوغاً إلى غاية مُرادهم، وإسقاطاً لمُجّة أدبهم.

- وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه : فأمثّل هذه المذاهب ، وأجر [على هذا] (٣)
- القوام ، وتحفظ في صدور كتبك وفضولها وافتتاحها وخواتمها ، وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخيّر لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل : « نسأل الله دفع المحذور ، وصرف المكروه » وأشباه ذلك ؛ وفي موضع ذكر المصيبة : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ؛ وفي موضع ذكر النعمة : « الحمد لله خالصاً ، والشكر لله واجباً » وما يشاكل ذلك ، فإن هذه المواضع مما يتعين على الكاتب أن يتفقدّه ويتحقق منه ، فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه ، ويعلق كل لفظة على طبقتها في المعنى .

قال : واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار والحذف ، ومخاطبة الخاص [بالعام] (٥) والعام بالخاص ، لأن الله تعالى إنما خاطب

- (١) كذا في الأصل . والذى في العقد الفريد : « بحق المكتوب » الخ ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) في الأصل : « عليه » ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٣) في الأصل : « وأجر عليها القوم » ؛ وفيه نقص ، والزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨

ط العنانية ، والذى في العقد : « هذه » ؛ وهو غير مستقيم كما لا يخفى ، والقوام بكسر القاف : نظام الأمر وملاكه وعماده .

٢٠

(٤) كذا في العقد الفريد . والذى في الأصل : « في صدرك » ؛ وهو تحريف .

(٥) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط العنانية ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

بالقرآن قوماً فُصحاءَ فهموا عنه — جلّ شأنه — أمره ونهيه ومراده، والرسائل إنما يخاطب بها قوم دُخلاءٌ على اللغة لا يعلم لهم بلسان العرب؛ وكذلك ينبغي للكتاب أن يتجنب اللفظ المشترك، والمعنى المتيسر، فإنه إن ذهب ليكتب على معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وكقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أحتاج أن بين أن معناه: أسأل أهل القرية، وأهل العير، وبل مكركم بالليل والنهار؛ قال: وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المنشورة ما يجوز في الأشعار الموزونة، لأن الشاعر مضطر، والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي، فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء، وحذف ما لا يحذف منها، واغترفوا فيه سوء النظم، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والإضمار في موضع الإظهار، وذلك كله غير سائق في الرسائل، ولا جائز في البلاغات؛

فما أجزى في الشعر من الحذف قول الشاعر:

* قَوَاتِنَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمَا *

يريد الحمام، وكقول الآخر:

* صَفَرُ الْوِشَاحِينَ صَمُوتُ الْخَلْخَلِ *

يريد الخلخال، وكقول الخطيئة:

فِيهَا الرِّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِغَةٍ * جَذَاءٌ مَسْرُودَةٌ مِنْ فِعْلِ سَلَامٍ^(٣)

يريد سليمان، وكقول الآخر:

وَسَائِلُ بَشْعَلَةَ بْنِ سَيْرٍ * وَقَدْ عَلِقَتْ بِشَعْلَةَ الْعُلُقِ^(٤)

(١) كذا في العقد المرید . وعبارة الأصل : « جهلاء عن » الخ ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « واعتبروا » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل . والمشهور في روايته : « من نسج » .

(٤) العلوق بفتح العين : المنية .

يريد ثعلبة بن سيار^(١)، وكقول الآخر:

فلستُ بآتيه ولا أستطيعه * ولاك أسفنى إن كان مأوك ذا قُضِل

(٧٣)

[أراد ولكن^(٢)] قال: وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصغّر الاسم في موضع التعظيم وإن كان ذلك جائزاً، مثل قولهم: دُوَيْهِيَّةٌ تصغير داهية، وجَدِيلٌ وعُدَيْقٌ، تصغير جَدِيلٍ وعُدَيْقٍ^(٣). قال ليبد:

وكلُّ أناس سوف تَدْخُلُ بينهم * دُوَيْهِيَّةٌ تصغرُ منها الأناملُ

قال: فتخيّر في الألفاظ أَرْجَحَهَا وزناً، وَأَجَزَلَهَا معنى، وَأَشْرَفَهَا جوهرًا وأَكْرَمَهَا حَسَبًا، وَأَلْيَقَهَا في مكانها، وَأَدْرِكُ الكلام في أماكنه، وَقَلْبُهُ على جميع وجوهه، ولا تجعل اللفظة قَلْقَلَةً في موضعها، نافرةً عن مكانها، فإنك متى فعلت ذلك هَجَّمتَ الموضوع الذي حاولتَ تحسينه، وَأَنَسَدْتَ المكان الذي أردتَ إِصلاحه ١٠ فإنَّ وضعَ الألفاظ في غير أماكنها، والقصدَ بها إلى غير مَظَانِّها، إنما هو كترقيق الثوب الذي إن لم تُشابهه رِقَاعُهُ، ولم تُتقاربْ أَجْزَاؤُهُ، خرج عن حدِّ الحِذَّةِ، وتغيَّرَ حسنه، كما قال الشاعر:

إِنَّ الحديدَ إذا ما زيدَ في حَلَقٍ * يَبِينُ للناسِ أَنَّ الثوبَ مَرْقُوعٌ

١٥ انتهى ما أورده أبْنُ عَبدِ رَبَّةَ.

وقال المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي: ومما يتعين على الكاتب استعمله، والمحافظة عليه، والتمسك به، إعطاء كلِّ مقام حَقَّهُ، فإذا كُتِبَ في أوقات (١) في الأصل: «يسار»؛ وفيه قلب، والتصويب عن شرح القاموس. ويدل عليه أيضاً ما تقدم في البيت.

٢٠ (٢) التلمذة عن العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٢ ط الشرفية؛ وقد أثبتناها ليوافق ما مر في الآيات التي قبله، إذ أنه بعد إيراد البيت يعقبه بمراد قائله من الكلمة التي حذف بعض حروفها.

(٣) الجدل: عود ينصب للإبل الجربي تحتك به لتشفى؛ أو هو ما عظم من أصول الشجر. والعدق: النخلة بجملها؛ أشار بهذا إلى قول الحباب بن المنذر يوم السقيفة: أنا جدليها المحكك، وعديقها المربَّج.

الحروب إلى ثواب الملك عنه ، وإلى مقدّمى الجيوش والسرايا ، فليَتَوَخَّ الإيجاز والألفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيّع المقصد ، ويفصل الكلام بعضه من بعض ، ولا تهويل لأمر العدو يُضعِف به القلوب ، ولا تهوين لأمر يحصل به الاعتزاز . وذكر لذلك أمثلة من إنشائه .

قال : فمن ذلك صورةُ كتاب أنشأته الى مقدّم سريّة كَشَفٍ — ولم أكتب به — وهو :

لا زال أَخَفَّ في مقاصده من وَطْأَة ضيف ، وأَخْنَى في مطالبه من زَوْرَة طيف ، وأسْرَعَ في تنقله من سحابة صيف ، وأَرْوَعَ للعدا في تطلّعه من سَلَة سيف ، حتى يَعَجَب عدوّ الدّين في الاطّلاع على عوراته من أين دُهِى وكيف ؟ ويعلم [أَنْ] ^(١) مَنْ أَوَّل قِسْمَتِهِ اللّقاءُ حصل عليه في مقاصده الحيف ؛ أصدرناها إليه نَحْثُهُ ^(٢) على الركوب بطائفة أعجل من السَّيل ، وأَهْوَلَ من الليل ، وأَيْمَنَ من نواصى الخيل ؛ وأَقْدَمَ من الثَّمر ، وأَوْقَعَ على المقاصد من الغيث المُنْهَمِر ، وأَرْوَعَ في مُحَاذَلَة العُدا من الذئب الحَذِر ؛ على خيل تجرى ما وَجَدَتْ فِلاَه ، وتطيع راكبيها مهما أَرَادَ منها سرعةً أو أُنَاه ؛ تَتَسَنَّمُ الجبال الصَّمَّ كالوَعْل ^(٣) ، وإذا جارتها البروق غدت وراءها * تَمْشِي الهوينا كما يَمْشِي الوَحْي ^(٤) الوَجَل * وليكن كالنجم في سُرَاه ، وبُعْدُ ذُرَاه ؛ إن جرى فَكَسَمَهُمْ ، وإن خَطَرَ فَكَوَّهُمْ ؛ وإن طَلَبَ فَكَلَّلِيلَ الذى هو مُدْرِك ، وإن طَلَبَ فَكَا لِحْنَة التى لا يَجِدُ رِيحَهَا مُشْرِك ؛ حتى يأتى على عدوّ الدّين من كل شَرَف ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد نقلناها عن حسن النوسل .

(٢) فى الأصل : « بالحيف » ؛ والباء زيادة من الناسخ إذ لا مقتضى لها فى هذه العبارة .

(٣) الوعل بكسر العين وسكونها : تيس الجبل .

(٤) الوحي بكسر الجيم : من الوحي بفتحها ، وهو الحفا أو أشد منه .

وَيَرَى جَمْعَهُ مِنْ كُلِّ طَرَفٍ ، وَلَا يُسِيرُ فِي الْإِقَامَةِ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْخَيْرَ فِي السَّرَفِ ؛ وَلِيُحَرِّزَ جَمْعَهُمْ ، وَيَسْبِقَ إِلَى التَّحَرُّزِ مِنْهُمْ بَصَرَهُمْ وَسَمْعَهُمْ ؛ وَيَنْظُرَهُمْ بَعِينَ مِنْهَا الْخَزْمَ أَنْ تَرَى الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا ، وَصَدَّهَا الْعِزْمُ أَنْ تَرَى الْعَدُوَّ الْحَقِيرَ جَلِيلًا ؛ بَلْ تَرَى الْأَمْرَ عَلَى فَصِّهِ ، وَتَرَوِي الْخَبَرَ عَلَى نَصِّهِ ؛ وَإِنْ وَجَدَ مَغْرًا فَلْيَأْخُذْ خَبْرَهُ ، إِنْ قَدَّرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بَعِيْنِهِ وَإِلَّا فَلْيَذْهَبْ آثَرَهُ ؛ وَلَا يَبِيحُ فِيمَا لَدَيْهِ نَارَ حَرْبٍ إِلَّا بَعْدَ الثِّقَةِ بِإِطْفَاقِهَا ، وَلَا يُوقِظُ [عَلَيْهِ] ^(١) عَيْنَ عَدُوٍّ مَعَهَا ظَهْرُهُ أَنْ [الْمَصْلَحَةُ ^(٢) فِي إِغْفَائِهَا] ؛ وَلِيَكْشِفَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يُبْدِي عِنْدَ الْمُتَلَقِّي عَوْرَتِهِمْ ، وَيُجِدُّ فِي حَالَةِ الزُّحْفِ فَوْرَتِهِمْ ؛ وَلِيَجْعَلَ قَلْبَهُ فِي ذَلِكَ رَ بِيْئَةً طَرْفُهُ ، وَطَالِبَةً طَرْفُهُ ، وَسَرِيَّةً كَشْفِيَّةً وَاللهُ تَعَالَى يُمِدُّهُ بِطُفْهِهِ ، وَيَحْفَظُهُ بِمَعْقَبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ .

(٧٤)

- ١٠ . وَإِذَا كَتَبَ عَنِ الْمَلِكِ فِي أَوْقَاتِ حَرَكَاتِ الْعَدُوِّ إِلَى أَهْلِ الثُّغُورِ يُعْلِمُهُمْ بِالْحَرَكَةِ لِلْقَاءِ الْعَدُوِّ ، فَلْيَبْسُطِ الْقَوْلَ فِي وَصْفِ الْعَزَائِمِ ، وَقُوَّةِ الْهَيْمِ ، وَشِدَّةِ الْحِمَاةِ لِلدِّينِ ، وَكَثْرَةِ الْعَسَاكِرِ وَالْجُيُوشِ ، وَسُرْعَةِ الْحَرَكَةِ ، وَطَيِّ الْمَرَاكِحِ ، وَمُعَالَجَةِ الْعَدُوِّ ، وَتَخْيِيلِ أَسْبَابِ النُّصْرِ ، وَالْوُثُوقِ بِعَوَانِدِ اللَّهِ فِي الظُّفْرِ ، وَتَقْوِيَةِ الْقُلُوبِ مِنْهُمْ ، وَبَسْطِ أَمَالِهِمْ ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّقِيظِ ، وَحَضِّهِمْ عَلَى حِفْظِ مَا بَأْيَدِهِمْ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَ يُرِزُهُ فِي أَمْتِنِ كَلَامِهِ وَأَجَلِهِ وَأَمْكِنِهِ ، وَأَقْرَبِهِ مِنْ الْقُوَّةِ وَالْبَسَالَةِ ، وَأَبْعَدِهِ مِنَ اللَّيْنِ وَالرَّقَّةِ ، وَيَبَالِغُ فِي وَصْفِ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسْتِزَالِ نَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي تَثْبِيْتِ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

(٢) مهما في هذه العبارة إما حرف بمعنى إن الشرطية ، أو ظرف بمعنى متى ، وكلا الاستعمالين ضعيف .

انظر معنى الليب ج ٢ ص ١٩ و ٢٠ ط الحلبي .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها تستقيم العبارة ؛ وموضعها

في الأصل كلمتان مكررتان مع ما سيأتي ، وهما : « الزحف فورتهن » .

(٤) في حسن التوسل : « أبين » ؛ وكلاهما يصح به المعنى .

الآقدام ، والأعتصام به في الصبر، والاستعانة به على العدو، والرغبة إليه في خذلانهم، وزلزلة أقدامهم، وجعل الدائرة عليهم، دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم، ورجاء تأخيرهم، وانتظار العرَضِيَّات في خلفهم، لما في ذلك من إيهاام الضَّعْف عن لقائهم وأستشعارِ الوَهْن والخوف منهم، وليسلك في مثل ذلك كما سلك المولى شهاب الدين محمود في نحو ما كتب في صدر كتاب سلطاني إلى بعض أبواب الثغور عند حركة العدو، فإنه قال :

أصدرناها ومنادى النِّفير قد أعلن : يا خيل الله أركبي ، ويا ملائكة الرحمن آصحي ^(٢)
ويا وفود الظَّفَر والتأييد آقربي ، والعزائم قد ركضت على سوابق الرُّعب إلى العُدا
والهيمم قد نهضت إلى عدو الإسلام فلو كان في مَطْلَع الشمس لأستقربت ما بينها
وبينه من المدى ؛ والسيوف قد أنفت من القُمود فكادت تنفر من قُرْبها ، والأسنة ^(١)
قد ظمئت إلى مَوارد القلوب فتشوقت إلى الأرتواء من قُلبها ؛ والكُأَة قد زارت ^(٣)
كالليوث إذا دنت من فرائسها ، والجياذ قد مَرِحَت لما عودتها من الاتعال بجاجم ^(٤)
الأبطال فوارسها ؛ والجيش قد كثرت النجوم أعدادها ، وسائرثها للهجوم على أعداء
الله من ملائكته الكرام أمدادها ؛ والنفوس قد أضمرت الحمية نارَ غضبها ، وعداها ^(٥)
حرَّ الإشفاق على ثغور المسلمين عن بردِ الثغور وطيب شَنِها ؛ والنصر قد أشرق

(١) أراد بالخيال هنا فرسانها .

(٢) في الأصل : « وملائكة » ؛ وما أثبتناه عن حسن التوصل إذ هو المناسب لسياق ما قبله وما بعده

من الكلام .

(٣) القلب بضم القاف : الآبار، واحده قلب بفتحها .

(٤) عبارة حسن التوصل : « دنت فرائسها » بدوّن « من » ؛ وهو أظهر، إذ به يحصل السجع الذي

توخاه الكاتب في رسالته .

(٥) عداها : صرفها ، يقال : عدته العوادي عن كذا ، أي صرفته الصوارف .

في الوجود دلائله ، والتأييد قد ظهرت على الوجوه مخايله ، وحسن اليقين بالله في إعزاز دينه قد أنبات بحسن المال أوائله ؛ والألسن باستنزال نصر الله لمحجه والأرجاء بأرواح القبول أرجه ، والقلوب بموائد لطف الله بهذه الأئمة متهجه والحمأة وما منهم إلا من استظهر بإمكان قوته وقوة إمكانه ، والأبطال وليس فيهم من يسأل عن عدد عدو بل عن مكانه ؛ والنبات على طلب عدو الله حيث كان مجتمعهم ٥ والخواطر مطمئنة بكونها مع الله بصدقها ، ومن كان مع الله كان الله معه ؛ وما بقي إلا طي المراحل ، والنزول على أطراف الشغور نزول الغيث على البلد المساحل ؛ والإحاطة بعدو الله من كل جانب ، وإنزال نفوسهم على حكم الأمرين الأمرين : من عذاب واصب ، وهم ناصب ؛ وإحالة وجودهم إلى العدم ، وإحالة السيوف التي [إن] أنكرتها أعناقهم فما بالعهد من قدم ؛ وأصطلامهم على أيدي العصابة المؤيدة ١٠ بنصر الله في حربها ، وأبتلاؤهم من حملاتها بريح عاد التي تدمر كل شيء بأمر ربها ؛ فليكن مرتقبا لطلوع طلائعها عليه ، متيقنا من كرم الله استئصال عدوه الذي إن فزأدركنه من ورائه ، وإن ثبت أخذته من بين يديه ؛ وليجتهد في حفظ ما قبله من الأطراف وضمتها ، وجمع سوام الرعايا من الأماكن المتخوفة ولمها ، وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه من مسالك الأرباض المتطرقة ورمها ، فإن الاحتياط على ١٥ كل حال من أكد المصالح الإسلامية وأهمها ؛ فكانه بالعدو وقد زال طمعه ، وزاد ظله ؛ وذم عتي مسيره ، وتحقق سوء منقلبه ومصيره ، وتبرأ منه الشيطان الذي دلّاه بغروره ، وأصبح لجمه موزعا بين ذئاب الفلا وضباعها ، وبين عقبان الجحور

(٧٥)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٤ ط الوهبة إذ بها

يستقيم الكلام .

وَنُصْرِهِ ؛ ثِقَّةً مِنْ وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي تَمَسَّكُنَا مِنْهُ بِالْيَقِينِ ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقِينَ .

قال : وزيادة البسط في ذلك ونقصها بحسب المكتوب إليه .

وَإِذَا كَتَبَ فِي التَّهَانِي بِالْفَتْوحِ ، فَلَيْسَ إِلَّا بَسْطُ الْكَلَامِ ، وَالْإِطْنَابُ فِي شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ ، وَالتَّبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ ، وَوَصْفُ مَا أُعْطِيَ مِنَ النِّصْرِ ، وَذِكْرُ مَا مَنَحَ مِنَ الثَّبَاتِ ، وَتَعْظِيمُ مَا يَسَّرَ مِنَ الْفَتْحِ ؛ ثُمَّ مَا وَصَفَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِهِ وَإِقْدَامِهِ وَصَبْرِهِ وَجَلَدِهِ عَنِ الْمَلِكِ وَعَنْ جَيْشِهِ حَسَنَ وَصْفُهُ ، وَلَا قَ ذِكْرُهُ ، وَرَاقَ التَّوَسُّعِ فِيهِ ، وَعَدَبُ بَسْطِ الْكَلَامِ فِيهِ ؛ ثُمَّ كَلَّمَا أَتَسَّعَ مَجَالَ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْوَاقِعَةِ وَوَصَفِهَا كَانَ أَحْسَنَ [وَأَدْلَى عَلَى الْبَلَاغَةِ ، وَأَدْعَى لِسُرُورِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ^(١)] لِمَوْقِعِ الْمِنَّةِ عِنْدَهُ ، وَأَشْهَى إِلَى سَمْعِهِ ، وَأَشْفَى لَغَلِيلِ تَشْوِيقِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَالِ عَلَى جَلِيلَتِهِ ، وَلَا بَأْسَ بِتَهْوِيلِ [أَمْرِ^(٢)] الْعَدُوِّ ، وَوَصْفِ جَمْعِهِ وَإِقْدَامِهِ ، فَإِنْ تَصَغِيرَ أَمْرِهِ تَحْقِيقٌ لِلظَّفَرِ بِهِ ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي بَابِ التَّهَانِي مِنْ ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ ، فَلْنَذْكُرْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كَلَامِهِ فِيهِ مَا لَمْ نُورِدْهُ فِي بَابِ التَّهَانِي ؛

قال : وَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مَلِكًا صَاحِبَ مَمْلَكَةٍ مُنْفَرَدَةٍ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْبَسْطُ أَكْثَرَ ، وَالْإِطْنَابُ أَمَدًا ، وَالتَّهْوِيلُ أَبْلَغَ ، وَالشَّرْحُ أَتَمُّ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ فَصَلُّ كِتَابَتِهِ فِي جَوَابِ ابْنِ الْأَحْمَرِ صَاحِبِ غُرْنَاطَةَ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، قَالَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَيْدَانَا بِجُنُودِهِ ، وَأُنَجِّزْ لَنَا مِنْ نَصْرِ الْأُمَّةِ صَادِقَ وَعُودِهِ وَخَصَّنَا مِنْ أَسْتِدَامَةِ الْفَتْوحِ بِمَزَايَا مَزِيدِهِ ، وَأَيْدَانَا بِنَصْرِهِ ، وَنَصَرْنَا بِتَأْيِيدِهِ ، وَالصَّلَاةُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن النوسل ص ٩٥ ط الوهية .

(٢) في الأصل : « ولا يأمن » ؛ وهو تحريف .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل إذ لا تستقيم العبارة بدونها .

- والسلام على سيدنا محمد أشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وأكرم عبيده ، وأعز من دعا
 الأمم وقد أنكرت خالفها الى الإقرار بتوحيده ، وعلى آله وصحبه الذين أشرق أفق
 الدين منهم بكواكب سعوته ؛ إنا أصدرناها ونعم الله تعالى بنا مطيفه ، ومواقع نصره
 عندنا لطيفه ، وجنود تأييده لمالك الأعداء الى ممالكنا الشريفة مضيفه ، ونغور
 الإسلام بذنبا عن دين الله منيره ، وبإعلاننا منار الهدى منيفه ؛ ونحن نحمد الله على ذلك
 حمدا نستدبر به أخلاف الظفر ، ونستديم به مواد التأيد على من كفر به ونستمد به
 عوائد النصر التي كم أقدمها علينا إقدام ، وأسفر لنا عنها وجه سفره ؛ ونهدي إليه ثناء
 تعبق بنشر الرياض نحائله ، وتنطق بحض الوداد تحائله ، وتشرق على أفق مفاخره غدواته
 وأصائله ؛ يشافه مجده بمصونه ^(١) ، ويصارع فخره بمكنونه ، ويجلو على حضرته العلية
 عقائل الشرف من أبحار الهناء وعونه ؛ ونبدي لعلمه الكريم ورود كتابه الجليل مسفرا
 عن لوامع صفائه ، منبثا بجوامع وده وفائه ؛ مشرقا بلائ فرائده ، محدقا بروض
 كرمه الذي سعد رأى رائده ؛ محتويا على سروره بما بلغه من أنباء النصرة التي سارت
 بها إليه سرعان الركبان ، وذلت بعز ما تلى منها عليه عباء الصلبان ؛ وطبق ذكراها
 المشارق والمغارب ، ومزقت مواكب أعداء الله التتار وهم في رأي العين أعداد
 الكواكب ، وخلطت التراب بدمائهم حتى لم يبيح بها التيمم ، ومزجت بها الفرات
 حتى ما تحل لشارب ؛ وهي النصرة التي لا يدرك الوصف كنهها ، ولا تعرف لها
 البلاغة مشبها فتذكر شبهها ؛ ولا يتسع نطاق النطق لذكرها ، ولا تنهض الألسنة
 على طول الأبد بشكرها ؛ فإن التتار المخذولين أقبلوا كالزمال ، وهصطفوا كالجالبال ؛
 وتدققوا كالبحار الزواجر ، وتوالوا كالأمواج التي لا يعرف لها الأول من الآخر ؛
 فصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة بددت شملهم ، وعلمت الطير أكلهم ؛ وحصرتهم

(١) في الأصل : « بمضمونه » ؛ وما أثبتناه عن حسن التوصل ، وهو ما يدل عليه سياق الكلام .

في الفضاء، وطالبت أرواحهم الكافرة بدين دينها وأسرفت في الاقتضاء؛ وحصدت منهم سيوفنا المنصورة ما يخرج عن وصف الواصف، ومزقت بقيتهم في الفلوات فكانوا كرماد آشتدت به الريح في يوم عاصف؛ وأحاطت بهم كتائبنا المنصورة فلم ينج إلا من لا يؤبه له من فريقهم، وقسمتهم جيوشنا المؤيدة من الفلوات الى الفرات بين القتل والأسر، فلم يخرج عن تلك القسمة غير فريقهم؛ وأعقبهم تلك الكسرة أن هلك طاغيهم أسفا وحسره، وحزنا على من قتل من تلك المقاتلة، وأسر من تلك الأنسر، وأماته الرعب من جيوشنا المنصورة بجأه، وأستولى عليه الوجل بجأه من أمر الله ما جاءه؛ وقعد أخوه بعده مكانه، والخوف من عساكرنا يضعض أركانه، والفرق من جيوشنا يفرق أعوانه، ويمزق إخوانه، ويوهي سلطانه ويرى منه شيطانه؛ فلاذ بالالتجاء الى سلمنا، وعاذ بإسناد الرجاء الى كفنا عنه وحملنا؛ فكرر رسله ورسائله مستعطفا، وإلى كتبه ووسائله مستعفيا من حربنا ومستسغفا؛ وهاهو الآن وجنوده يتوسلون بالخضوع الى مراحمنا، ويتوصلون ببذل الطاعة الى مكارمنا؛ ويسألون صفح الصفاح الإسلامية عن رقابهم، ويبدون ما أظهره الله عليهم من الذل الذي جعلته تلك النصرة خالدا في أعقابهم؛ وسيوفنا تأبى قبول وسائلهم، وتصر على نهر سائلهم، وتمنع من الكف عن مقاتيلهم، وتأنف أن تغمد إلا في قيم محاربهم ومقاتيلهم؛ ونحن على ما نحن من الأهبة لغزوهم في عقر دارهم، وانتزاع مواطن الخلافة وغيرها من ممالك الإسلام من بين أيديهم وأظفارهم؛ مستنصرين بالله على من بقى في خط المشرك منهم، قائمين فيهم بفرض الجهاد الذي لولا دفاع الله به لم يمتنع خط المغرب عنهم؛ "ولينصرن الله من ينصره"، ولو عددنا نعم الله علينا حاولنا عد ما لا نحصى ولا نحصره.

٧٦

وإن اضْطُرَّ أن يكتبَ بِمِثْلِ ذلك إلى مَلِكٍ غَيْرِ مُسْلِمٍ لَكِنَّهُ غَيْرُ مُحَارِبٍ، فَالْحُكْمُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَذْكُرَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوَدَّةِ مَا يَقْتَضِي الْمِشَارَكَةَ فِي الْمَسَارَةِ، وَأَنَّ أَمْرَ هَذَا الْعَدَدِ مَعَ كَثْرَتِهِ أَخْذُ بِأَطْرَافِ الْأَنَامِلِ، وَآلُ أَمْرِهِ إِلَى مَا آلَ، وَيُعْظَمُ ذِكْرُ مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَتِلْكَ عَوَائِدُ نَصْرِ اللَّهِ، وَانْتِقَامُهُ مِّنْ عَادَانَا ؛

- فَمِنْ ذَلِكَ مَا أَنْشَأَهُ الْمِشَارُ إِلَيْهِ لِبَعْضِ مُلُوكِ الْبَحْرِ — وَلَمْ يَكْتُبْ بِهِ — وَهُوَ :
- صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ بِمِشْرَةً لَهُ بِمَا مَنَحَنَا اللَّهُ مِنْ نُصْرَةٍ أَجَزَلَ الصَّفَاءِ مِنْهَا سَهْمَهُ ، وَأَكْمَلَ الْوَفَاءِ مِنَ التَّهْنِئَةِ بِهَا قِسْمَهُ ؛ وَخَصَّهُ الْوِدَادُ بِأَجَلٍ أَجْرَائِهَا ، وَأَجْلَسَهُ الْإِتِّحَادُ عَلَى أَسِرَّةِ مَسَرَّتِهَا إِذَا أَجْلَسَ الْعِنَادُ غَيْرَهُ عَلَى سِطَاطِ عَزَائِهَا ؛ عَلِمَا بِأَنَّهُ الصَّدِيقُ الَّذِي تُبْهِجُهُ مَسَارُ صَدِيقِهِ ، وَالصَّاحِبُ الَّذِي يَرَى مُسَاهِمَةَ صَاحِبِهِ فِي بَشْرَى الظَّفَرِ بِأَعْدَائِهِ أَدْنَى حَقْوِقِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ التَّنَارِ فِي حَرَكَاتِهِمْ
- الذَّمِيمَةِ ، وَعَزَمَاتِهِمُ الَّتِي مَا أَحْتَفَلُوا لَهَا إِلَّا وَكَانَ أَحَدُ سِلَاحِهِمْ فِيهَا الْهَزِيمَةُ ، وَغَارَاتِهِمُ الَّتِي مَا حَشَدُوا لَهَا إِلَّا وَقَعُوا فِيهَا بِالْإِيَابِ مِنَ الْغَنِيمَةِ ؛ وَأَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْنَا إِلَّا وَعُدِمُوا ، وَلَا سَلَكُوا إِلَيْنَا إِلَّا وَهَلَكُوا ؛ حَتَّى إِنَّا الْأَرْضَ إِلَى الْآنَ لَمْ تَنْجِفْ مِنْ دِمَائِهِمْ ، وَإِنَّ الْفُرَاتَ يَكَادُ يَشِفُّ لِلتَّامُّلِ عَنْ أَشْلَائِهِمْ ؛ وَأَنَّ الشَّيْطَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَدَّدَ طَمَعَهُمْ ، وَسَكَنَ هَلَعَهُمْ ؛ وَأَنَسَاهُمْ مَصَارِعَ إِخْوَانِهِمْ ، وَأَسْلَاهُمْ بِمَا زَيْنَ لَهُمْ مِنْ بُلُوغِ أَوْطَارِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ ؛ وَقَالَ لَهُمْ : لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَتِلْكَ الْوَقَائِعُ الَّتِي أُصِيبْتُمْ فِيهَا قَدْ لَا يَجْرَى الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى الْقِيَاسِ ؛ وَحَسَّنَ لَهُمُ الْمُحَالِ وَغَرَّمَهُمْ وَجَرَّاهُمْ عَلَى قَصْدِ الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ اسْتَجَرَّهُمْ ؛ فَحَشَدُوا جَمْعَهُمْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَانْتِقَامُنَا » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ : « يَكْشِفُ » ؛ وَكَلَا اللَّفْظَيْنِ يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

وجَمَعُوا حُشُودَهُمْ ، وَاسْتَفْرَعُوا فِي الِاسْتِنْفَارِ وَالِاسْتِظْهَارِ طاقَتَهُمْ وَمَجْهُودَهُمْ ؛ وَمَا لَهُمْ
 عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَجَاوِرِينَ مِنْ أَبْطَنِ شِقَاقِهِ ، وَكَيْتَمِ نِفَاقِهِ ، وَأَنْسَاءِ الشَّيْطَانِ مَا سَلَفَ
 مِنْ تَنْفِيسِنَا عَنْهُ وَقَدْ لَازِمَ الْحَتْفِ خِنَاقَهُ ؛ وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ نُوسِعُهُمْ لِمَاهِلَا ، وَنَبْسُطُ
 لَهُمْ فِي التَّوْغْلِ آمَالَا ، وَنَأْخُذُ أَمْرَهُمْ بِالْأَنَاءَةِ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ لَا إِمْهَالًا ؛ إِلَى أَنْ بَعُدُوا
 عَنْ مَوَاطِنِ الْهَرَبِ ، وَحَصَلَ مِنْ اسْتِدْرَاجِهِمُ الْآرَبُ ؛ فَوَثَبْنَا عَلَيْهِمْ وَثُوبَ اللَّيْثِ إِذَا
 ظَفِيرُ بَصِيدِهِ ، وَنَهَضْنَا نَحْوَهُمْ نُهْوضَ الْحَازِمِ إِذَا وَقَعَ [عَدُوُّهُ] ^(١) فِي أُجْبُولَةٍ كَيْدِهِ ؛ وَصَدَمَتْهُمْ
 جِيوشُنَا الْمَنْصُورَةُ صَدْمَةً فَلَّتْ غَرْبَهُمْ ، وَأَبْطَلَتْ طَعْنَهُمْ وَضَرْبَهُمْ ، وَصَبَّغَتْ بِدُمَائِهِمْ
 ثَرَبَهُمْ ؛ وَحَكَّتْ السُّيُوفُ فِي مَقَاتِلِهِمْ ، [وَمَكَّنَتْ الْحُتُوفَ مِنْ صَاحِبِ رَأْيِهِمْ وَمُقَاتِلِهِمْ] ؛
 وَسَلَّطَتِ الْعَدَمَ عَلَى وَجُودِهِمْ ، وَحَطَّطَتْهُمْ عَنْ سُرُوجِهِمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ أَوْ قُبُورِهِمْ ؛
 ”فَقُلُّوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ“ ، وَعَادُوا عَلَى عَادَتِهِمْ خَاسِرِينَ ، وَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ
 خَاسِرِينَ ؛ وَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ ، وَمَا أَفَادَهُمْ بَصَرُهُمْ فِيمَا شَاهَدُوهُ مِنْ قَبْلِ وَلَا سَمِعَهُمْ ؛
 فَوَكَّنَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَى الْفِرَارِ ، وَعَاذُوا بِرَيْدِ الْهَرَبِ مِنْ لَهَبِ تِلْكَ السُّيُوفِ الْحِرَارِ
 وَظَنُّوا مِنْ أَنْهَزَمَ مِنْهُمْ أَنَّهُ فَاتَ الرِّمَاحَ ، فَتَنَّاوَلْتَهُ بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارِ ؛ فَوَلَّوْا
 وَالرَّعْبُ يَزْلُزِلُ أَقْدَامَهُمْ ، وَالدُّعْرُ يَقْلِلُ إِفْدَامَهُمْ ؛ وَالصَّفَاحُ تَغْطِظُهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ^(٢)
 وَالْجِرَاحُ تَطْمِيعُ الطَّيْرِ فِي أَكْلِهِمْ حَتَّى تَقَعَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ ؛ حَتَّى أَصْبَحُوا هَشِيمًا تَلْعَبُ بِهِمْ
 الصَّبَا وَالْدَّبُورُ ، أَوْ أَحْيَاءُ يَأْسُ مِنْهُمْ أَهْلُهُمْ ”كَمَا يَأْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ“
 وَصَفَّحْنَا عَنْهُمْ نَافَقَتَنَا وَوَاقَفَهُمْ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَّا نَجَا ، وَرَجَا عَوَاطِفُنَا فِي الْإِبْقَاءِ عَلَى
 نَفْسِهِ ، فَأَجَابَهُ حِلْمُنَا — وَعِثْمَانُ أَنَّهُ فِي الْقَبْضَةِ — إِلَى مَا رَجَا ؛ فَلْيَأْخُذِ الْمَلِكُ حِفْظَهُ مِنْ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٧ ط الوهية إذ لا يستقيم

الكلام بدونها .

(٢) التكملة عن حسن التوسل ؛ وتام السجع الذي ألزمه الكاتب في رسالته بفتنى إثباتها .

(٣) في الأصل : « بلغت بهم » الخ وهو محذوف .

هذه البشرى التى تَسُرُّ قَلْبَ الْوَلِيِّ الْمُحِبِّ بِوَادِرْهَا ، وَتَشْرَحُ صَدْرَ الْحَفِيِّ الْمُحِقِّ مَوَادِرْهَا وَمَصَادِرْهَا ؛ وَاللّٰهُ تَعَالَى يُهَيِّجُهُ عَنَا بِسَمَاعِ أَمْنَالِهَا ، وَيَدِيمُ سُرُورَهُ بِمَا جَلُونَاهُ عَلَيْهِ مِنْ مِّثَالِهَا^(٢) .

قال : فَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مَتَمًّا بِمُلَاةِ الْعَدُوِّ كَتَبَ إِلَيْهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّقْرِيعِ وَالتَّهْكُمِ ، وَإِبْرَازِ التَّهْدِيدِ فِي مَعْرِضِ الْإِخْبَارِ ، كَمَا كَتَبَ الْمَشَارِ إِلَيْهِ عَنِ السُّلْطَانِ إِلَى مَمْلَكِ سَيْس^(٣) — وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ مَعَ الْعَدُوِّ — قَالَ مِنْهُ :

بَصَّرَهُ اللَّهُ بِرَشْدِهِ ، وَأَرَاهُ مَوَاقِعَ غَيْبِهِ فِي الْإِصْرَارِ عَلَى مَخَالَفَتِهِ وَنَقِضِ عَهْدِهِ وَأَسْلَاهُ بِسَلَامَةِ نَفْسِهِ عَمَّنْ رَوَّعَتْهُ السُّيُوفُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِفَقْدِهِ ؛ صَدَرَتْ تُعْرِفُهُ أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَدُوِّ الَّذِي دَلَّاهُ بِغُرُورِهِ ، وَحَمَلَهُ التَّمَسُّكُ بِخِدَاعِهِ عَلَى مَجَانِبَةِ الصَّوَابِ فِي أُمُورِهِ ؛ وَأَنْهُمْ آسْتَنْجَدُوا بِكُلِّ طَائِفَةٍ ، وَأَقْدَمُوا عَلَى الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِنَفُوسِ طَامِعَةٍ وَقُلُوبِ خَائِفَةٍ ؛ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا مَدَّةَ يَشْتَرُونَ الْمُخَادَعَةَ بِالْمُوَادَعَةِ ، وَيُسَيِّرُونَ الْمَصَارِمَةَ فِي الْمَسَالِمَةِ ؛ وَيُظْهِرُونَ فِي الظَّاهِرِ أُمُورًا ، وَيُدَبِّرُونَ فِي الْبَاطِنِ أُمُورًا ، وَيَعِدُّونَ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ مِثْلَهُ وَيُمْنُونَهُمْ ”وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا“ ؛ وَكَثَرَتْ بِمَكْرِهِمْ عَامِلِينَ ، وَعَلَى مَعَالِجَتِهِمْ عَامِلِينَ ؛ وَحِينَ تَبَيَّنَ مَرَادُهُمْ وَتَكَلَّلَ أَحْتِشَادُهُمْ ؛ اسْتَدْرَجْنَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ ، وَاسْتَجَرَيْنَاهُمْ لِيَقْرُبُوا فِي الْقَتْلِ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ ، وَيَبْعُدُوا فِي الْهَرَبِ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ ؛ وَصَدْمَانَا بِقُوَّةِ الصَّدْمَةِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَالَّذِي فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ : «الصفى» بِالضَّادِ ؛ وَكَلَامُ اللَّفْظَيْنِ يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «أَمْنَالِهَا» ؛ وَالْأَلْفُ الْأُولَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) قَالَ يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِ الْبِلَادِ ج ٣ ص ٢١٧ ط جَوْتِجِن : سَيْسِيَّةٌ — وَعَامَةٌ أَهْلُهَا يَقُولُونَ :

سَيْس — : بَلَدٌ هُوَ الْيَوْمَ أَكْثَرُ مَدَنِ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ بَيْنَ أَنْطَاكِيَّةِ وَطَرَسُوسَ عَلَى عَيْنِ زُرْبَةِ الْخ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : «يُسَرُّونَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَحَسَنِ التَّوَسُّلِ ؛ وَلَمْ يَنْفَعْ

عَلَيْهِ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ بِمَعْنَى حَمَلْنَاهُمْ عَلَى الْجُرْيِ كَمَا هُوَ الْمَعْنَى الْمُتَبَادِرُ مِنْ سِيَاقِ الْعِبَارَةِ ؛ وَلَعَلَّهُ : «وَأَجْرِيَنَاهُمْ» .

لم يكن لهم بها قبل ، وحملنا عليهم حَمْلَةً أُلْجَاهُمْ طُوفَانُهَا إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ ، وَهَلْ تَعِصَمُ
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ حَيْسَلٌ ؟ فَخَصَرْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ الْفَضَاءِ الْمَتَّعِ ، وَضَايِقَانَهُمْ كَمَا قَدْ رَأَى
 وَمَرْقَنَاهُمْ كَمَا قَدْ سَمِعَ ، وَأَنْزَلْنَاهُمْ عَلَى حُكْمِ السَّيْفِ الَّذِي نَهَلَ مِنْ دِمَائِهِمْ حَتَّى رَوَى
 وَأَكَلَ مِنْ لُحُومِهِمْ حَتَّى شَبِعَ ، وَتَبِعْتَهُمْ جِيوشُنَا الْمَنْصُورَةُ تُتَخَطَّفُهُمْ رَمَاحُهَا ، وَتَلْتَقِفُهُمْ
 صِيفُهَا ، وَيَبْدُدُهُمْ فِي الْقَلَوَاتِ رُعْبُهَا ، وَيَفْرِقُهُمْ فِي الْقِفَارِ طَعْنُهَا الْمَتَادِرُكُ وَضَرْبُهَا ؛
 وَيَقْتُلُ مَنْ فَاتَ السَّيُوفَ مِنْهُمْ الْعَطَشُ وَالْجُوعُ ، وَيُحْيِي لِلْحَيِّ مِنْهُمْ أَنْ وَطَنَهُ كَالدُّنْيَا
 الَّتِي لَيْسَ لِمِيتٍ إِلَيْهَا رَجُوعٌ ؛ وَلَعَلَّهُ قَدْ رَأَى ذَلِكَ فَوْقَ مَا وُصِفَ عَيْنَانَا ، وَتَحَقَّقَ مِنْ
 كُلِّ مَا لَا يَحْتَاجُ أَنْ زَيِّدَهُ بِهِ عِلْمًا وَلَا تُقِيمَ لَهُ عَلَيْهِ بَرَهَانًا ؛ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَمْرَ هَذَا الْعَدُوِّ
 الْمَخْذُولِ مَا زَالَ مَعْنَى عَلَى هَذِهِ الْوَيْتَةِ ، وَأَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا وَنَصَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاطِنَ
 كَثِيرَةٍ ؛ وَمَا سَاقَتْهُمْ الْأَطْمَاعُ فِي وَقْتٍ إِلَّا إِلَى حُتُوفِهِمْ ، وَلَا عَادَ مِنْهُمْ قَطُّ فِي وَقْعَةٍ
 إِلَّا أَحَادٌ تُخْرِجُ عَنْ مَصَارِعِ أُلُوفِهِمْ ؛ وَلَقَدْ أَضَاعَ الْحَزَمَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَسْتَدِمَ نِعَمَ اللَّهِ
 عَلَيْهِ بِطَاعَتِنَا الَّتِي كَانَ فِي مِهَادِ أَمْنِهَا ، وَوَهَادِ يَمْنِهَا ؛ وَحِمَايَةِ عَفْوِهَا ، وَبَرْدِ رَأْفَتِهَا الَّتِي
 كَدَّرَهَا بِالْمُخَالَفَةِ بَعْدَ صَفْوِهَا ؛ يَصُونُ رَعَايَاهُ بِالطَّاعَةِ عَنِ الْقَتْلِ وَالْإِسَارِ ، وَيَجْمَعِي
 أَهْلَ مِلَّتِهِ بِالْحَذَرِ مِنَ الْحَرَكَاتِ الَّتِي مَا نَهَضُوا إِلَيْهَا إِلَّا وَجَرُّوا ذِيُولَ الْخَسَارِ ؛ وَلَقَدْ
 عَرَّضَ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ لِسُيُوفِنَا الَّتِي كَانَ مِنْ سَطَوَاتِهَا فِي أَمَانٍ ، وَوَثِقَ بِمَا ضَمَّنَ لَهُ
 التَّنَارِ مِنْ نَصَرِهِ وَقَدْ رَأَى مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ ذَلِكَ الضَّمَانِ ؛ وَجَرَّ لِنَفْسِهِ بِمَوَالَاةِ التَّنَارِ
 عَنَاءً كَانَ عَنْهُ فِي غِنَى ، وَأَوْقَعَ رُوحَهُ بِمِظَاوِرَةِ الْمَغُولِ فِي حَوْمَةِ السَّيُوفِ الَّتِي تَخَطَّفَتْ
 أَوْلِيَائَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ؛ وَاقْتَحَمَ بِنَفْسِهِ مَوَارِدَ هَلَاكِ سَلَبَتِ رِءَاءِ الْأَمْنِ عَنْ مَنْكِبَيْهِ
 وَأَغْتَرَّهُ وَقَوْمُهُ بِمَا زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ غُرُورِهِ ”فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى
 عَقِبَيْهِ“ وَمَا هُوَ وَالْوُقُوفُ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَتَزَلُّزُ فِيهَا أَقْدَامُ الْمُلُوكِ الْأَكَاسِرَةِ
 وَأُنَّى لِضِعَافِ الْقَادِ قُدْرَةً عَلَى الثَّبَاتِ لَوَثْبَاتِ الْأُسُودِ الضَّارِيَةِ وَاللُّيُوثِ الْكَاسِرَةِ ؛

لقد اعترض بين السهم والمهدف ببحره ، وتعترض للوقوف بين ناب الأسد وطُفْرِهِ ؛ وهو يعلم أننا مع ذلك نرعى له حقوق أسلافه التي ماتوا عليها ، ونحفظ له خدمة آباءه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في الوصول إليها ؛ ونُجْريه وأهل بلاده نُجْري أهل ذمتنا الذين لا نُؤْيسهم من عفونا مهما استقاموا ، ونُسَلِّك بهم حُكْم من في أطراف البلاد من رعايانا الذين هم في قبضتنا نَزَحوا أو أقاموا ؛ ونحن نتحقق أنه ما بقي يَنْسَى ٥ ملازِمَةَ رِبْقَةِ الحُتَفِ خِناقَه ، ولا يَرْجِعُ يَهُورُ نَفْسَه في موارد الهلاك ، وهل يَرْجِعُ الى الموت [مَنْ] ذاقه ؟ فَيَسْتَدْرِكُ بَابَ الإِنَابَةِ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ دُونَهُ ، ويصون نفسه وأهله قَبْلَ أَنْ تَبْدُلَ السِّيُوفُ الإِسْلَامِيَّةُ مَصُونَهُ ، ويبادر الى الطاعة قَبْلَ أَنْ يَبْدُهَا فلا تُقْبَلَ ، وَيَتَمَكَّ بِأَذْيَالِ العفو قَبْلَ أَنْ تُرْفَعَ دُونَهُ فلا تُسَبَّلَ ؛ وَيُجَبِّلُ بِجَمَلِ أَمْوَالِ الْقَطِيعَةِ وَإِلَّا كَانَ أَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ فِي جَمَلَةٍ مَا يُجَبِّلُ مِنْهَا الْبِنَا ، وَيُسَلِّمُ مَفَاتِحَ مَا عَدَا عَلَيْهِ ١٠ مِنْ فُتُوحِنَا ، وَإِلَّا فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا وَجَمِيعَ مَا تَأَخَّرَ فِي بِلَادِهِ بَيْنَ يَدَيْنَا ؛ وَيَكُونُ هُوَ السَّبَبُ فِي تَمْزُقِ سَمْلِهِ ، وَتَفَرُّقِ أَهْلِهِ ، وَقُلْعِ بَيْتِهِ مِنْ أَصْلِهِ ؛ وَهَدْمِ كَنَائِسِهِ ، وَأَبْتِدَالِ نَفْسِهِ وَنَفَائِسِهِ ؛ وَاسْتِرْقَاقِ حَرَمِهِ ، وَاسْتِخْدَامِ أَوْلَادِهِ قَبْلَ خَدَمِهِ ؛ وَأَقْتِلَاعِ قِلاَعِهِ ، وَإِحْرَاقِ

(١) كذا في الأصل ؛ ومهما في هذه العبارة حرف بمعنى إن الشرطية ، وهو مذهب ضعيف ؛ وقد سبق

أن أَوْضَحْنَا ذَلِكَ فِي ت ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء . ١٥

(٢) يَهُورُ نَفْسَهُ ؛ يريد يُلْقِي بِهَا ، وهو مَنْ هَوَّرَهُ إِذَا صَرَعَهُ وَأَلْقَاهُ . وعبارة حسن التوسل :

« ولا يورد » .

(٣) عبارة الأصل : « المؤمنین فاقه » ؛ وفيه نقص وتحرّف ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا

وانظر حسن التوسل ص ٩٨ ط الوهية .

(٤) في الأصل : « وقد قلع » ؛ وقوله : « قد » زيادة من الناصح . ٢٠

(٥) في الأصل : « واستقلّاع » ؛ بين وتاء ؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من كتب اللغة .

رُبُوعه وِرْبَاعِه ، وتمعجِلِ رُؤْيَا ما أُوعِدَ به قَبْلَ سَمَاعِه ، ومن لَقَازَانِ بَأَنِ يَحِبَّ اِلى
مِثْلِ ذَلِكِ ، أَوْ يُسَمِّحَ لَهُ مَعَ الْأَمْنِ مِنْ سَيُوفِنَا بِبَعْضِ مَا فِي يَدِهِ مِنَ الْمَالِكِ ؛ لِيَقْنَعَ بِمَا
أَبْقَتْ جَيُوشُنَا الْمُؤَيَّدَةُ فِي يَدِهِ مِنَ الْخَلِيلِ وَالْحَوْلِ ، وَيَعِيشَ فِي الْأَمْنِ بِبَعْضِ مَا تُسَمِّحُ
لَهُ بِهِ ، وَمِنْ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ ؛ وَالسِّيُوفُ الْآنَ مُصَغَّيَةٌ اِلى جَوَابِهِ لَتُكْفَفَ اِنْ أَبْصَرَ سُبُلَ
الرِّشَادِ ، أَوْ تَتَوَضَّعَ بَرُءُوسُ حُمَاتِهِ وَكُتَاتِهِ عَنِ الْأَعْمَادِ اِنْ أَصْرَعَ عَلَى الْعَنَادِ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ .

وأما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلق بذلك — فالأحسن
فيها بَسْطُ الْكَلَامِ ، وَتُعْتَبَرُ كَثْرَتُهُ وَقِلَّتُهُ بِحَسَبِ الرَّتَبِ ، وَيَحِبُّ أَنْ يَرَاعَى فِيهَا أُمُورُ :

منها بَرَاعَةُ الْأَسْتِهْلَالِ بِذِكْرِ الرَّتَبَةِ أَوْ الْحَالِ ، أَوْ قَدْرِ النِّعْمَةِ ، أَوْ لِقَبِّ صَاحِبِ
التَّقْلِيدِ أَوْ أَسْمِهِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ الْمَطْلَعُ أَجْنَبِيًّا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، وَلَا بَعِيدًا مِنْهَا ،
وَلَا مَبَايِنًا لَهَا ، ثُمَّ يَسْتَصَحِبُ مَا يَنْسَبُ الْغَرَضُ وَيُوَافِقُ الْمَقْصِدُ مِنْ أَوَّلِ الْخُطْبَةِ

(١) الرِّبَاعُ بِكَسْرِ الرَّاءِ : جَمْعُ رِبْعٍ بَضْمُ أَوَّلِهِ وَفَتْحُ ثَانِيهِ ، وَهُوَ الْفَصِيلُ فِي أَوَّلِ الشَّجَرِ ؛ وَالْمُرَادُ
مَاشِيَتِهِ ، يَرِيدُ بِهِذِهِ الْعِبَارَةَ تَوَعُّدَهُ بِإِحْرَاقِ مَنَازِلِهِ وَأَمْوَالِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَعَدَهُ » بِإِسْقَاطِ الْهَمْزَةِ ؛ وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَثَمَةِ اللُّغَةِ وَجُوبُ إِثْبَاتِهَا فِي مِثْلِ هَذَا
الْمَوْضِعِ ؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : كَلَامُ الْعَرَبِ : وَعَدْتُ الرَّجُلَ خَيْرًا ، وَوَعَدْتُهُ شَرًّا ، وَأَوَعَدْتُهُ خَيْرًا وَأَوَعَدْتُهُ
شَرًّا ؛ فَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الْخَيْرَ قَالُوا : وَعَدْتُهُ وَلَمْ يَدْخُلُوا أَلْفًا ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الشَّرَّ قَالُوا : أَوَعَدْتُهُ وَلَمْ يَسْقُطُوا
الْأَلْفَ ؛ وَأَنْشِدَ لِعَامِرِ بْنِ الْعُظَيْلِ :

وَإِنِّي إِنِّ أَوَعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * لِأَخْلَفَ لِإِعْصَادِي وَأَنْجِزَ مَوْعِدِي

انظُرَا لِسَانَ وَشَرْحَ الْقَامُوسِ . وَالكَاتِبُ هُنَا لَمْ يَذْكُرِ الشَّرَّ ، فَلَزِمَ إِثْبَاتُ الْهَمْزَةِ كَمَا تَقْتَضِيهِ عِبَارَةُ
الْأَزْهَرِيِّ ؛ وَالَّذِي يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الْمَصْبَاحِ أَنَّهُ يُقَالُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ : وَعَدَهُ بِدُونِ أَلْفٍ سِوَا أَذْكَرِ الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ أَمْ لَمْ يَذْكُرَا ، وَالْفَارِقُ بَيْنَهُمَا الْمَصْدَرُ ، فَانَّهُ فِي الْخَيْرِ : الْوَعْدُ ، وَفِي الشَّرِّ : الْوَعْدُ .

(٣) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « وَمِنَ الْمَمُورِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الى آخرها ؛ قال : وَيَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ فِي التَّقْلِيدِ مَنَقَسِمًا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ
مُنْقَارِبَةِ الْمَقَادِيرِ ، فَالرُّبْعُ الْأَوَّلُ الْخُطْبَةُ ، وَالثَّانِي ذِكْرُ مَوْقِعِ الْإِنْعَامِ فِي حَقِّ الْمَقْلَدِ ،
وَذِكْرُ الرِّتَبَةِ وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا ، وَالثَّالِثُ فِي أَوْصَافِ الْمَقْلَدِ وَذِكْرُ مَا يَنَاسِبُ تِلْكَ الرِّتَبَةَ
وَيَنَاسِبُ حَالَهُ مِنْ عَدَلٍ وَسِيَاسَةٍ وَمَهَابَةٍ وَبُعْدِ صِيَتٍ ، وَشُمْعَةٍ وَشَجَاعَةٍ إِنْ كَانَ
نَائِبًا ، وَوَصْفِ الْعَدْلِ وَالرَّأْيِ وَحَسَنِ التَّدْيِيرِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ الْأَمْوَالِ ، وَعِمَارَةِ
بَلَدِهِ ، وَرِجَالِهِ ، وَمَا يَنَاسِبُ ذَلِكَ إِنْ كَانَ وَزِيرًا ؛ وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ رَتَبَةٍ
بِحَسَبِهَا ، وَالرَّابِعُ فِي الْوَصَايَا ؛

ومنها [أَنْ يُرَاعَى ^(١)] الْمُنَاسَبَةُ وَمَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ ، فَلَا يُعْطَى أَحَدًا فَوْقَ حَقِّهِ ،
وَلَا يَصِفُهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا يَرَادُ مِنْ مِثْلِهِ ، وَيُرَاعَى أَيْضًا مَقْدَارُ النِّعْمَةِ وَالرِّتَبَةِ ، فَيَكُونُ
وَصْفُ الْمِنَّةِ عَلَى مَقْدَارِ ذَلِكَ .

١٠

ومنها أَنْ لَا يَصِفَ الْمُتَوَلَّى بِمَا يَكُونُ فِيهِ تَعْرِضٌ بِالْمَعْزُولِ وَتَنْقُصٌ لَهُ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ مِمَّا يُوْغِرُ الصَّدُورَ ، وَيُؤْثِّرُ الضَّغَائِنَ فِي الْقُلُوبِ ، وَيُدَلُّ عَلَى ضَعْفِ الْآرَاءِ
فِي اخْتِيَارِ الْأَوَّلِ ، وَلَهُ أَنْ يَصِفَ الثَّانِيَّ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ الْمَقْصُودُ مِنْ غَيْرِ تَعْرِضٍ
بِالْأَوَّلِ ؛

ومنها أَنْ يَتَخَيَّرَ الْكَلَامَ وَالْمَعَانِي ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَتَشَبَّهُ بِالنَّحْوِ ، وَلَا يُعْذَرُ الْمُقْصِّرُ فِي ذَلِكَ
بِعَجَلَةٍ وَلَا ضَيْقِ وَقْتٍ ، فَإِنَّ جَمَالَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مُتَّبِعٌ ، وَابْتِغَاءُ تَظْهِرٍ فِي الْقَلِيلِ
وَالْكَثِيرِ ، وَالْأَمْرُ الْجَارِي فِي ذَلِكَ عَلَى الْعَادَةِ مَعْرُوفٌ ، لَكِنْ تَقَعُ أَشْيَاءٌ خَارِجَةٌ عَنِ
الْعَادَةِ ، نَادِرَةٌ الْوُقُوعِ ، فَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ فِيهَا إِلَى حَسَنِ التَّصَرُّفِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ ؛

(١) التَّكَلُّفُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ ص ١١٠ ط الوهية ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا يَعْجَل » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا أَنْظَرَ حَسَنِ التَّوَسُّلِ .

٢٠

فمن ذلك تقليدٌ ^(١) [من] إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي كتبته لمتملك سيسى بإقراره على ما قاطع النهر من بلاده ، وهو :

الحمد لله الذى خَصَّ أيا منا الزاهرةَ باصطناع ملوك الملل ، وفضَّل دولتنا القاهرةَ بإجابة من سأل بعض ما أحرزته لها البيضُ والأسل ، وجعل من خصائص ملكنا إطلاق الممالك وإعطاء الدُّول ، والمنَّ بالنفوس التى جعلها النصر لنا من جملة الخَوْل ، وأغرى عواطفنا بتحقيق رجاء من مَدَّ إلى عوارفنا كَفَّ الأمل ، وأفاض بمواهب نعمائنا على من أناب الى الطاعة حُلَّ الأمن بعد الوجَل ، وأنترع بالائنا [لمن تمسَّك بولائنا] ^(٢) أرواحَ رعاياه من قبضة الأجل ، وجعل برِّد العفو عنه عنهم بالطاعة نتيجة ما أذاقهم العصيان من حرارة الغضب ، إذ ربما صحَّت الأجسام بالعلل ، نحمده على نعمه التى جعلت عفونا من رجاء قريبا ، وكرمنا لمن دعاه بإخلاص الطاعة مُجيبا ، ورَّنا لمن أقبل اليه منيبا بوجه الأمل مُثيبا ، وبأسنا مصيبا لمن لم يجعل الله له فى التمسَّك بمراحمتنا نصيبا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تعصم دم من تمسَّك بذمامها ، وتحسِّم موادَّ من عاندها بانتقام حسامها ، وتفصِّم عُرا الأعناق ممن أطعمه الغرور فى انفصال أحكامها وأنفصامها ، وتقصِّم من قصد إطفاء ما أظهره الله من نورها ، وانقطاع ما قضاه من دوامها ، وتجعل كلمة حملتها هى العليا ، فلا تزال أعناقُ جاحديها فى قبضة أوليائها وتحت أقدامها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق الى كلِّ أمّة ، المنعوتُ فى الكتب المنزلة بالرأفة والرحمة ، المخصوصُ مع عموم المعجزات بنجسٍ منهنَّ الرعبُ الذى كان يتقدّمه الى من قصَّده ، ويسبقه مسيرة شهر الى ^(١) [من] أمّة ، المنصوصُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل السلى ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) التكملة عن حسن التوصل .

في الصحف المحكّمة على جهاد أمته، الذي لاهياة لمن لم يمتسك من طاعته بدمته؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا بدعوته الممالك، وأوضحوا بشيرته الى الله المسالك، وجلّوا بنور سنّته عن وجه الزمن كلّ حال حالك، وأوردوا من كفر برهم ورسليّه موارد المهالك، ووثقوا بما وعد الله نبيّه حين زوى له مشارق الأرض ومغاربها من أنّ ملكهم سيلبغ ما زوى الله له من ذلك؛ صلاة لا تزال الأرض لها مسجدا، ولا يبرح ذكرها مغيرا في الآفاق ومنجدا؛ ما استفتحت السنة الأسنة النصر بإقامتها، وأبادت أعداءها باستدامتها، وسلم تسليما كثيرا؛

وبعد، فإنه لما آتانا الله مُلْكَ البَسيطه، وجعل دعوتنا بأعنة ممالك الأقطار محيطه؛ ومكّن لنا في الآفاق، وأنصنا من الجهاد في سبيله بالسنة والفرص، وجعل كلّ يوم تُعرّض [فيه] جيوشنا من أمثلة يوم العرّض؛ وأطلّتنا بوادر الفتوح، وأظلت على الأعداء سبيوقنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح وأيدنا بالملائكة والروح، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة فانتصر بالأب والابن والروح؛ وألقت إلينا ملوك الأقطار السلم، وبذلت كرائم بلادها رغبة في الالتجاء من عفونا الى ظل أعلى من علم؛ وتوسّل من كان منهم يُظهِر الغلظة بالدلة والخضوع وتوسّل من كان منهم يُبْدى القوة بالإخلاص الذي رأوه لهم أقوى الجُنّ وأوقّ الدروع؛ عاهدنا الله تعالى ألاّ نردّ منهم آملا، ولا نصُدّ عن مشارع كرمنا ناهلا؛ ولا نخيّب من إحساننا راجيا، ولا نُجْلي عن ظلّ ربّنا لاجيا؛ علمنا أنّ ذلك شكرٌ للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل، ووثوقا بأنه حيث كان في قبضتنا كما نشاء

(١) كذا في الأصل السليبي. والذي في حسن التوسل ص ١١١: «الأرض»؛ وهو أظهر بدليل

ما يأتي في الفقرة بعده، ليتم به السجع الذي التزمه الكاتب في رسالته.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل السليبي؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل.

نجمع عليه الأنامل ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك اللّجئ للغلّ مُسرّاً ، وعلى عداوة الإسلام
مُصرّاً ؛ فيكون هو الجاني على نفسه ، والجاني على موضع رّسّه ؛ ولمّا كان من
تقدّم بالملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بجمال الغرور آماله ؛ وحسن
له التمسك بالتّار الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم ، مأسورون في حبائل
إدبارهم ؛ عاجزون عن حفظ مالديهم ، قاصرون عن ضبط ما استلبته سرايانا
المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا نار ، ومن يعلم أنه لا بد له
عندنا من خطّي خسف : إما القتل أو الإسار ؛ وحين تبادى المذكور في غيّه ، وحمله
الغرور على ركوب جواد بغيه ؛ أمرنا جيوشنا المنصورة بفحاست خلال تلك الممالك
وداست حوافر خيلها ما هنالك ، وسات في عموم القتل والأسرين العبد والحرّ
والمملوك والمالك ؛ وألحقت رواسي جبالهم بالصّعيد ، وجعلت حُماتهم كزروع
فلاتهم منها قائمٌ وحصيد ؛ فأسلمهم الشيطان ومّر ، وتركهم وفز ، وما كرم وما كتر
وأعلمهم أن الساعة موعدهم ”وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ“ وأخلفهم ما ضنّ لهم من العون
وقال لهم : ”إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ“ ؛ وكان الملكُ فلانُ ممن يريد طُرُق
النّجاة فلم ير إليها بسوى الطاعة سبيلا ، ويأمل أسباب النّجاح فلم يجد عليها غير
صدق الانتماء دليلا ؛ فأبصر بالخدمة موضع رّشده ، وأدرك بسعيه نافر سعيه ؛
وأراه الإقبال كيف تثبت قدمه في الملك الذي زلت عنه قدم من سلف ، وأظهر له
الإشفاق على رعاياه مصارع من أوردّه سوء تدبير أخيه موارد التّلف ، وعرفه
التمسك بإحساننا كيف آحتوت يده على ما لم يبق غضبنا في يد أخيه منه إلا الأسى
والأسف ؛ وحسنت له الثقة بكرمنا كيف يجلّ الطلب ، وعلمته الطاعة كيف
تُسْتَنْزَل عوارفنا عن بعض ما غلبت عليه سيوفنا وإنما الدنيا لمن غلب ؛ وأنتمي
إلينا فصار من خدّم أيامنا ، وصنائع إنعامنا ، وقطع علائقه من غيرنا ؛ فلجأ منا الى

٥

١٠

١١

٢

- ركن شديد، وظلّ مديد، ونصير عتيد؛ وحرّم يأوى إليه، وكرم تُقرّ نضارته
 ناظريه، وإحسان يُتمّعه بما أقرّه عطاؤنا في يديه، وأمتنان يضع عنه إصره والأغلّال
 التي كانت عليه؛ اقتضى إحساننا أن نُغضّ له عن بعض ما حلّت جيوشنا ذراه
 وحلّت سطاوت عساكرنا عُراه؛ وأضعفت عزّ مات سرايانا قواه، ونشرت طلائع
 جنودنا ما كان ستره صَفْحُنَا عنهم من عورات بلادهم وطواه؛ وأن نخوله بعض
 ما وردت خيولنا مناهله، ووطئت جيادنا غاربه وكاهله؛ وسلكت ثمّائنا فلكت
 دارسه وآهله؛ وأن نُبقّ مملكة البيت الذي مضى سلفه في الطاعة عليه، ويستمرّ
 مُلك الأرمن الذي أهمل السعى في مصالحه بيديه؛ ليتيمّن رعاياه به، ويعلموا أنهم
 أمِنوا على أرواحهم وأولادهم بسببه؛ ويتحقّقوا أن أنفالهم بحسن توصّله إلى طاعتنا
 قد خفّت، وأن بوادر الأمن بلطف توصّله إلى مراضينا قد أطافت بهم وخفّت
 ١٠ وأن سيوفنا التي كانت مجرّدة على مقاتلهم بجمل استعطافه قد كفتهم بأسنا وكفّت
 وأن سطاوتنا الحاكمة على أرواحهم قد عفّت [عنهم بملاطفته وعفّت^(٢)]؛ فرسم أن
 يُقلّد كيت وكيت من المملكة الفلانية، ويستقرّ بيده استقرارا لا ينازع في استحقاقه
 ولا يُعارض فيما سبق من إعطائه وإطلاقه؛ ولا يطالب عنه بقطيعه^(٣)، [ولا يُطلب
 منه بسببه غير طوية مخلصية ونفيس مطيعه]؛ ولا يخشى عليه يدا جائره، ولا سريّة
 ١٥ في طلب الغزّة سائره؛ ولا يطرُق كئاسه أسدُ جيوش مفترسه، ولا سباع نهاب
 محتلسه؛ بل تستمرّ بلاده المذكورة في ذمام رعايتنا، وحصانة عنايتنا؛ وكنف
 إحساننا، ووديعه برّنا وأمتناننا؛ لا تطمح إليها عين معاند، ولا يمتد إليها إلّا ساعد

(١) كذا في النسخة السلية لهذا الكتاب، وحسن التوصل ص ١١٢ ط الوهبة؛ وفي بعض نسخ

حسن التوصل: «أجل» بالجمع، والمعنى يخلف في كلتا الروايتين.

(٢) التكملة عن حسن التوصل؛ وسباق الكلام يقتضى إثباتها.

(٣) القطيعة: الضريبة.

مساعد، وعضدٌ مُعاضدٌ؛ فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه الى الطاعة وصان بإخلاص ولأنه نفسَه ونفائسَ بلاده من الإضاعة؛ وليقرن ذلك بإصفاء موارد المودَّة، وإضفاء ملبس الطاعة التي لا تزداد بحسن الوفاء إلا جدَّه؛ واستمرار المناصحة في السر والعلن، واجتناب المحادعة ما ظهر منها وما بطن، وأداء الأمانة فيما استقرَّ معه الخلف عليه، ومباينة ما يخشى أن يتوجه بسببه وجهه عتب إليه؛ واستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها، واستقامة أحوال هذه المنة برفض موجبات الكدر واجتنابها، وإخلاص النية التي لا تُعتبر ظواهرُ الأحوال الصالحة إلا بها.

٧٩

ومن تقليد كتبه المشار اليه أيضا لسلامش بمملكة الروم حين ورد كتابه يسأل ذلك قبل حضوره، أوله :

الحمد لله الذي أيدنا بنصره ، وأمّنا من جنود الظفر بما لم يؤت ملة في عصره ، وجعل مهابتنا قائمة في جهاد عدو الدين ، إن قرب مقام كسره ، وإن بعد مقام خصره ، ونشر دعوة ملكنا في الأفطار كلها اذا أقتصرت دعوة غيرنا من ملوك الأمصار على مصره ، وأنجد من نادانا بلسان الإخلاص من جنود الله وجنودنا بالجيش الذي لم تزل أرواح العدا بأسرها في أسره ، وعضد من تمسك بطاعة الله وطاعتنا من إجابة عساكرنا بما هو أقرب الى مقاتل عدوه من يبيضه المرهفة وشميره ، وأعاد بنا من حقوق الدين كل ضالة ملك ظن العدو أن أمره غالب عليها والله غالب على أمره ؛ فجنودنا الى نصرة من دعاها بالإيمان أقرب من رجع نفسه اليه ، وأسرع من ردّ الصدى جوابه عليه ؛ وأسبق الى عدو

(١) الحلف بكسر أوله وسكون ثانيه : العهد .

(٢) في الأصل : « ودي » ؛ وهو تحريف .

الدين من مواقع عيانه ، وأقْدَرُ على التصرف في أرواح أهل الشرك من تصرف
الكَيِّ في عِنايه ؛ وأَذْبُ عن حمى الدين من الجفون عن نواظرها ، وأَضْرَى على
نفوس المعتدين من أَسُودَ عَنَتِ الْفَرَائِسُ لِكُؤاسِرها ؛ قد عَوَّدها النصرُ الإلهيُّ
أَلَّا تَسْلُ ظُبابها فتُعَمِّدَ حتى تُسْتَبَاحَ مَمَالِكُ ، وَصَّيْنِ لها الوعدُ المحمديُّ أنها الطائفةُ
الذين لا يزالون ظاهرين الى يوم القيامة حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ؛ نجده
على نعمه التي لم نزل نصون بها حمى الدين ونصول ، ونقلدَ يمينها من بلأ إلينا سيف
نصر يصدع به ليل العدا ولو أن النجوم نُصول ، ونُورِدَ بأسمها من آتتصر بنا
مَوْرِدَ عزٍّ يُجْزِمُه لمُعُ الأُسنة فوقه ، فليس لظمآن من العدا إليه وُصول ؛ وبعد ، فإن
أولى من أَصْغَتْ عزائمنا الشريفة إلى نداء إخلاصه ، وأجابت مكارمنا العَميمةُ
دعَاءَ تَميِّزِه بالولاء واختصاصه ، وقابلت مَراسِمنا آتتصاره في الدين بالنَّفير لإعانتِه
على ما ظَفِرَ باقتلاعه من يد الكفر واقتناصه ، وتكفلت له مَهَابُتنا بالأمن على مُلك
مذ وسمه باسمنا الشريف يُئس العدوُّ من آستخلاصه ؛ وأجيبَت كُتُبُه في الاستنجاد
بسرْعانِ الكتَّابِ ، ولَمَّعَانِ القواضب ، وتَتَابَعُ أمداد جيوِشِنا التي تنوء بجملها كواهلُ
المشارك والمغارب ، وتَدْفِقُ أمواج عساكرنا التي تُنْشِدُ طلائعها ملوك العدا :

« أين الفرار ولا مفرَّ لهارب »

وَتَأْتِي بِرُوقِ النصرِ من خفق أليوتنا الشاهدة بأن قبيلنا

« إذا ما التقى الجمعان أولُ غالب » .

(١) في الأصل : « الفوارس » ؛ وهو تحريف ، وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا . والفرائس :

جمع فريسة . (٢) في الأصل : « يجزمه » بالجم والزاى المعجمتين ؛ وهو تصحيف .

(٣) سرعان الناس بفتح السين والراء : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، قاله الأصمعي فيمن يسرع

من العسكر . انظر تاج العروس .

ومنه :

وَقَوَّضْتُ إِلَيْهِ مَرَاتِمُنَا الْحُكْمَ فِي الرِّعَايَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَقَلَّدْتُهُ أَوْامِرُنَا مِنْ
عُقُودِ النَّظَرِ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ [مَا تَوَدَّ جِبَاهُ الْمُلُوكُ] ^(٢) لَوْ حَلَّتْ بِدُرِّهَا مَعَاقِدَ التَّيْجَانِ ،
وَعَلَّقَتْ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ مَا بَنَّا تَتَفَّذَ مَوَاقِعُهُ ، وَكَذَا الْأُمُورِ الْمَعْتَبَرَةُ لِاتِّفَظِّدَ الْإِبْطِلَانِ ؛
مَنْ أَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ ، وَهَدَاهُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فَأَصْبَحَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ،
وَأَرَادَ بِهِ خَيْرًا فَنَقَلَهُ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ إِلَى حِزْبِهِ ، وَأَتَقَذَهُ بِطَاعَتِهِ مِنْ مَوَارِدِ الْهَلَاكِ
بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَذِنَ بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَقَدْ خَسِرَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةَ
مَنْ أَذِنَ مِنْ اللَّهِ بِحَرْبِهِ ؛ وَأَيَّقَطَهُ مِنْ طَاعَتِنَا الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَى الْأُمَمِ لَمَّا أَبْصَرَهُ
رُشْدَهُ ، وَرَأَى قَصْدَهُ ، وَعَلِمَ بِهِ أَنَّ الَّذِي كَانَ فِيهِ كَسْرَابٌ بَقِيْعَةٌ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَأَنَّ
الَّذِي آتَقَلَّ إِلَيْهِ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ ؛ وَأَنَّهُضَهُ مِنْ مُوَالَاتِنَا بِمَا حَتَمَ بِهِ التَّهْوِضُ عَلَى كُلِّ
مَنْ كَانَ مُسْلِمًا ، وَأَخْرَجَهُ بِنُورِ الْهُدَى مِنْ عِدَادِ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ خَوْفُنَا "كَأَنَّمَا
أَغْشَيْتُ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنْ اللَّيْلِ مُظْلِمًا" ؛ وَأَرَاهُ الرُّشْدَ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْرَثَنَا
مُلْكَ الْإِسْلَامِ فَبِطَاعَتِنَا يَتِمُّ الْإِتْمَاءُ إِلَيْهِ ، وَأَعْطَانَا مَقَالِيدَ الْبَسِيطَةِ فَمَنْ أَغْتَصَبَ مِنْهَا
شَيْئًا أَتَرَعَهُ اللَّهُ لَنَا بِجَنُودِهِ الْمُسَوِّمَةِ مِنْ يَدَيْهِ ؛ فَلَجَأَ مِنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى الظَّلِّ الَّذِي
يَلْجَأُ إِلَيْهِ كُلُّ ذِي مَنَبَرٍ وَسَرِيرٍ ، وَرَجَا مِنْ كَرَمِنَا الْأَعْتَصَامَ بِجِيُوشِنَا الَّتِي مَا رَمَيْنَا بِهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَقَدَّرْتُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الزَّيَادَةُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ ص ١١٣ طَبْعُ الْوَهْبِيَّةِ ، وَاسْتِقَامَةُ الْكَلَامِ تَقْتَضِيهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « جَلَّتْ » بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَعَذَقْتُ » بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) لَمْ يَرِدْ هَذَا اللَّفْظُ فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ .

(٦) الْقِيْعَةُ بِكَسْرِ الْقَافِ : الْمُسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ ، أَشَارَ بِهِ هَذِهِ الْعِبَارَةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٌ بَقِيْعَةٌ يَحْسِبُهُ الطَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » .

- عدواً إلا ظن أن الرمال تَسِيل والجبال تَسِير؛ وَتَحْيِزُ مِنَّا إِلَى فِتْنَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْتَصَرَ بِسَيُوفِنَا الَّتِي هُوَ يَعْلَمُ كَيْفَ تَسْلُهَا عَلَى الْعِدَا الْأَحْلَامِ؛ وَمَتَّ إِلَيْنَا بِذِمَّةِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ عِنْدُنَا أَبَرُّ الذِّمِّ، وَطَلَبَ تَقْلِيدَهُ الْحَكَمَ مِنَّا مَنْ عُرِفَ بِإِعَادَتِهِ النُّظْرَاتِ الصَّادِقَةَ^(١) أَنَّهُ كَانَ يَحْسَبُ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمَ؛ وَعَقَدَ بِنَا بِنَاءَ رَجَائِهِ، وَهَلْ لِمُسْلِمٍ عَنْ مَلِكِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَعْدِلٍ؟ وَأَنْزَلَ بِنَا رِكَائِبَ آمَالِهِ، وَهَلْ بَعْدَ رَامَةِ لِمَرَامٍ مِنْ مَنَزَلٍ؟ فَتَلَقَّتْ نِعْمُنَا كِرَائِمَ قَصْدِهِ بِالْتَّرْحِيبِ، وَأَحَلَّتْ وَفَادَةَ آتِمَائِهِ بِالْحَرَمِ الَّذِي شَأُوهُ بَعِيدٌ وَنَصْرُهُ قَرِيبٌ؛ وَتَسَارَعَتْ إِلَى نُصْرَتِهِ جُنُودُنَا الَّتِي أَيَّامُهَا مَشْمُورَةٌ فِي عُدُودِهَا، وَأَثَارُهَا مَشْكُورَةٌ فِي رَوَاحِهَا وَعُدُودِهَا، وَأَعْلَامُهَا مَنْصُورَةٌ فِي آتِرَاحِهَا وَدُنُودِهَا؛ وَتَابَعَتْ يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا تَتَابِعَ الْغَامِ الْمُتَرَكِّمِ، وَالْمَوْجِ الْمُتَسَلِّطِ؛ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ الْقَرِيبِ مِنَ الْأَمَدِ الْبَعِيدِ، وَتَعَلَّمَ بِوَادِرِهَا أَنَّ طِلَاعَهَا عِنْدَهُ وَسَاقَتُهَا بِالصَّعِيدِ؛ وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَرَادَ، وَوَطَّدَ لَهُ بَعْنَايَتِهِ أَرْكَانَ الرِّشَادِ؛ وَجَعَلَ لَهُ بَعْدَ الْجَهْلِ بِهِ عِلْمًا، وَتَدَارَكَهُ بِرَحْمَتِهِ، فَمَا أَمْسَى لِلْإِسْلَامِ عَدُوًّا حَتَّى أَصْبَحَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ لَهُ سَلَامٌ؛ "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا"، وَبِكْرَمِ الْعَمِيمِ فَلْيَفْسَحُوا صُدُورَهُمْ وَيَسْرَحُوا، وَبِإِرْشَادِهِ الْجَلِيِّ وَهْدَايَتِهِ فَلْيَدْعُوا قَوْمَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَيَنْصَحُوا؛ وَحِينَ وَصَّحَتْ لَهُ هَذِهِ الطَّرِيقُ أَرْشَدَتْهُ مِنْ خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَدَلَّتْهُ عَلَى

(١) فِي الْأَصْلِ: «مِنْ مَعَادِنِهِ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ وَحَسَنِ التَّوَسُّلِ: «بِإِدَارَتِهِ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَاهِمَا؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي

مَا أَثْبَتْنَا إِذْ بَقِيَ الْكَلَامُ تَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ حُلُّ لَبِيتِ الْمُتَنَبِّيِّ وَهُوَ:

أَعْيِذُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً * أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمَ.

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ؛ وَالَّذِي فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ: «لِمُرْتَادٍ»؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ.

(٤) فِي الْأَصْلِ: «أَسْمَانُهُ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

مُوالاةِ مَلِكِ الإسلامِ التي من لم يَتَمَسَّكْ [بها] فقد فارق الجماعة ؛ فإن الله تعالى قَرَنَ طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعة أولى الأُمُر ، وَحَثَّ على ملازمة الجماعة في وقت يكون المتمسك فيه بدينه كالقابض على الجمر ؛ وهذا فِعْلٌ من أراد الله به خيرا ، وسعى من يُحْسِنُ في دين الله سيرةً وسَيرًا ؛ ولذلك أَقْتَضَتْ آراؤنا الشريعةُ إِمضاءَ عزمه على الجهاد بالإيجاد ، وإنفاذَ سهمه في أهل العناد بالإسعاف والإسعاد ؛ وأرسلنا الجيوش الإسلامية كما تَقَدَّم شرحه يَطشون الصَّحاح ، وَيَسْتَقِرُّون المَدَى النازح ، وَيَأْخُذُونَ كُلَّ كَيْفٍ فلو أَسْتَطَاعَ السَّامَكُ لم يَتَسَمَّ بالراح ، وَيَحْتَسِبُونَ الشُّقَّةَ في طابِ عَدُوِّ الإسلامِ علما أنهم لَا يُنْفِقُونَ نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعون واديا إِلَّا كُتِبَ لَهُم به عَمَلٌ صَالِحٌ ؛ فَرُسِمَ بالأمر الشريف — لَا زَالُ يَهَبُ الدَّوَلُ ، وَيَقْلُدُ أَجْيَادَ الْعِظَاءِ مَا تَوَدَّ لو تَحَلَّتْ بَعْضُ فَرَائِدِهِ تِيجَانُ الْمُلُوكِ الْأَوَّلُ — أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الْمَالِكِ الْفَلَانِيَةِ تفويضًا يصون به قِلَاعَهَا ، [وَيُصَوِّلُ بِمَهَابَتِهِ عَلَى مَنْ حَاوَلَ أَنْتَرَاعَهَا مِنْ يَدِهِ وَأَقْتَلَاعَهَا] ؛ وَيُجْرِيهَا عَلَى [مَا] أَلْفَتْ مَمَالِكُنَا مِنْ أَمْنٍ لَا يُرَوِّعُ سِرُّهُ ، وَلَا يَكْدِّرُ شَرُّهُ ؛ وَلَا يُوجَدُ فِيهِ بَاغٌ تُخَافُ السَّبِيلُ بِسَبَبِهِ ، وَلَا مَنْ يَجْرُدُ سَيْفَ بَغْيٍ وَإِنْ جَرَّدَهُ قُتِلَ بِهِ ؛ وَلِيَحْفَظُ مِنَ الْأَطْرَافِ مَا أَسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ وَهَذَا التَّقْلِيدُ الشَّرِيفُ حِفْظُهُ ، وَلِيَعْمَلَ فِي قِتَالِ مُحَارِبِيهِ مِنَ الْعِدَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ١١٤ طبع الوهية .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ليم بها السجع الذي ألزمه الكاتب

في رسالته .

(٣) في الأصل : « على ألفت » بدون « ما » والسباق يقضي إثباتها .

ومنه : وَلَيَعْلَمُ أَنَّ جِيوشَنَا فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهِ مَتَى قَصَدْتُ عَدُوًّا سَابَقْتُ خِيَوْمَهَا خِيَامَهَا ، وَجَارَتْ جِيَادُهَا ظِلَالَهَا ، وَأَنْفَتُ سَنَابِكُهَا أَنْ تَجْعَلَ غَيْرَ جَاهِمِ الْأَعْدَاءِ نَعَالَهَا ؛ وَهَاهِي قَدْ تَقَدَّمْتُ وَنَهَضْتُ لِإِنْجَادِهِ ، فَلَوْ سَامَهَا أَنْ تَخْوُضَ الْبَحَارَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَاضْتُ ، أَوْ تَصِيدَ الْجِبَالَ لَصَدَمْتُ .

ومنه : وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ مُهِمَّةُ الْمَقْدَمِ ، وَأَمْرُهُ السَّابِقُ عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَ ؛ فَلْيُعِلْ مَنَارَهُ ، وَيَسْتَشِفِّ مِنْ أُمُورِهِ أَنْوَارَهُ ؛ وَيُنْفِذْ أَحْكَامَهُ ، وَيَعَاضِدْ حُكْمَهُ ؛ وَمَنْ عَدَلَ عَنْ حُكْمِهِ مَعَانِدًا ، أَوْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ أَحْكَامِهِ جَاهِدًا ؛ فَقَدْ بَرِثَ الْأَذْمَةَ مِنْ دِمِهِ حَتَّى يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَيَرْجِعَ عَنْ عُنَادِهِ وَيُئَيِّبَ إِلَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ” وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ “ .



١٠ . وَأَمَّا الرِّسَالُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَوْصَافَ السِّلَاحِ وَأَلَاتِ الْحَرْبِ وَأَوْصَافَ الْخَيْلِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنْوَاعِ الرِّيَاضَاتِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَالْكَاتِبُ فِيهِ مَطْلَقُ الْعِنَانِ ، مُحَلٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَصَاحَتِهِ ، مُوَكَّلٌ إِلَى آطْلَاعِهِ وَبَلَاغَتِهِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَوْصَافِ السِّلَاحِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ يَرِيدُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْخَيْلُ وَالْجَوَارِحُ وَمَا يَلْتَحِقُ بِذَلِكَ مِنْ الْفُهُودِ وَالضُّوَارِي فَلَا غُنَيْسَةَ ^(١)

١٥ . لِلْكَاتِبِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ جِيَادَهَا ، وَالْأُمَارَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى فَرَاحَتِهَا ، وَكُلِّ طَيْرٍ مِنَ الْجَوَارِحِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْطَالَتِهِ ، وَكِفَايَةِ فِعْلِهِ ، وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ؛ وَسُنُودَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي فَنِّ الْخِيَوَانِ الْإِصَابَةِ - وَهُوَ آلْفَنُ الثَّالِثُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ - مَا يَقْتَضِي الْكَاتِبُ بِمَثَالِهِ ، وَيَنْسِجُ عَلَى مَنَوَالِهِ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . قَالَ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ مَادَّةُ « لَاقَ » : وَقَوْلُهُمْ : ” ائْتَحِقْ بِهِ “ ، أَيْ لَاقَ ،

مَوْلِدَةً ، قَالَ الصَّاعِقَانِي : لَمْ أَجِدْهُ فِيهَا دُونَ مَنْ كَتَبَ اللُّغَةَ ، فَلْيَجْتَبِ ذَلِكَ أَهْ .

وأما الرسائل التي تُعمل رياضةً للفواطر وتَجَرِبَةً للقرائح، كالمفاحرات بين الفواكه والأزهار، ووصف الرياحين والأنهار والغدران والسَّواقِ والحدائق والبحار والمراكب وأمثال ذلك، فقد تقدّم منها في الفن الأول من هذا الكتاب ما وقفت أوتقف عليه، وسُورِدَ منها إن شاء الله تعالى في آلفن الرابع في النبات ما تجده هناك .

وأما الرسائل الإخوانية وما يَجَدُّدُ من الأمور وَيَطْرَأُ من الحوادث وغير ذلك، فسُورِدَ إن شاء الله تعالى منها في هذا الباب ما أختبناه من رسائل المُكَّابِ والبُلغاءِ المُشارِقةِ والمُعَارِبةِ على ما تقف عليه؛ ولنبداً من ذلك بذكر شيء من كلام الصحابة والصدور الأول .

١٠ ذكر شيء من الرسائل المنسوبة إلى الصحابة رضي الله عنهم

والتابعين وشيء من كلام الصدر الأول وبلاغتهم

قدّمنا أن الكاتب يحتاج في صناعته إلى حفظ مخاطبات الصحابة رضي الله عنهم، ومحاوراتهم ومراجعاتهم، فأحببنا أن نُورِدَ من ذلك في هذا الموضع ما يستقف إن شاء الله عليه ؛

١٥ فمن ذلك الرسالة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق إلى عليّ، وما يتصل بها من كلام عمر بن الخطاب وجواب عليّ رضي الله عنهم، وهذه الرسالة قد أعتنى الناس بها وأوردوها في [الجامع]، ومنهم من أفردوها في جزء، وقطع بأنها من كلامهم رضي الله عنهم، ومنهم من أنكروا ونفاها عنهم، وقال : إنها موضوعة، واختلف القائلون بوضعها، فمنهم من زعم أن فضلاء الشيعة وضعوها، وأرادوا بذلك الاستناد إلى

(١) [أن] علياً بن أبي طالب رضى الله عنه إنما بايع أبا بكر الصديق بسبب ما تضمنته ؛ وهذا الاستناد ضعيف ، وحجة واهية ، والصحيح أن علياً بن أبي طالب رضى الله عنه بايع بيعة رضى باطنه فيها كظاهره ، والدليل على ذلك أنه وطئ من السبي الذى سبي في خلافة أبي بكر ، وأستولد منه محمد بن الحنفية ، ولا جواب لهم عن هذا ؛ ومنهم من زعم أن فضلاء السنة وضعوها ، والله أعلم ؛ وعلى أجملة فهذه الرسالة لم نوردتها في هذا الكتاب إثباتاً لها أنها من كلامهم رضى الله عنهم ولا نفيًا ، وإنما أوردناها لما فيها من البلاغة ، وأتساق الكلام ، وجودة الألفاظ ، وها نحن نوردتها على نص ما وقفنا عليه

قال أبو حيان علي بن محمد التوحيدى البغدادى :

(٨٧)

- ١٠ سمعنا ليلة عند القاضي أبي حامد بن بشر المروذى ببغداد ، فتصرف في الحديث كل متصرف — وكان غزير الرواية ، لطيف الدراية — بجرى حديث السقيفة ، فركب كل مراكبا ، وقال قولاً ، وعرض بشيء ، ونزع إلى فن ؛ فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنهما وجواب علي عنها ، ومبايعته إياه عقب تلك المناظرة ؟ فقال الجماعة : لا والله ، فقال : هي والله من بنات الحقائق ، ومحبات الصنادق ، ومنذ حفظتها مارويتها إلا لأبي محمد المهلبى في وزارته ، فكتبها عني بيده ، وقال : لا أعرف رسالة أحقل منها ولا أئين ، وإنها لتدل على علم وحلم وفصاحة ونباهة ، وبُعْدِ غور ، وشدة غوص ؛ فقال له
- ١٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : « عزيز » ؛ وهو تصحيف .

العباداني : أيها القاضي ، لو أتممت المنّة علينا بروايتها سمعناها ، فنحن أوعى لها عنك ^(٢)
 من المهلب ، وأوجب ذماما عليك ، فاندفع وقال : حدثنا الخزاعي بمكة ، عن ^(٣)
 أبي ميسرة قال : حدثنا محمد بن فليح عن عيسى بن داب [نبا صالح بن كيسان ^(٤)
 ويزيد بن رومان ، قالوا : حدثنا هشام بن عروة ، نبا] أبو النخاس ^(٥) قال : سمعت ^(٦)

(١) العباداني : نسبة الى عبادان ؛ وعبادان : موضع منسوب الى عباد بن حصين الحبلى لأنه ٥
 أقول من رابط به فنسب إليه بزيادة الالف والنون على طريقة أهل البصرة ونواحيها في النسبة ، فإنهم
 اذا سموا موضعا ونسبوه الى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفا ونونا ، كة ولهم في قرية عددهم منسوبة الى
 زياد بن أبيه : زيادان ، وأخرى الى عبد الله : عبد اللبان ، وأخرى الى بلال بن أبي بردة : بلالان ،
 وعبادان هذه تحت البصرة قرب البحر الملح ، فإن دجلة اذا قاربت البحر انفرقت فرقتين عند قرية تسمى
 المحرزي : ففرقة يركب فيها الى ناحية البحرين نحو بر العرب ، وهي اليمنى ؛ فأما اليسرى فيركب فيها الى ١٠
 سيزاف وجنابة فارس ، فهي مثلثة الشكل . وعبادان في هذه الجزيرة التي بين النهرين ، وهي موضع
 ردى . سيخ لا خير فيه ، وماؤه ملح ، وفيه مشهد لعل بن أبي طالب رضى الله عنه . ١٠ ملخصا من يا قوت
 ج ٣ ص ٥٩٨ طبع جوتنجن .

(٢) في صبح الأعشى : «سمعناها» بصيغة الأمر ؛ والمعنى يستقيم على كليهما .
 (٣) كذا في صبح الأعشى ؛ والذي في الأصل : «ابن أبي ميسرة» ؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من ١٥
 الكتب المدونة في أسماء الرواة .

(٤) في الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٧ طبع المطبعة الأميرية : «ابن أبي فليح» ؛ ولم نقف
 عليه فيما بين أيدينا من المطان ، وما أثبتناه عن خلاصة تذهيب التهذيب للجزرجى وغيرها .
 (٥) كذا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٩٣ طبع مطبعة الحلبي ، والمشتبه في أسماء ٢٠
 الرجال ، وتاج العروس مادة داب ، وغير ذلك من المصادر ؛ والذي في الأصل : «ابن ذؤاب» ، ولم نقف
 عليه فيما لدينا من المطان .

(٦) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وبها يستقيم السند انذار محاضرة الأبرار لابن العربي ج ٢
 ص ١٠٣ طبع السعادة .

(٧) وكذا وردت هذه الكنية في محاضرة الأبرار لابن العربي المحفوظ منها نسخة مخطوطة ٢٥
 بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٨ أدب م وكذلك في النسخة المطبوعة طبع السعادة السالفة الذكر ، ووص
 فيها على أن أبا النخاس مولى أبي عبيدة بالنون والفاء . والذي في الأصل : «ابن المتاح» ؛ ولم نقف عليه
 فيما لدينا من المطان .

- مولاي أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار بعد فتنه كاد الشيطان بها ، فدفع الله شرها ، ويسر خيرها ، بلغ أبا بكر عن عليّ تلکذو وشماس ، وتهتم ونفاس ، فکره أن يتحدى الحلال فتبدو العوره ، وتشتعل أبحره ، وتفرق ذات البين ، فدعاني ، فحضرت في خلوة ، وكان عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحده ، فقال : يا أبا عبيدة ، ما أئین ناصيتك ، وأئین الخیر بین عیدک ، وطالما أعزّ الله بك الإسلام ، وأصلح شأنه على يدك ، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط ، وأحلّ المغبوط ، ولقد قال فيك في يوم مشهود : ” لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة “ ولم [تزل] ^(٢) للدين ملتجأ ، وللمؤمنين مرنجى ، ولأهلك رक्षा ، ولإخوانك رداء ؛ قد أردت لك لأمر له خطر مخوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ؛ ولئن لم يندمل جرحه بيسارك ورفقك ، ولم تجب حيت برفينك ، فقد وقع آلياس ، وأعضل البأس ؛ واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمر منه وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ؛ والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يدك ، فئات له يا أبا عبيدة ، وتلطّف فيه ، وأنصح لله عزّ وجلّ ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العصابة غير آل جهمدا ، و[لا] قال حمدا ؛ والله كاللک وناصرک ، وهادیک ومبصرک ، إن شاء الله ؛ امض إلى عليّ وأخفّض له جناحك ، وأغضّص
- ٥
- ١٠
- ١٥

(١) يقال : تهتم فلان الشيء ، إذا طلبه ، والمراد هنا طلب الخلافة . وفي رواية : ” تهتمهم “ ،

وهو الكلام الخفي ؛ والمعنى يستقيم على ذلك أيضا . والتماس : المنافسة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها انظر صريح الأعشى ج ١

ص ٢٣٨ طبع المطبعة الأميرية .

(٣) كذا في الأصل ؛ وفي رواية : ” بيسارك “ ؛ انظر محاضرة الأبرار ج ٢ ص ١١١ طبع

السعادة في تفسير هذه الرسالة . والمسبار ؛ فنبيل يدخل في الجرح ليعرف كم عمقه ؛ يقال : سبرت الجرح إذا اخترته بالمسبار .

عنده صوتك ، وأعلم أنه سُلالةُ أبي طالب ، ومكانه مَن فَقَدناه بالأُمس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له : البحرُ مَغرَقه ، والبرُّ مَفرَقه ، والجوُّ أَكَلَف^(١) ، واللَّيلُ أَغْدَف^(١) ، والسماءُ جَلَواء ، والأرضُ صَلَواء ، والصُّعودُ متَعَدِّر ، والهبوطُ متَعَسِّر ، والحقُّ عَطُوف رَءُوف ، والباطلُ عنوف عسوف ، والمُعْجَبُ قَدَاحَة^(٣) الشرِّ ، والضَّغْنُ رائد البوار ، والتعريضُ سِجَالُ الفتنَة ، والقِحةُ ثَقُوبُ العداوة ، وهذا الشَّيْطَانُ مَتَكَيُّ على شِمَاله ، مُتَجَبِّلٌ بِيَمِينه ، نَافِخٌ حِصْنِيه لِأَهْلِه ، يَنْتَظِرُ الشَّتَاتَ والفُرْقَة ، وَيَدِبُ بين الأُمَّة بالشَّحْناء والعداوة ، عنادا لله عز وجلَّ أَوَّلًا ، ولآدَمَ ثانيا ، ولنبيِّه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثا ، يُوسِسُ بالفُجُور ، ويُدلي بالفُرُور ، وَيُغَيِّى أَهْلَ الشُّرُور ، يُوحى إلى أوليائه زُخْرَفَ القول غُرُورا بالباطل ، دَابَّا له منذ كان على عهد أبينا آدَمَ صلى الله

(١) الأكلف من الكلف ، وهولون بين السواد والحمرة . وأغدف الليل : أرخى سدوله وأظلم ، ولم نعر عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة إلا فعلا . وفي محاضرة ابن العربي ج ٢ ص ١٠٤ طبع السمادة : « أغلف » باللام ، وذكر في تفسيره ص ١١١ أنه الشديد الظلمة اه كنى بهذا عن اشتباه الأمور وخفاء طرق الهداية .

(٢) كذا في الأصل وغيره من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ، ولم نقف على هذه الصيغة فيما لدينا من كتب اللغة .

(٣) القداحة بتشديد الدال : هجر الزند .

(٤) السحال : جمع سيجل بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهو الدلو العظيمة .

(٥) الثقوب بفتح الثاء : ما تشعل به النار من دقاق العيدان . والذي في الأصل : « ثقوف » بالفاء الموحدة ، وهو تحريف .

(٦) المتجبل بتشديد الباء الموحدة : المتصيد بالحيلة ، وفي الأصل : « متجبل » بالياء المتناة ، وهو تصحيف .

(٧) قال في اللسان مادة « فغخ » في تفسير هذه العبارة : أى متفخ ، مستعد لأن يعمل عمله من الشراه . وفي الأصل وصيغ الأفعلى ج ١ ص ٢٣٨ : « خصيبه » : وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن شرح نهج البلاة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٩٣ طبع مطبعة الحلبي . وفي النهاية لابن الأثير : « نالغ حصنيه » بالجيم ؛ وقال في تفسيره : كنى به عن التعاطف والتكبر والخيلاء .

عليه ، وعادة له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا منجى منه إلا بعض
 الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووطئ هامة عدو الله بالأشد فلا أشد ،
 والآكد فالأكّد ، وإسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه ؛ ولا بد الآن من
 قول ينفع اذا ضرّ السكوت وخيف غيبه ، واقد أرشدك من أفاء ضالتك ، وصافك
 من أحياء مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك ، ما هذا الذي تُسوّل
 لك نفسك ، ويدوى به قلبك ، ويتوى عليه رأيك ، ويتخاوص دونه طرفك ، ويسرى
 فيه طعنك ، ويترادف معه نفسك ، وتكثر عنده صعداؤك ، ولا يفيض به أسانك ؟
 العجمة بعد إفصاح ؟ أتليس بعد إيضاح ؟ أدين غير دين الله ؟ أخلق غير خلق
 القرآن ؟ أهدي غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أمثلي تمشي إليه الضراء وتدب
 له الخمر ؟ أو مثلك يتقبض عليه الفضاء ويكسف في عينه القمر ؟ ما هذه القعقة
 بالشنان ؟ وما هذه الوعنة باللسان ؟ إنك والله جدد عارف باستجابتنا إلى الله عز
 وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا
 وأحبّتنا لله عز وجل ولرسوله ونصرة لدينه ، في زمان أنت فيه في كن الصبا ،

(٨٣)

(١) يدوى : من الدوى بفتح الواو ، وهو داء باطن في الصدر .

(٢) اتخاوص : غض البصر مع تحديق كمن يقوم سهما .

(٣) قال في اللسان مادة ضرا : يقال للرجل اذا ختل صاحبه ومكر به : هو يدب له الضراء ويمشي
 له الخمر ، ويقال : لا أمشي له الضراء ولا الخمر ؛ أى أجاهره ولا أخائله ؛ والضراء الاستخفاء . ثم قال
 بعد ذلك فلا عن ابن شميل : ما وارك من شيء وادرات به فهو خمر .

(٤) نقل عن ثعلب أن الأجود أن يقال : كسفت الشمس ، وخسف القمر انظر اللسان والمصباح

مادة «خسف» .

(٥) قال في اللسان مادة قمع : وفي المثل فلان لا يقمع له بالشنان ، أى لا يخدع ولا يروع ، وأصله

من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع .

(٦) عبارة صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٩ «هجرة الى الله» الخ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

وَحَدَرَ الْقَرَارَةَ، وَعُنُقُونِ الشَّيْبَةَ [غافلاً عما] ^(١) يُشِيبُ وَيُرِيبُ ^(٢)، لَا تَعَى مَا يُرَادُ وَيُسَادُ،
وَلَا تُحْصَلْ مَا يَسَاقُ وَيَقَادُ، سَوَى مَا أَنْتَ جَارٍ عَلَيْهِ إِلَى غَايَتِكَ الَّتِي إِلَيْهَا عُدِلَ بِكَ،
وَعِنْدَهَا حُطٌّ رَحْلُكَ، غَيْرَ مَجْهُولِ الْقَدْرِ، وَلَا مَجْهُودِ الْفَضْلِ، وَنَحْنُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ
نَعَانِي أَحْوَلاً تُزِيلُ الرِّوَاثِي، وَنَقَاسِي أَهْوَالاً تُشِيبُ النَّوَاصِي؛ خَائِضِينَ غِمَارَهَا،
رَاكِبِينَ تَيَّارَهَا؛ تَجْتَزِعُ صَابَهَا، وَتُشْرِجُ عِيَابَهَا ^(٣)؛ وَنُحْكِمُ آسَاسَهَا، وَنُبْرِمُ أَمْرَاسَهَا؛
وَالْعِيُونَ تُحَدِّجُ بِالْحَسَدِ، وَالْأَنْوُفُ تَعْطُسُ بِالْكِبَرِ، وَالصُّدُورُ تَسْتَعِرُ بِالْغَيْظِ،
وَالْأَعْنَاقُ تَتَطَاوَلُ بِالْفَخْرِ، وَالشَّفَارُ تُشْجَدُ بِالْمَكْرِ، وَالْأَرْضُ تَمِيدُ بِالْخَوْفِ، لَا نَنْتَظِرُ
عِنْدَ الْمَسَاءِ صَبَاحًا، وَلَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مَسَاءً ^(٤)، وَ[لَا] نَدْفَعُ فِي نَحْرِ أَمْرٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ
نَحْسُوَ الْمَوْتَ دُونَهُ، وَلَا نَبْلُغُ مُرَادًا إِلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ جَرِّ الْعَذَابِ مَعَهُ، وَلَا نُقِيمُ
مَنَارًا إِلَّا بَعْدَ الْإِيَّاسِ مِنَ الْحَيَاةِ عِنْدَهُ، فَادِينِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِالْأَبِّ وَالْأُمِّ، وَالْخَالِ وَالْعَمِّ، وَالْمَالِ وَالنَّشَبِ، وَالسَّبَدِ وَاللَبَدِ، وَالْهَلَّةِ وَالْبَلَّةِ ^(٥)،
بَطِيبِ أَنْفُسٍ، وَفُتْرَةِ أَعْيُنٍ، وَرُحْبِ أَعْطَانٍ، وَتَبَاتِ عِزَائِمٍ، وَصِحَّةِ عُقُولٍ، وَطَلَاقَةِ
أَوْجُهُ، وَذَلَاقَةِ أَلْسُنٍ؛ هَذَا مَعَ خَفِيَّاتِ أَسْرَارٍ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارٍ كُنْتَ عَنْهَا غَافِلًا،

(١) التكملة عن صبح الأعشى؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

(٢) عبارة الأصل : «تسب وتغيب» ، وهو تحريف ؛ وقوله : «ويريب» ، هو من رابى الأمر وأرابى ، إذا رأيت منه ما تكره .

(٣) أشرح العيبة وشرحها بدون همز : شد عراها .

(٤) التحديق بالجم : التحديق . وفى الأصل : «تخدع» بالخاء والعين ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «وتدفع» بدون «لا» ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٦) السبد والبد : تناية عن القليل والكثير ؛ وأصل السبد : الوبر ، والبد : الصوف المتلبد .

(٧) يريد بالهلة والبللة كل شئ . والعرب تقول : ما أصاب هلة ولا بللة : أى شيئاً ، ويقال : جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بللة ؛ قال ابن السكيت : فالهلة من الفرح والاستهلال ، والبللة من البلل والخير .

ولولا سِنُّكَ لم تكن عن شيء منها ناكلاً ؛ كيف وفؤادُكَ مشهورٌ ، ^(١) وفؤادُكَ معجومٌ !
والآن قد بلغَ اللهُ بكَ ، وأنهُضْ الخيرَ لك ، وجَعَلَ مرادَكَ بين يديكَ ، وعن عِلْمِ
أقول ما تسمع ؛ فأرتَقِبْ زمانَكَ ، وقُلِّصْ أرْدانَكَ ؛ ودَعِ التَّقَعُّسَ ^(٢) والتَّجَسُّسَ ^(٣) لمن
لا يظَلَمُ لك إذا خطَا ، ولا يترجَحُ عنكَ إذا عَطَا ؛ فالأمرُ غَضٌّ ، والنفوسُ فيهِ مَصٌّ ؛
وإنَّكَ أَدِيمٌ هذه الأُمَّةُ فلا تَحْلَمْ لجأجا ، وسيفُها العَضْبُ فلا تَنْبُ أعوجاجا ، وماؤها
العَذْبُ فلا تَحُلْ أجاجا ؛ والله لقد سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن هذا
الأمرِ فقال لي : ” يا أبا بكر ، هو لمن يَرِغب عنه لا لمن يَجَاحشُ عليه ، ^(٤) ولمن
يَتَضاعَلُ عنه لا لمن يَتَفَجَّحُ ^(٥) إليه ، هو لمن يقال : هو لك ، لا لمن يقول : هو لي “ ولقد
شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصَّهرِ ، فدَكَرَ فتَيَّانا من قريش ، فقلتُ :
أين أنت من علي ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إني لأكره لفاطمة مِيعَةَ شَبابِهِ ،
وحدانَةَ سِنِّهِ ، فقلتُ له : متى كَتَفْتَهُ يَدُكَ ، ورعته عَيْنُكَ ، حَقَّتْ بهما البركة ،
وأُسِفْتُ عليهما النعمة ، مع كلام كثير خاطبته به رغبةً فيكَ ، وما كنتُ عَرَفْتُ
منكَ في ذلك حَوَّجاً ولا لَوَّجاً ، فقلتُ ما قلتُ وأنا أرى مكانَ غيرِكَ ، وأجد

(١) المشهور : الدكي الفؤاد المتوقد ، كالشمس .

(٢) التقلُّص : التشمير .

(٣) البَقْعَس : التأخر ، كالقضاءس .

(٤) المض : الألم والحزن .

(٥) حلم الجلد : وقع فيه الحلم بفتح اللام ، وهو دود يقع في الجلد فيأكله ، فاذا دبغ وهو موضع
الأكل منه ؛ يريد أنه الذي يجتمع به شمل الأُمَّة وتصان به أمورُها ، وإذا فسد تفرق ما كان مجتمعاً معها

كالأديم الذي يصان به سائر البدن .

(٦) يجاحش : يدافع .

(٧) الانتفاج : الارتفاع ، أو هو مستعار هنا من قولهم : انتفجت الأرب إذا وثبت ، ومعنى

العبارة يستقيم على كلا التفسيرين .

رائحة سواك، وكنتُ إذ ذاك خيرا لك منك الآن لى؛ ولئن كان عَرَضَ بك رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فلم يكن مُعْرِضاً عن غيرك، وإن كان قال فيك
فما سَكَتَ عن سواك، وإن تَلَجَّجَ في نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَلُمَّ فَالْحَكْمَ مَرِضِي، والصوابُ
مسموع، والحقُّ مُطاع؛ ولقد نُقِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما عند الله
عزَّ وجلَّ وهو عن هذه العِصَابَةِ راضٍ، وعليها حِدَبٌ، يَسَّرُهُ ما يَسَّرُهَا، ويسوؤه
ما يسوؤها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويُسَخِّطُهُ ما أَسَخَّطَها، أما تعلم
أنه لم يدع أحدا من أصحابه وأقاربه وسُجْرَانِهِ إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضِيلَةٍ، وَخَصَّصَهُ بِمِزْيَةٍ،
وأفردَهُ بِحَالَةٍ؟ أَنْظِنَهُ صلى الله عليه وسلم ترك الأُمَّةَ سَدَى بَدَا، عِبَاهِلٌ مِبَاهِلٌ،
طَلَاحِي، مَفْتُونَةٌ بِالْبَاطِلِ، مَعْنُونَةٌ عَنِ الْحَقِّ، لَا ذَائِدَ وَلَا رَائِدَ، وَلَا ضَابِطَ
وَلَا حَائِطَ وَلَا رَابِطَ، وَلَا سَاقِي وَلَا وَاقِي، وَلَا هَادِي وَلَا حَادِي؛ كلا، والله ما أَشْتَقُ
إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى، وَلَا سَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَقُرْبِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ الْمَدَى، وَأَوْضَحَ



(١) كذا ورد هذين الفعلين في الأصل بصيغة المضارع، والذي في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤١ :
« ما مرها » و « ما ساءها » بصيغة الماضي، وهو أظهر لما كتبه لما بعده .

(٢) السجرا : الأصفياء، واحده سَجْرٌ كَأَمِيرٍ .

(٣) العباهل من الإبل : المهملّة . والمباهل بمعناه ؛ استعار ذلك للذين تفرقت كلمتهم وتشتت
شملهم .

(٤) الطلاحى : الإبل التى تشكى بطونها من أكل الطلح، أراد به هنا القوم الذين لا راعى لهم
يصدّهم عما يضرهم، ولا قانون يمنعهم عن أن يردوا موارد تسوءهم، فهم يتبعون ما تقودهم اليه الشهوة
كالإبل التى تأكل من الطلح الذى يؤذيها حتى تشكى بطونها .

(٥) معنونة : من غذت الفرس، أى حبسته بالعباد .

(٦) في الأصل : « ذادى » ؛ وهو تحريف .

(٧) ضرب المدى، يريد : بين الغاية .

- الهدى ، وأبان الصوى ؛ وأمن المسالك والمطارج ، وسهل المبارك والمهايع ، وإلا بعد أن شدخ يافوخ الشّرك بإذن الله تعالى ، وشرم وجه النفاق لوجه الله سبحانه ، وجدع أنف الفتنة في ذات الله ، وتقل في عين الشيطان بعون الله ، وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل ؛ وبعد ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة واحدة ، ودار جامعة ، إن أستقلوني لك ، وأشاروا عندى بك ، فأنا واضع ٥
يدى في يدك ، وصائر إلى رأيهم فيك ، وإن تكن الأخرى فأدخل في صالح ما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والقاتل لمغالقتهم ، والمرشد لضآلتهم ، والرادع لغوايتهم ، فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على الحق ، ودعنا نقض هذه الحياة بصدور بريئة من الغل ، سليمة من الضغائن والحقد ، ولنلق الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن ؛ وبعد ، فالناس ثمانية فارق ١٠
بهم ، وأحن عليهم ، وإن لهم ، ولا تشق نفسك بنا خاصة منهم ، وأترك ناجم الحقد

(١) في الأصل : « الصوى » بالضاد المعجمة ، وهو تحريف . والصوى بضم الصاد المهملة : مجارة مركومة في الطريق تجعل أعلا ما .

(٢) في الأصل : « المايح » ؛ وهو تحريف ، والنصوب عن صبح الأعشى .

- (٣) في الأصل : « واستقادوني » ؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من كتب اللغة الا فعلا لازما ، ١٥
تقول : استقاد فلان لى اذا أعطاك مقادته ، أو متسديا الى مفعول من القود بفتح القاف والواو ، وهو القصاص .

(٤) المغالقي : جمع مغلق بكسر الميم ، والمغلق : ما يغلّق به الباب ، كالغلاق ؛ كما في شرح القاموس مادة « غلق » نقلا عن الراغب .

- (٥) كذا في الأصل ؛ وهذا اللفظ مكرر مع ما يأتي في الفقرة التي بعده مع اختلاف بينهما بالإفراد ٢٠
والجمع ، ولم يرد في المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة .

(٦) الثمامة بضم التاء : واحدة الثمام ، وهو نبات ضعيف له خوص ، وربما حثى به وسد به خصاص البيوت ، ويشبه به في الصعف .

(٧) في الأصل : « تتول » ولم نجد من معانيه ما يناسب المقام ، والنصوب عن صبح الأعشى .

حَصِيدًا ، وطائرَ الشرِّ واقعا ، وبابَ الفتنة مُغْلَقًا ، فلا قَالَ ولا قِيلَ ، ولا لَوْمَ ولا ^(١) تعنيفَ ، واللهُ على ما نقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تأهبتُ للنهوض قال عمرُ رضى الله عنه : كُنْ لدى الباب هَنِيئَةً فى معك دور من القول ، فوقفْتُ وما أدرى ما كان بعدى إلا أنه لحقنى بوجه يَبْدَى تَهَلُّلاً ، وقال لى : قل لعلّى : الرقادُ مَحْمَلُهُ ، والهوى مَقَحْمُهُ ؛ ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ ، وحقُّ مُشَاعٍ أو مقسوم ، وَنَبَأٌ ظَاهِرٌ أو مكتوم ؛ وإِنَّا أَكَيْسَ الكَيْسَى مَنْ مَنَحَ الشاردَ تَأَلُّفاً ، وقاربَ البعيدَ تَلَطُّفاً ؛ ووزن كلِّ شيءٍ بيزانه ، ولم يَخْلُطْ خَبْرَهُ بَعْيَانِهِ ؛ ولم يجعلَ فِتْرَهُ مَكَانَ شِبْرِهِ دِينًا كان أو دنيا ، ضلالاً كان أو هدى ، ولا خيرَ فى عِلْمٍ مستعملٍ فى جهل ، ولا خيرَ فى معرفةٍ مشوبةٍ بِنُكْرٍ ، ولَسْنَا بِحِلْدَةٍ رُفِعَ ^(٢) البعير بين العِجانِ والدَّنَبِ ، وكلُّ صَالٍ فَبِنَارِهِ ، وكلُّ سِيلٍ فإلى قَرَارِهِ ؛ وما كان سكوتُ هذه العِصابةِ إلى هذه الغايةِ لِمَعْنَى وَشْيٍ ، ولا كلامُها اليومَ لِفَرَقٍ أو رفقٍ ، وقد جَدَعَ الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنْفَ كلِّ ذى كِبَرٍ ، وقَصَمَ ظَهْرَ كلِّ جَبَّارٍ ، وَقَطَعَ ^(٣) لِسَانَ كلِّ كَذُوبٍ ” فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ “ ما هذه الخُزْوانَةُ [اتى] فى فراش ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧)

(١) فى الأصل : « تبيع » وفى صبح الأعشى : « تبيع » وهو تحريف فى كليهما ؛ وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٩٤ طبع مطبعة الحلبي .
(٢) الرفع بفتح الراء وضهما ، أصول الفخذين من باطن ؛ وكان وجه التشبيه فى ذلك الخسة وضعة المنزلة .

(٣) فى الأصل : « الرأس » وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٢ إذ به يستقيم المعنى .

(٤) الشئ بكسر الشين : إتباع للى . وفى الأصل : « روى » بالميم ، وهو تحريف .

(٥) الخُزْوانَةُ : الكبير .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى .

(٧) فراش الرأس : عظام دقاق تلى القحف .

٥

١٠

١٥

٢٠

رَأْسِكَ ؟ ما هذا الشجاعة المَعْرِضُ في مدارج أنفاسك ؟ ما هذه القَذَاةُ التي تَغَشَّتْ
 نَظْرَكَ ؟ وما هذه الوَحْرَةُ التي أَكَلَتْ شَرًّا سَيْفَكَ ؟ وما هذا الذي لَيْسَتْ بِسَبَبِهِ
 جِلْدُ الثَّوْرِ ، وَاسْتَمَاتَ عَلَيْهِ بِالشَّحْنَاءِ وَالنَّكَرِ ، وَلَسْنَا فِي كِسْرِيَّةٍ كَسْرِيٍّ ، وَلَا فِي قَبْصَرِيَّةٍ
 قَبْصَرٍ ، نَأْمَلُ لِإِخْوَانِ فَارَسٍ وَأَبْنَاءِ الْأَصْفَرِ ، قَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ جَزَارًا لِسَيُوفِنَا ، وَدَرِيَّةً
 لِرِمَاحِنَا ، وَمَرَعَى لِبَطْنَانَا ، وَتَبَعًا لِسُلْطَانِنَا ؛ بَلْ نَحْنُ نُورُ نُبُوَّةٍ ، وَضِيَاءُ رِسَالَةٍ ، وَثَمَرَةُ
 حِكْمَةٍ ، وَآثَرَةُ رَحْمَةٍ ، وَعُتُونُ نِعْمَةٍ ، وَظُلُّ عِصْمَةٍ ؛ بَيْنَ أُمَّةٍ مَهْدِيَّةٍ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ ،
 مَأْمُونَةٍ عَلَى الرُّقِّ وَالْفَتَقِ ، لَهَا مِنَ اللَّهِ إِبَاءٌ آتِيٌّ ، وَسَاعِدٌ قَوِيٌّ ؛ وَيَدٌ نَاصِرَةٌ ، وَعَيْنٌ
 نَاطِرَةٌ ؛ أَنْظِنِ ظُنًّا يَا عَلِيُّ أَنْ أَبَا بَكْرٍ وَثَبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُفْتَاتًا عَلَى الْأُمَّةِ ، خَادِعًا
 لَهَا ، أَوْ مُتَسَلِّطًا [عَلَيْهَا] ؟ أَتَرَاهُ حَلَّ عُقُودِهَا [وَأَحَالَ عُقُولَهَا] ؟ أَتَرَاهُ جَعَلَ نَهَارَهَا لَيْلًا ،
 وَوَزَنَهَا كَيْلًا ؛ وَيَقْظَمُهَا رُقَادًا ، وَصَلَّاحَهَا فُسَادًا ؟ لَا وَاللَّهِ ، سَلَا عَنْهَا فَوَلِّهَتْ لَهُ ،
 وَتَطَامَنَ لَهَا فَاصْصَقَتْ بِهِ ، وَمَالَ عَنْهَا فَالَتْ إِلَيْهِ ، وَأَشْمَازَ دُونَهَا فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ، حَبِوَةً
 حَبَاهُ اللَّهُ بِهَا ، وَعَاقِبَةً بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَنِعْمَةً سَرَّ بَلَّهَ جَمَاهَا ، وَيَدًا أَوْجَبَ عَلَيْهِ شُكْرَهَا
 وَأُمَّةً نَظَرَ اللَّهُ بِهِ لَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ ، وَأَرَأُفُ بِعِبَادِهِ ، يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ
 الْخَيْرَ ، وَإِنَّكَ بِحَيْثُ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَلَا يُجْحَدُ
 حَقُّكَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ لَكَ مِنْ يَزَاحِمُكَ بِمَنْكِبٍ أَضْخَمَ مِنْ مَنْكِبِكَ ، وَقُرْبٍ أَمْسَسَ
 مِنْ قُرَابَتِكَ ، وَسَنٍّ أَعْلَى مِنْ سَنِّكَ ، وَشَيْبَةٍ أَرْوَعَ مِنْ شَيْبَتِكَ ، وَسَيَادَةٍ لَهَا أَصْلٌ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِرْعٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَوَاقِفُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا جَمْلٌ وَلَا نَاقَةٌ ، وَلَا تُدْكَرُ فِيهَا

(٨٥)

(١) الوحرة : ضرب من العطاء ، وهي صغيرة حمراء تعدو في الجبابين لها ذنب دقيق تصعب به إذا عدت ،
 وهي أحببت العطاء لا تظأ طعاما ولا شرابا إلا شتمته ولا يأكله أحد إلا دق بطنه ، وربما هلك ، شبه
 السداوة والغل بها . قال في اللسان مادة « وحر » : الوح : غش الصدر وبلاؤه ، ويقال : إن أصل
 هذا من الدويبة التي يقال لها الوحرة ، ثم قال : شبهوا العداوة ولزومها بالصدر بالتراق الوحرة بالأرض .
 (٢) التكلمة سن صبح الاعشى .

(١) في مقدِّمة ولا ساقه ، ولا تضرب فيها بذراع ولا إصبع ، ولا تخرج منها بياض
 ولا هُبْع (١) ، ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلاقة نفسه
 وعيبة سره ، ومفزع رأيه ، وراحة كفه ، ومرمق طرفه ، وذلك كله بحضرة الصادر
 والوارد من المهاجرين والأنصار شمرة مغنية عن الدليل عليه ، ولعمري إنك أقرب
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، ولكنه أقرب منك قربة ، والقرابة لهُم
 ودم ، والقربة نفس وروح ، وهذا فرق عرّفه المؤمنون ، ولذلك صاروا إليه
 أجمعون ، ومهما شككت في ذلك فلا تشك أن يد الله مع أجماعه ، ورضوانه لأهل
 الطاعة ، فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع غدا ، وألفظ من فيك ما يعلق
 بلهاتك ، وأنفث سخيمة صدرك عن ثقاتك ، فإن يك في الأمل طول ، وفي الأجل
 فسحة ، فستاكله مريثاً (٢) أو غير مريء ، وستشربه هنيئاً أو غير هنيء ، حين لا راد
 لقولك إلا من كان منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك ، يخص إهابك ،
 ويعرك أديمك ، ويزري على هديك ، هنالك تفرع السن من ندم ، وتجرع الماء
 ممزوجاً بدم ، وحينئذ تأسى على ما مضى من عمرك ، ودارج قوتك ، فتود أن
 لو سقيت بالكأس التي آبيتها ، ورُدِّدت إلى حالتك التي استغويتها ، والله تعالى فينا
 وفيك أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها ، وهو
 الولي الحميد ، الغفور الودود .

(١) البازل والبزل : الجمل أو الناقة في التاسع من سنه ، وليس بعده سن تسمى . والجمع بضم الهاء
 وفتح الباء : الفصل في آخر التاج .

(٢) القرية : الوسيلة .

(٣) في الأصل : « هنيئاً مريثاً » وقوله : « هنيئاً » زيادة من الناصح كما يدل على ذلك سياق ما بعده ،

وانظر صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٣ .

قال أبو عبيدة : فشيت مترملاً أنوءُ كأنما أخطو على رأسي فرقا من الفرقة ،
وشَفَقا على الأمة ، حتى وصلت إلى على رضى الله عنه في خلاء ، فأبثته ^(١) حتى كَلَّه ،
وبرئت إليه منه ، ورَفَقْتُ به ؛ فلما سمعها ووعاها ، وسَرْتُ في مفاصله حُمياها ؛ قال :
حَلَّتْ مُعْلُوطَةٌ ^(٢) ، وَلَّتْ مُحْرُوطَةٌ ^(٣) ، وَأَنشَأَ يَقُولُ ^(٤) :

إحدى لياليك فهيسى هيسى * لا تنعمى الليلة بالتعريس ^(٥)

نعم يا أبا عبيدة ، أكلُّ هذا في أنفُس القوم يُحسِّنون به ، ويَضْطَيعُونَ ^(٥) عليه ؟
قال أبو عبيدة : فقلت : لا جواب لك عندي ، إنما أنا قاض حقَّ الدين ، ورائقُ
فَتَقَّ المسلمين ، وسادُّ ثُلَمَةِ الأمة ، يعلم الله ذلك من جُلْجُلان قلبي ، وقرارية نفسي ؛
فقال على رضى الله عنه : والله ما كان قعودى في كسر هذا البيت قصدا
لِخلاف ، ولا إنكارا للعرف ، ولا زِرايةً على مُسلم ، بل لما وقَدَنى به رسولُ الله ^(٦)
صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودَعَنى من الحزن لفقده ، وذلك أننى لم أشهد
بعده مشهدا إلا جَدَّد على حُرْنا ، وذَكَّرنى شجنا ، وإن الشوق [إلى] اللِّحاق به كافٍ
عن الطمع في غيره ، وقد عَكَفْتُ على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تَفَرَّق [منه]

(١) المترمل : المثلّف ؛ يريد أنه خرج مستخفيا .

(٢) يقال : أبثته السر ، إذا أطلّعه عليه .

(٣) المعلّوطة : من الأعلاوط ، وهو ركوب الرأس والتّحجّ على الأمور من غير روية ؛ والمحروطة :

السريسة .

(٤) هو مثل يصرب للرحل باقى الأمر يحتاج فيه الى الجِد والاجتهاد . والهيسى يفتح الهاء السير مطلقا .

(٥) أراد بالاضطباع هنا : الاطواء ، والاشتمال ؛ وقد استعاره من قولهم : اصطاع الشيء . ، اذا جعله

تحت صبعيه ، وهما عصدها . وفي شرح نهج البلاعة لابن أبي الحديد : « يضطغنون » ؛ والاضطغان :

الاشتمال أيضا .

(٦) جلجلال القلب : سويذؤه .

(٧) وقْدَ : تركه عليلا .

رجاء ثواب مُعَدٍّ لمن أخلص لله عمله ، وسَلَّمَ لعلمه ومشيتته ، وأمره ونهيه ؛ على أنى ما علمت أن التظاهرَ على واقع ، ولي عن الحق الذى سبق لى دافع ، وإذ قد أُفْعِم الوادى بى ، وحُشِدَ النادى من أجلى ، فلا مَرَحَبًا بما ساء أحدا من المسلمين وسرتنى ، وفى النفس كلامٌ لولا سابق عَقْد ، وسالَفَ عهد ، لَشَفِيتُ نفسى بِخِصْرِى وبِخِصْرِى ، وَخُصِّتُ بِحُتَّةٍ بِأَخْصَى وَمُفَرِّقٍ ، ولكنى مُلْجِمٌ إلى أن ألقى رَبِّى ، وعنده أحْتَسِب ٥
 ما نزل بى ، وإنى غاد إلى جماعتكم ، مَبِيعٌ لصاحبكم ، صابرٌ على ما ساءنى وسرتكم ، ^(١١) «لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» .

قال أبو عُبَيْدَةَ : فعدت الى أبى بكر رضى الله عنه ، ففَصَصْتُ القول على غَرِّه ، ^(٢) ولم أختزل شيئًا من حُلُوه ومُرِّه ، وبَكَرْتُ غُدُوَّةً إلى المسجد ، فلما كان صباح يومئذ إذا على يُحْتَرِقُ الجماعة إلى أبى بكر رضى الله عنهما ، فبايعه ، وقال خيرا ، ووصف جميلا ، وجلس زمينا ، واستأذن للقيام فمضى ، وتبعه عمر مكرما له ، مستثيرا لما عنده ، فقال على رضى الله عنه : ما قعدت عن صاحبكم كارها له ، ولا أتيتَه فرقا ، ولا أقول ما أقول تَعَلَّةً ، وإنى لأعرف منتهى طَرْقى ، ومَحَطَّ قَدَمى ، ومَنْزَع قوسى ، ومَوْقِعَ سهمى ، ولكن قد أزمْتُ على فأسى ثِقَّةً رَبِّى فى الدنيا والآخرة .

٨٦

فقال له عمر رضى الله عنهما : كَفَيْكَ غَرْبَكَ ، وأستوقف سِرْبَكَ ؛ ودع العصا بلحائها ، والدِّلاءَ على رِشائها ، فإننا مِن خَلْفِها وورائها ؛ إن قَدَحْنَا أَوْرِينَا ، وإن

(١) كذا فى صبح الأعشى ؛ وفى الأصل : « ما ترك لى » .

(٢) على عره ، يريد : على أصله ؛ وأصل الغر : الكسر المثنى فى جلد أو ثوب ، يقال : اطو الثوب على عروده ، أى على مكاسره .

(٣) الزيتيت بتشديد الميم : الوفور ، وبابه كرم .

(٤) يقال : أزم الفرس على فأس الحمام ، أى عض وأمسك ؛ يريد أنه كتم ما فى نفسه من الشكوى ، ولم يبح بما يعاينه من الألم .

مَتَحْنَا أَرْوِينَا، وَإِنْ قَرَحْنَا أَدَمِينَا، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَمَائِكَ الَّتِي لَغَزْتُ فِيهَا عَنْ صَدْرِ
أَكِلٍ بِالْحَوَى، وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ [عَلَى] مَقَالَتِكَ مَا إِنْ سَمِعْتَهُ نَدِمْتَ عَلَى مَا قُلْتَ ؛
وَزَعِمْتَ أَنَّكَ قَعَدْتَ فِي كَسْرِ يَتِكَ لِمَا وَقَدَكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
فَقْدِهِ، فَهُوَ وَقَدَكَ وَلَمْ يَقْدُ غَيْرَكَ؟ بَلْ مُصَابُهُ أَعْمٌ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ حَقِّ
مُصَابِهِ أَلَا تَصَدَّعَ شَمْلُ الْجَمَاعَةِ بِفُرْقَةٍ لَا عِصَامَ لَهَا، وَلَا يُؤْمِنُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ فِي بَقَائِهَا،
هَذِهِ الْعَرَبُ حَوْلَنَا، وَاللَّهُ لَوْ تَدَاعَتْ عَلَيْنَا فِي صَبْحِ نَهَارٍ لَمْ نَلْتَقِ فِي مَسَائِهِ؛ وَزَعِمْتَ
أَنْ الشُّوقَ إِلَى اللَّهِ قَافٍ بِكَ عَنْ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ، فَمِنْ عِلَامَةِ الشُّوقِ إِلَيْهِ
نُصْرَةُ دِينِهِ، وَمُؤَاذَرَةُ أَوْلِيَائِهِ وَمَعَاوَنَتُهُمْ؛ وَزَعِمْتَ أَنَّكَ عَكَفْتَ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ
تَجْمَعُ مَا تَفْتَرِقُ مِنْهُ، فَمِنْ الْعُكُوفِ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ النَّصِيحَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ، وَالرَّافَةُ عَلَى خَلْقِ
اللَّهِ، وَبَذْلُ مَا يَصْلُحُحُونَ بِهِ، وَيُرْشِدُونَ عَلَيْهِ؛ وَزَعِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّظَاهِرَ
وَقَعَ عَلَيْكَ، وَأَيُّ حَقٍّ لَطَّ دُونَكَ؟ قَدْ سَمِعْتَ وَعَلِمْتَ مَا قَالَتِ الْإِنصَارُ بِالْأُمْسِ
سِرًّا وَجَهْرًا، وَتَقَلَّبَتْ عَلَيْهِ بَطْنًا وَظَهْرًا، فَهَلْ ذَكَرْتِكَ، أَوْ أَشَارَتْ بِكَ، أَوْ وَجَدَتْ
رِضَاهُمْ عَنْكَ؟ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِلِسَانِهِ: إِنَّكَ تَصْلُحُ لِهَذَا الْأَمْرِ، أَوْ أَوْمَأَ بَعَيْنِهِ،
أَوْ هَمَّهِمْ فِي نَفْسِهِ؟ أُنْتَظَرُ أَنْ النَّاسَ ضَلُّوا مِنْ أَجْلِكَ، وَعَادُوا كُفَّارًا زَهْدًا فَيْكَ،
وَبَاعُوا اللَّهَ تَعَالَى تَحَامُلًا عَلَيْكَ؟ لَا وَاللَّهِ، لَقَدْ جَاءَنِي عَقِيلُ بْنُ زِيَادٍ الْخَزْرَجِيُّ
[فِي نَقَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَعَهُمْ شُرَحْبِيلُ بْنُ يَعْقُوبَ الْخَزْرَجِيُّ] وَقَالُوا: إِنْ عَلِيًّا يَنْتَظَرُ
الْإِمَامَةَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَوَّلُ بَهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَيَنْكَرُ عَلَيَّ مِنْ يَعْقِدِ الْخِلَافَةَ؛ فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِمْ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْفِعْلُ بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ فِي أَسَاسِ اللَّاعَةِ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا عَنْ صَبْحِ الْأَعْشَى، إِذْ بَهَا تَسْتَقِيمُ الْعِبَارَةُ .

(٣) الْمُهِيْمَةُ : الْكَلَامُ الَّذِي لَا يَصْرَحُ بِهِ .

(٤) الْكَلِمَةُ عَنْ صَبْحِ الْأَعْشَى ج ١ ص ٢٤٦؛ وَمَا بَعْدَهَا يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا .

ورددتُ القول في نحوهم حين قالوا : إنه يَنْتَظِرُ الْوَحْيَ ، وَيَتَوَكَّفُ مَنَاجَاةَ الْمَلِكِ ،^(١)
 فقلت : ذلك أمرٌ طواه الله تعالى بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر
 معقوداً بأنْشُوطَةٍ ، أو مشدوداً بأطرافٍ لِيُطَةِ؟^(٢) كَلَّا والله ، لا عَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا وَقَدْ
 أَفْصَحْتَ ، وَلَا شَوْكَاءَ إِلَّا وَقَدْ تَفَتَّحْتَ ، وَمِنْ أَعْجَبِ شَأْنِكَ قَوْلُكَ : لَوْلَا سَالْفُ
 عَهْدٍ ، وَسَابِقُ عَقْدٍ ، لَشَفِيتُ غِيظِي ، وَهَلْ تَرَكَ الدِّينُ لِأَهْلِهِ أَنْ يَشْفُوا غِيظَهُمْ
 بِيَدِ أَوْ لِسَانٍ؟ تِلْكَ جَاهِلِيَّةٌ قَدْ اسْتَأْصَلَ اللَّهُ شَاقَتَهَا ، وَاقْتَلَعَ جَرْثُومَتَهَا ؛ وَهُوَ رَ لَيْلَهَا ،^(٣)
 وَغَوَّرَ سَيْلَهَا ؛ وَأَبْدَلَ مِنْهَا الرُّوحَ وَالرَّيْحَانَ ، وَالْهَدْيَ وَالْبَرْهَانَ ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُلْجِمٌ ،
 وَلَعَمْرَى إِنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ ، وَآثَرَ رِضَاهُ ، وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ ، أَمْسَكَ لِسَانَهُ ، وَأَطْبَقَ
 فَاهُ ، وَجَعَلَ سَعِيَهُ لِمَا وَرَاهُ .

فَقَالَ عَلَى رُضَى اللَّهِ عَنْهُ : مَهْلًا مَهْلًا يَا أَبَا حَفْصٍ ، وَاللَّهِ مَا بَدَّلْتُ مَا بَدَّلْتُ وَأَنَا
 أُرِيدُ نَكَّتَهُ ، وَلَا أَقْرَرْتُ مَا أَقْرَرْتُ وَأَنَا أَبْتَغِي حَوْلًا عَنْهُ ؛ وَإِنْ أَخْسَرَ النَّاسَ صَفْقَةً
 عِنْدَ اللَّهِ مِنْ آثَرِ النِّفَاقِ ، وَأَحْتَضَنَ الشَّقَاقَ ؛ وَفِي اللَّهِ سَلْوَةٌ عَنْ كُلِّ حَادِثٍ ، وَعَلَيْهِ
 التَّوَكَّلُ فِي كُلِّ الْحَوَادِثِ ؛ ارْجِعْ يَا أَبَا حَفْصٍ إِلَى مَجْلِسِكَ نَاقِعِ الْقَلْبِ ، مَبْرُودِ الْغَلِيلِ ،
 فَسِيحِ اللَّبَانَ ، فَصِيحِ اللِّسَانَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَ مَا سَمِعْتَ وَقُلْتُ إِلَّا مَا يَنْشُدُ الْأَزْرَ ،^(٤)
 وَيَحِطُّ الْوِزْرَ ، وَيَضَعُ الْإِصْرَ ، وَيَجْمَعُ الْأُلْفَةَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَانصرف على وعمرُ رضى الله عنهما ، وهذا
 أصعب ما مرّ على بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) يتوكف : ينتظر ، ويقال : فلان يتوكف الأخبار ، نحو يستقطر الأخبار .

(٢) الأنشوطه : عقدة تحل إذا جذب أحد طرفيها .

(٣) الليطة : واحد الليط ، وهو قشر النصب .

(٤) هور : أذهب . (٥) اللبان : الصدر .

- ومن كلام عائشة أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وهو ما اتصل إلينا بالرواية الصحيحة ، والأسانيد الصريحة ، عن محمد بن أحمد ابن [أبي] المُنَنَّى ، عن جعفر بن عَوْن ، عن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عن أَبِيهِ ، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّهُ بَلَغَهَا أَنَّ أَقْوَامًا يَتَنَاوَلُونَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَزْفَلَةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا حَضَرُوا أَسْدَلَتْ أَسْتَارَهَا ، وَعَلَتْ وِسَادَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّيَا وَمَا أَبِيهِ ! أَيُّيَا اللَّهِ لَا تَعْطُوهُ الْيَدَى ، ذَاكَ طَوْدٌ مُنِيفٌ ، وَظُلٌّ مَدِيدٌ ، هِيَاهُ ، كَذَبَتِ الظُّنُونُ ، أَتُجِجُ إِذَا أَكْذَبْتُمْ ، وَسَبَقَ إِذَا وَبَيْتُمْ "سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ" ، فَتَى قَرِيْشٍ نَاشِئًا ، وَكَهْفُهَا كَهْلًا ، يَفُكُّ عَنْهَا ، وَيَرِيْشُ مُمْلِقَهَا ، وَيَرَابُّ شَعْبَهَا ، وَيَلْمُ شَعْمَهَا ، حَتَّى حَلَيْتَهُ قُلُوبُهَا ، ثُمَّ اسْتَشْرَى فِي دِينِ اللَّهِ ، فَمَا بَرِحَتْ شِكِيمَتُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اتَّخَذَ بَيْتَانَهُ مَسْجِدًا يُحْيِي فِيهِ مَا أَمَاتَ الْمَبْطُلُونَ ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ ، وَقَيْدَ الْجَوَانِحِ ، شَجَى النَّشِيجِ ، فَاَنْعَطَفَتْ إِلَيْهِ نِسْوَانُ مَكَّةَ وَوَلَدَانُهَا يَسْخَرُونَ مِنْهُ ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ ، ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ فَأَكْبَرَتْ ذَلِكَ رَجَالَاتُ قَرِيْشٍ ، لَحْنَتْ قِسِيَّهَا ، وَفَوَّقَتْ سِهَامَهَا ، وَامْتَلَوْهُ غَرَضًا ، فَمَا قَالُوا لَهُ صَفَاةً ، وَلَا قَصَفُوا لَهُ قَنَاةً ، وَمَرَّ عَلَى سِيسَائِهِ ، حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ ، وَالْقَى بَرَكَّهُ ، وَرَسَتْ أَوْتَادُهُ ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا ، وَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ أَرْسَالًا

(١) كذا ورد هذا الاسم في تهذيب التهذيب لابن حجر أُنشأ الكلام على جعفر بن عون ، والذي

في الأصل : « اس المنى » ، ولم نقف عليه فيما لدينا من الكتب المدونة في أسماء الرواة .

(٢) في اللسان مادة « كذا » « ونجح » بدون همز .

(٣) حلبيته : استحلته .

(٤) في الأصل وصيح الأعشى : « وامتثلوه » بالنون ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر اللسان

وأشتاتا، اختار الله لنبيه ما عنده، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب^(١) الشيطان رواقه، ومد طنبه، ونصب خبائله، وأجلب بحيله ورجله، واضطرب حبل الإسلام، ومرج عهده، وماج أهله، ونفى الغوائل، وظنت رجال أن قد أكتب^(٢) نهزها، ولات حين الذي يرجون، وأنى والصديق بين أظهرهم؟ فقام حاسرا مشمرا، بجمع حاشيته، ورَفَع قُطريه، فردَّ رَسَن الإسلام على غربه، ولمَّ شَعَثه بطبه، وأقام أودَّه ببقائه، فابذَرَ النفاق بوطنه، وأنتاش الدينَ فنَعَشه، فلما أراح الحقَّ على أهله، وقَرَّرَ الرؤوسَ على كواهلها، وحَقَّنَ الدماءَ في أهبها، أنته منيته، فسَدَّ ثُلُمَتَه بنظيره في الرحمة، وشَقِيقَه في السيرة والمعدلة، ذاك أبن الخطاب، لله دَرَّ أمَّ حَفَلَتْ له، ودَرَّت عليه! لقد أَوحدت به، ففَنَخَّ الكفرةَ ودَيَّجَها، وشرَّدَ الشُّركَ شَذَرَمَذَر، وبَعَجَ الأرضَ وبَجَّعَها، فقاءت أَكُلُها، ولَفَظَّت جَنِينِها، تَرَامَه وَيَدِيدُها، وتصدَّى له ويأبأها، ثم وزَعَ فيها فيئها، وودَّعها كما صحبها، فأروني ما ترتابون؟ وأىَّ يومى أئبى تنفيمون؟ أيومَ إقامته إذ عدلَ فيكم، أم يومَ طَعَنه وقد نَظَرَ لكم؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت: أُنشدكم الله، هل أنكرتم مما قلت شيئا؟ قالوا: اللهم لا.

- (١) في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨: «ضرب»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.
- (٢) كذا في الأصل؛ والذي في اللسان مادة «كتب» «أكتب أطعاهم»؛ وفي صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨: «أكتب أطعاهم نهزها»، والمعنى يستقيم على كل من هذه الروايات الثلاث.
- (٣) في الأصل: «حلت به»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيأتى في شرحه لهذه الكلمة.
- (٤) في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨: «خبأها»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها

الْأَزَلَّةُ : الجماعة . وَتَعْطُوهُ : تَتَاوَلُهُ . وَالطَّوْدُ : الْجَبَلُ . وَالْمُنِيفُ : الْمُشْرِفُ .
وَالْكَدَيْتُمْ : حَبْتُمْ وَيُنْسَ مِنْ خَيْرِكُمْ . وَوَنَيْتُمْ : قَتَرْتُمْ وَضَعَفْتُمْ . وَالْأَمَدُ : الْغَايَةُ .
وَيَرِيشُ : يُعْطَى وَيُفْضَلُ . وَالْمُتْلِقُ : الْفَقِيرُ . وَيَرَأَبُ : يَجْمَعُ . وَالشَّعْبُ : الْمُتَفَرِّقُ .
وَيَلْمُ : يَقْضُمُ . وَاسْتَشْرَى : جَدَّ وَأَنْكَشَ . وَالشَّكِيمَةُ : الْأَنْفَةُ وَالْحِمِيَّةُ . وَالْوَقِيدُ :
الْعَلِيلُ . وَالْجَوَانِحُ : الضُّلُوعُ الْقِصَارُ الَّتِي تَقْرُبُ مِنَ الْفُؤَادِ . وَالشَّجِيُّ : الْحَزِينُ .
وَالذَّشِيجُ : صَوْتُ الْبُكَاءِ . وَانْعَطَقَتْ : انْثَنَتْ . وَامْتَلَوْهُ : مَثَلَوْهُ . وَالْغَرَضُ :
الَّذِي يُقْصَدُ لِلزَّمِيِّ . وَفَلَّوْا : كَسَرُوا . وَالصَّفَاةُ : الصَّخْرَةُ الْمُنْسَاءُ . وَقَصَفُوا :
كَسَرُوا . وَسِيسَاوُهُ : شِدَّتُهُ ، وَالسِّيسَاءُ : عَظْمُ الظَّهْرِ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُهُ مَثَلًا لِشِدَّةِ
الْأَمْرِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :^(٢)

١٠

لَقَدْ حَمَلَتْ قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ حَرْبَنَا * عَلَى يَابِسِ السِّيسَاءِ مُحْدُوذِبِ الظَّهْرِ

وَالْحِرَانُ : الصَّيْدُ . وَرَسَتْ : ثَبَتَتْ . وَمَرَجَ : اخْتَلَطَ . وَمَا جَ أَهْلُهُ :
اضْطَرَبُوا وَتَنَازَعُوا . وَبَغَى الْغَوَائِلُ ، مَعْنَاهُ وَطِبَ الْبَلَايَا . وَأَكْثَبَ : قَرُبَ .
وَالنَّهْزُ : اخْتِلَاسُ الشَّيْءِ وَالظَّفَرُ بِهِ مَبَادَرَةٌ . وَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَطْلُبُونَ ، مَعْنَاهُ :
وَلَيْسَتْ السَّاعَةُ حِينَ ظَفَرِهِمْ . وَقَوْلُهَا : جُمُوعُ حَاشِيَتَيْهِ وَرَفَعَ قُطْرِيهِ ، مَعْنَاهُ تَحَزَّمَ^(٦)
وَلَيْسَتْ السَّاعَةُ حِينَ ظَفَرِهِمْ . وَقَوْلُهَا : جُمُوعُ حَاشِيَتَيْهِ وَرَفَعَ قُطْرِيهِ ، مَعْنَاهُ تَحَزَّمَ^(٦)

١٥

(١) كذا في الأصل ؛ وعادة اللسان في شرح هذه الجملة : أى نصبوه هدفا لسهام ملامهم وأقوالهم
وهو أفعال ، من المثلة اه . (٢) هو الأخطل ، كما في اللسان مادة « سيس » .

(٣) في الأصل : « زينا » ؛ وهو تحريف يختل به الوزن والمعنى ؛ والتصويب عن اللسان .

(٤) كذا في الأصل ، والذي سبق في الخطبة : « يرجون » .

٢٠

(٥) في الأصل : « الشجاعة » ؛ وهو تحريف .

(٦) عبارة الأصل : « وقولها : فرفع حاشيته ، وجمع قطريه » وفيه تقديم وتأخير ، والصواب
العكس . لوافق ما مر في الخطبة ، ونصها في اللسان مادة « قطار » « قد جمع حاشيته ، وضم قطريه »
وقال في تفسير ذلك ، جمع جانبيه عن الانتشار والتبدد والتفرق .

للأمر وتأهب له . والقُطْرُ : الناحية . والطَّبُّ : الدواء . والأَوْدُ : العِوَجُ .
والثَّقَافُ : تقويمُ الرماح وغيرِها . وأَبْدَعَرَّ : تَفَرَّقَ . وانتاش الدِّينَ ، أى أزال عنه
ما يُخاف عليه . ونَعَشَهُ : رَفَعَهُ . وأراح الحقَّ على أهله ، أى أعاد الزكاة التى
منعتها العرب فقاتلَ عليها حتى رُدَّت الى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقَزَرَ
الرؤسَ على كواهلها ، معناه وقى المسلمين القتل . والكاهلُ : أعلى الظهر وما يتصل به .
وحَقَنَ الدماءَ فى أَهْبِها ، معناه أنه حقن دماء المسلمين فى أجسادهم . والأَهْبُ :
جمعُ إهاب ، وأصلُ الإهاب الحِلْدُ ، فَكَنَتْ به عن الجسد . وقولها : لله دَرَأَمٌ
حَقَلَتْ له ، أى جمعت له اللبن . وقولها : أَوَحَدْتُ به ، معناه جاءت به منفردا
لا نظير له . وقولها : فَفَنَخَّ الكفرةَ ، معناه أَذْهَبَ . وديَحَّها : صَغَّرَها ^(١) . وبَعَجَ
الأَرْضَ وَبَجَعَهَا ، معناه شَقَّها واستقصى نأتها ^(٢) . وشَدَرَ مَدَرَ ، معناه تفرقا ، يقال :
شَدَرَ مَدَرَ ، وشَغَرَ بَغَرَ ، بمعنى واحد . وقولها : حتى قاءت أَكْلَها ، معناه أخرجت
خبزها . وَرَأَاهُ : تعطف عليه . وَتَصَدَّى له : تَعَرَّضَ له .

ومن كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ما كَتَبَ به إلى
معاوية بن أبى سُفيانَ جوابا عن كتابه — وهو من محاسن الكتب — كتب
رضى الله عنه :

أما بعد ، فقد أتانى كتابك تذكُّرُ فيه أصطفاء الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
لدينه ، وتأنيده إياه بمن أئده به من أصحابه ، فلقد خَبَأَ لنا الدهرُ منك عَجَبًا ،

(١) كذا فى الأصل ؛ ولم تقف فيها لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل بالباء .

(٢) فى الأصل : « عليها » وهو تحريف ؛ وذكر فى اللسان أداة « بَجَعَ » فى تفسير هذه الكلمة
أن المعنى قهر أهلها وأذلهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك .

(٣) فى الأصل : « جاء » ؛ وهو تحريف لا يتقيم به العبارة ، والصواب ما أثبتنا كما فى صحيح الأعشى

- أَفَطَفْتُ نُحَيْرَنَا بِآلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا؟ فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مِذْرَةَ إِلَى النَّضَالِ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفَلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ آتَرَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ^(١) لَمْ يَأْخُذْكَ قُلُّهُ؛ وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِلَ وَالْمَسْئُولَ؟ وَمَا الطُّلُقَاءُ وَأَبْنَاءُ الطُّلُقَاءِ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟ هِيَاتَ لَقَدْ «حَنٌّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا»، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مِنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرَى عَلَى ظُلْمِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ دَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَتَىكَ الْقَدْرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ، وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيِّهِ، رَوَاغٌ عَنِ الْفَضْلِ، أَلَا تَرَى — غَيْرَ نُحَيْرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحْدِثَ — أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ — وَلِكُلِّ فَضْلٍ — حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا (هُوَ هَمْزَةٌ) قِيلَ: سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ؛ أَلَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ — وَلِكُلِّ فَضْلٍ — حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِأَحَدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ (هُوَ جَعْفَرٌ) وَلَوْلَا [مَا] نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكَ فُضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَتَجَهَّأُ آذَانُ السَّامِعِينَ، فَدَعِ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَةُ فَإِنَا

- ١٥ (١) فِي الْأَصْلِ: «يَفِضُ»؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.
- (٢) فِي الْأَصْلِ: «وَالْتِمِيزِينَ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى.
- (٣) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَفْتَخِرُ بِقَبِيلَةٍ لَيْسَ مِنْهَا، أَوْ يَتَمَدَّحُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؛ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ قَدَاحِ الْمَيْسِرِ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرِ أَخَوَاتِهِ وَأَجَالِهِ الْمَفِيزُ خَرَجَ لَهُ صَوْتٌ يَخَالِفُ أَصْوَاتَهَا.
- (٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَالَّذِي فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٩ طَبْعُ بِيْرُوتَ: «الْقَصْدُ»؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كَاتَا الرَّايَتَيْنِ. (٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا.
- ٢٠ (٦) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٩ طَبْعُ بِيْرُوتَ: «الرَّمِيَّةُ»؛ وَالرَّمِيَّةُ الصَّيْدُ تَرْمِيهِ فَنَقْصِدُهُ، وَالْمُرَادُ بِهَا الدُّنْيَا؛ وَقَالَ شَارِحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ «مَالَتْ بِهِ» مَا نَصَّهُ: «وَمَالَتْ بِهِ»: خَالَفَتْ قَصْدَهُ فَاتَّبَعَهَا، مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ أَعْوَجَ غَرَضُهُ قَالَ عَنِ الْاسْتِقَامَةِ لَطْلَبُهُ.

صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديم عزنا، وعادى طولنا على قومك
 أن خلطناهم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا فعل الأكنفاء ولستم هناك، وأنى يكون ذلك
 كذلك؟ ومنا النبي ومنكم المكذب، ومنا أسد الله، ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيدها^(٢)
 شباب أهل الجنة، ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حالة الخطب،
 فإسلامنا قد سميع، وجاهليتنا لا تدفع، كتاب الله يجمع لما ما شدد عا و [هو] قوله^(٣)
 سبحانه : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ
 أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَمَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن
 مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة، ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم
 السقيفة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا
 دونكم، وإن يكن بغيره فلا أنصار على دعواهم، وزعمت أنى لكل الخلفاء حسدت،
 وعلى كلهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليست الحناية عليك، فتكون المذرة إليك.
 "وتلك شكاة ظاهر^(٤) عك عارها"

(١) العادى : القديم .

(٢) المكذب : أبو جهل . وأسد الله : حزة بن عبد المطلب . وأسد الأحلاف : أبو سفيان
 ابن حرب ، لأنه حزب الأرب وحالفهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق . وسيدها
 شباب أهل الجنة : هما الحسن والحسين ولدا على كرم الله وجهه . وصبية النار هم أولاد مروان بن
 الحكم . وخير نساء العالمين : فاطمة . وحالة الخطب : أم جميل بنت حرب عممة معاوية ، وزوجة
 أبي لهب .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٠ .

(٤) يقال : ظهر عنه العار، إذا لم يعلق به وبنا عنه . وقوله : وتلك شكاة الخ مجز بيت لأبي ذؤيب
 الهذلي ؛ وصدده : * وعيرها الواشون أنى أحبا * انظر اللسان مادة «ظهر» .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقلت: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش^(١) حتى أبياع، ولعمرك الله [لقد] أردت أن تدم لحيدت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاككا في دينه، ولا مرتابا في يقينه، وهذه مُحْتَجِّي إلى غيرك قصدها، ولكنني أطلقت لك منها بقدر ما سنع من ذكرها؛

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان^(٢)، [فلك] أن تجاب عن هذه لرحمة^(٤) منك، فأينا كان أعدى له، وأهدى إلى مقاتله؟ أم من بذل له نصرته فاستفعله واستغفه، أم من استنصره فترأخى عنه، وبث المنون إليه، حتى [أني] قدره عليه؟ كلا والله (قد يعلم الله المعرفين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا) وما كنت أعْتَذِر من أتى كنت أنقم عليه أحدانا، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايي له "فرب ملوم لا ذنب له"

* وقد يستفيد الظنة المتنصص^(٥) *

وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت "وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت"، وذكرت أنه ليس لي ولاصحابي إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار، متى ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلي، وبالسيوف مخوفين؟ "لبث قليلا يلحق الهيجا

١٥ (١) المخشوش: الذي أدخل في أنفه الخشاش بكسر الخاء، وهو ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب.

(٢) الزيادة عن صحيح الأعشى ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل. وقد نقلناها عن نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١ طبع بيروت؛ إذ لا يستقيم الكلام بدونها.

٢٠ (٤) هذه الالام ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٥) الظنة: التهمة. وصدر هذا البيت: * وكم سقت في آثاركم من نصيحة *

(٦) لبث بشديد الباء، من اللبث، وهو المكث. وحمل بفتح الحاء والميم هو ابن بدر، وهذا مثل يضرب للتهديد بالحرب، ورواية اللسان مادة حل: «صح قليلا بدرك» الخ.

حَمَلٌ“ فسيطلبك من تَطْلُب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مُرْقِلٌ نحوك في بحَمَل من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، شديد زحائمهم، ساطع قنائمهم، متسريلين سراييل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك ^(١) ”وما هي من الظالمين ببيعد“ .

ومن كلام الأحنف بن قيس حين وَجَّه معاوية بن أبي سفيان بتخذيله عائشة رضي الله عنها، وأنه شهيد صفيين، وقال له : فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، لِمَ تَرُدُّ الأمورَ على أعقابها؟ أما والله إن القلوبَ التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، والسيوفَ التي قاتلناك بها لعلَى عواتقنا، ولئن مَدَدْتَ شِبْرٍ من غَدَرٍ، لَنَمُدَّنَّ باعا من خَرٍّ، ^(٢) ولئن شئتَ لَنَسْتَصْفِيَنَ كَدَرَ قلوبنا بصَفْوِ حاكمٍ ؛ قال معاوية : أَفَعُلَ .

وجلس معاوية يوما وعنده وجوه الناس، وفيهم الأحنف، فدخل رجلٌ من أهل الشام، فقام خطيبا، فكان آخر كلامه أن لَعَنَ علياً رضي الله عنه، فأطرق الناس، وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل أنفأ ما قال لو علم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتق الله، ودع علياً فقد لقي الله، وأُفِرِدَ في حُفْرَتِهِ، وخلا بعمله، وكان والله — ما علمنا — المبرز بشقّه، الطاهر في خُلُقِهِ، الميمون النقيبه، العظيم المصيبه. قال معاوية : يا أحنف، لقد أَغْضَيْتَ العينَ على القَذَى، وقلتَ بغير ما ترى، وأيم الله لَتَصْعَدَنَّ المنبرَ فَلَئِنَّهُ طائعا أو كارهًا؛ فقال الأحنف : إن تُعْفِنِي فهو خير، وإن تُجَبِّرَنِي على ذلك فوالله لا تجرئ به شفتاي ؛ فقال معاوية : قم فاصعد ؛ قال : أما والله لأنصفنك في القول والفعل ؛ قال معاوية : وما أنت

(١) أخوه : حنظلة . وخاله : الوليد بن عتبة . وجدّه : عتبة بن ربيعة .

(٢) الخمر : أقيح العدر .

قائل إن أنصفتني؟ قال : أَصْعَدُ فَأَحْمَدُ الله وَأُثْنِي عَلَيْهِ وَأُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ ، ثم أقول : أيها الناس ، إن معاوية أمرني أن ألعن علياً ، ألا وإن علياً ومعاوية اختلفا واقتتلا ، وآدعى كل واحد منهما أنه مبيغى عليه وعلى فِئته ، فإذا دعوتُ فأمنوا رحمكم الله ؛ ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكك وأنبياؤك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه ، والفيئة الباغية على المبيغى عليها ، آمينَ يارب العالمين ؛ فقال معاوية :
 ٥ . إِذَنْ تُعْفِكَ يَا أَبَا بَحْر .

وَأَتَى الْأَحْنَفُ مُضْعَبَ بْنِ الزَّبِيرِ يَكْلِمُهُ فِي قَوْمٍ حَبَسَهُمْ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ كَانُوا حُبِسُوا فِي بَاطِلٍ فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا حُبِسُوا فِي حَقٍّ فَالْعَفْوُ يَسْعُهُمْ ؛ فَنَفَّاهُمْ .

١٠ . وَلَمَّا قَدِمَ وَفَدَ الْعِرَاقُ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَفِيهِمُ الْأَحْنَفُ ، خَرَجَ الْإِذْنَ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْزِمُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَكَلَّمُوا أَحَدٌ إِلَّا لِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ قَالَ الْأَحْنَفُ : لَوْلَا عَزْمُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَخْبَرْتُهُ أَنَّ دَافَةَ (١) (أَيِ الْجَمَاعَةِ) دَفَّتْ ، وَنَازِلَةٌ نَزَلَتْ ، وَنَائِبَةٌ نَابَتْ ، وَكُلُّهُمْ بِهِمُ الْحَاجَةُ إِلَى مَعْرُوفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِرِّهِ ؛ فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا أَبَا بَحْر ، فَقَدْ كَفَيْتَ الْغَائِبَ وَالشَّاهِدَ .

١٥ . وَلَمَّا خَطَبَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ بِالْبَصْرَةِ قَامَ الْأَحْنَفُ فَقَالَ :
 اللَّهُ الْأَمِيرُ ! قَدْ قُلْتَ فَأَسْمَعْتَ ، وَوَعَدْتَ فَأَبْلَغْتَ ؛ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّمَا السَّيْفُ بِجَدِّهِ ، وَالْقَوْسُ بِشَدِّهِ ، وَالرَّجُلُ بِجِدِّهِ ؛ وَإِنَّمَا الثَّنَاءُ بَعْدَ الْبَلَاءِ ، وَالْحَمْدُ بَعْدَ الْعَطَاءِ ؛ وَلَنْ تُثْنِيَ حَتَّى تَبْتَلِيَ ، وَلَا تَحْمَدُ حَتَّى تُعْطَى .

(١) فِي الْأَصْلِ : «لَأَجْرِهِ» بِالْجِيمِ وَالرَّاءِ الْمَعْجُمَتَيْنِ ؛ وَهُوَ مَحْرُفٌ .

(٢) دَفَّتْ : أَتَتْ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «وَدَعَلَتْ» ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

ولما حُكِّمَ أبو موسى الأشعريُّ أمّاه الأحنف فقال له : يا أبا موسى، إن هذا مَسِيرُهُ ما بعده من عزِّ الدنيا أو ذلِّها آخر الدهر، أدعُ القوم إلى طاعة عليٍّ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من أحبوا، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا، وإياك إذا لقيتَ ابنَ العاص أن تصالحه بنية، وأن يُقعِدَكَ على صدرِ المجلس، فإنها خديعةٌ، وأن يَضُمَّكَ وإياه بيتٌ فيكن لك فيه الرجال، ودعه فليتكلم لتكون عليه بالخيار، فالبادئُ مُستغلقٌ^(١)، والمجيبُ ناطقٌ، فما عَمِلَ أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف وأشار به، فكان من الأمر ما كان؛ فلقيَه الأحنف بعد ذلك فقال له : أدخَلْ والله قدميك في حُفٍّ واحدة .

وقال بخراسان : يا بني تميم، تحابُّوا [تَجْتَمِعْ كَلِمَتُكُمْ]^(٢) وتبادَلُوا تَعْتَدِلْ أُمُورَكُمْ، وآبَدُوا بِجِهَادِ بَطُونِكُمْ وفروجكم يَصْلُحْ دِينُكُمْ، ولا تَغْلُوا يَسْلَمْ لَكُمْ جِهَادُكُمْ .

ولما قَدِمَت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قام هِلَالُ بْنُ بِشْرٍ فقال : يا أمير المؤمنين : إنا غُرَّةٌ مِنْ خَلْقِنَا مِنْ قَوْمِنَا، وسَادَةٌ مِنْ وِراءِنَا مِنْ أَهْلِ مِصرِنَا، وإنك إن تَصَرَّفْنَا بِالزِيَادَةِ في أُعْطِيَتْنَا، والفَرَايِضُ لِعِيَالَتِنَا، يَزْدَدُ بِذَلِكَ

(١) أراد بالمستغلق هنا : الذى ليس له الخيار فى رد ما قال، وهو استعارة من قولهم : استغلقنى فى بيعه، إذا لم يجعل لى خيارا فى رده .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن البيان والتبيين ج ١ قسم ٢ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٣٧٠ .

(٣) كذا فى البيان والتبيين فى النسخة السالفة الذكر، والذى فى الأصل : « وسازلوا »؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيه ما يلائم السياق .

(٤) عل غلولا من باب قعد : خان فى المغم .

(٥) كذا فى الأصل؛ والذى فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٣ طبع الرحمانية : « ابن وكيع » .

الشريف تأملاً، وتكن لهم أبا وُصُولاً ؛ وإن تكن مع ما نمت [به] من وسائلك،
وندى [به] من أسبابك كالجذل لا يحل ولا يتحل، ترجع بأنوف مصلومة،^(٥) وجدود
عائرة،^(٦) فحنا وأهالينا بسجل مترج (أى الدلو الملائنة) من سجالك المترعة .

وقام زيد بن جبلة فقال : يا أمير المؤمنين ، سؤد الشريف ، وأكرم الحسيب ،
وازرع عندنا من أياديك ما تسد به الخصاصه ، وتطرد به الفاقة ؛^(٧) فإنا يقف من
الأرض يابس الأكاف ،^(٨) مقشعر الذرورة ، لا متجر ولا زرع ، وإنا من العرب اليوم
إذ أتيناك يمرأى ومسمع .

فقام الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص
قائد الحرمان ، فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قِيلاً ولا قالاً ، وأجعل بينك
وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود ، وأستاحة المتاح ،
فإن كل أمرئ إنما يجمع في وعائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين فلا يوفد
إليك .

(١) في البياض والتبيين : «وتكن لدوى الأحساب» .

(٢) في الأصل : «تمن» ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن البياض والتبيين .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، واللغة تقتضى إثباتها ؛ وانظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٣
طبع الرحانية .

(٤) كذا في الأصل ؛ والذى في البياض والتبيين : كالجذل الذى لا يحل « الخ وكلتا الروايتين غير
واضحة المعنى ، ولم يقف عليه فيما لدينا من المظان .

(٥) المصلومة : المقطوعة من أصلها .

(٦) في الأصل : «فرحنا» ؛ وهو تحريف إذ لم تر من معانيه ما يناسب المقام ، والتصويب عن
البيان والتبيين ؛ «ومحنا» من المبح ، وهو الإعطاء .

(٧) في الأصل : «نقف» بالنون ؛ وهو تحريف ، والقف : ما ارتفع من الأرض كالقفعة .

(٨) في الأصل : «نافس» وهو تحريف .

(٩) كذا في الأصل ؛ والذى في البيان والتبيين : «شجر» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية، — وكانت من الفصحاء —
 حكي أنها لما وفدت على معاوية قال لها كيف كان كلامك يوم قُتل عمار بن
 ياسر؟ قالت: لم أكن والله زورته قبل ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفثن
 لساني حين الصدمة، فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت، قال:
 لا أشاء ذلك، ثم ألتفت إلى أصحابه فقال: أيكم حفظ كلام أم الخير؟ فقال رجل
 من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد، قال: هانه، قال:
 نعم، كأتى بها يا أمير المؤمنين عليها برد زبيدي، كشيء الحاشية، وهى على جمال
 أرمك، وقد أحيط حولها وبيدها سوط منتشر الضفر^(٣)، وهى كالفحل يهدير
 فى شقيقته تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إن الله
 قد أوضح الحق، وأبان الدليل، ونور السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم فى غمىاء
 مبهمة، ولا سوداء مدلممة؛ فأنى تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم
 فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله عز
 وجل يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ثم
 رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين،
 وانتشرت الرغبة، وبيدك يارب أزقة القلوب، فأجمع الكلمة على التقوى، وألف
 القلوب على الهدى، ورد الحق إلى أهله؛ هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل،

(١) كذا فى صحيح الأعشى ج ١ ص ٢٤٩؛ وزورته: ثقفته وهذبه، وهو من قولهم:
 زور الحديث، إذا أزال زوره، أى عوجه. وفى الأصل: «رويته»؛ وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(٢) الأرمك: من الرمة، وهى لون التراب.

(٣) الضفر: القتل، والمراد به هنا اسم المفعول.

(٤) فى صحيح الأعشى ج ١ ص ٢٥٠: «فإلى أين».

(١١)

وَالْوَصَى الْوَفَى، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ؛ إِنَّهَا إِحْنٌ بَذَرِيَّةٌ، وَأَحْقَادُ جَاهِلِيَّةٌ، وَضَعَاثُنُ أَحَدِيَّةٌ، وَتَبَّهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ الْعَفْلَةِ لِيُدْرِكَ بِهَا نَارَاتِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ؛ ثُمَّ قَالَتْ : قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ؛ صَبَرَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ، وَكَأْتَى بِكُمْ غَدَاةٌ قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ، فَتَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ، لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسْلَكُ بِهَا مِنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ، بَاعُوا ٥ الْآخِرَةَ بِالْأُولَى، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى، وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى، وَ"عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ"، حِينَ تَحِلُّ بِهِمُ النَّدَامَةُ، فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالَةَ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ نَزَلَ النَّارَ؛ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْأَيْكَاسَ اسْتَقْصَرُوا عُمْرَ الدُّنْيَا فَرَفُضُوهَا، وَاسْتَبْطَئُوا مَدَّةَ الْآخِرَةِ فَسَعَوْا لَهَا؛ وَاللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْلَا أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ، وَتَعْطَلَ الْخُدُودُ، وَيَطْهَرَ الظَّالِمُونَ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ، ١٠ لَمَا آخَرْنَا وَرُودَ الْمُنَايَا عَلَى خَفْضِ الْعَيْشِ وَطَيْبِهِ، فَلِئَلَّا أَيْنَ تَرِيدُونَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - ؟

عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ، وَأَبْنَاهُ، خَلَقَ مِنْ طِينَتِهِ، وَتَفَرَّقَ عَنْ نَبْعَتِهِ، وَخَصَّهِ بِرَمَّةٍ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ. وَأَعْلَمَ بِحُبِّهِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبَانَ بِنِغْضِهِ الْمُنَافِقِينَ؛ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمُعُونَتِهِ، وَيَمْضِي عَلَى سَنَنِ اسْتِقَامَتِهِ، لَا يَعْزِجُ لِرَاحَةِ اللَّذَاتِ؛ وَهُوَ مَفْلُقُ الْهَامِ، وَمَكْسَرُ الْأَصْنَامِ؛ إِذْ صَلَّى ١٥ وَالنَّاسُ مُشْرِكُونَ، وَأَطَاعَ وَالنَّاسُ مُرْتَابُونَ؛ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مُبَارِزِي بَدْرٍ، وَأَفْنَى أَهْلَ أَحَدٍ، وَفَرَّقَ جَمْعَ هَوَازِنَ، فَيَالِهَا وَقَائِعَ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ تَفَاقًا، وَرِدَّةً وَشِقَاقًا! وَقَدْ آجَتِهْدْتُ فِي الْقَوْلِ، وَبَالَعْتُ فِي النَّصِيحَةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ؛ وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

٢٠

(١) في العقد الفريد : « واستطاعوا الآخرة » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) كذا وردت هذه العبارة في الأصل بثبوت اللام ؛ والذي في كتب القواعد أن الأكثر في الاستعمال

عدم إثباتها في جواب لولا المعنى .

فقال معاوية : والله يا أُم الخير ما أردت بهذا إلا قتلي ، والله لو قتلتك ما حرجتُ^(١) في ذلك ؛ قالت : والله ما يسؤنى يا ابنَ هند أن يُجرى الله ذلك على يدي من يُسعدنى الله بشقائه ؛ قال : «يهات يا كثيرة الفضول ، ماتقولين في عثمان بن عفان ؟ قالت : وما عسيتُ أن أقول فيه ؟ استخلفه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راضون ؛ فقال :^(٢) إياها يا أُم الخير ، هذا والله أصلك الذي تبين عليه ؛ قالت : لكن الله يشهد "وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا" ما أردتُ بعثمانَ نقصاً ، ولقد كان سبأفا إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجات ؛ قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأُتِيَ من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ؛ قال : فما تقولين في الزبير ؟ قالت : يا هذا لا تدعني كرجيع الضبع يُعرك في المِرْكَن^(٤) ؛ قال : حقا لتقولن ذلك ، وقد عزمتُ عليك ؛ قالت : وما عسيتُ أن أقول في الزبير ابنِ عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سبأفا إلى كلِّ مكرمة في الإسلام ؛ وإني أسألك بحق الله يامعاوية — فإن قریشا تحدثتُ أنك من أحلبها — أن تسعني بفضلِ حلمك ، وأن تُعفيني من هذه المسائل ، وأمض إلى ما شئت من غيرها ؛ قال : نعم وكرامة ، قد أعفيتك ، ورَدَّها مكرمةً إلى بلدها .

(١) عارة الأصل : «لأقتلك» ؛ وما أثبتناه عن صحيح الأعشى ج ١ ص ٢٥١ والعقد الفريد ج ١ ص ١٦٤ طبع المطبعة العثمانية ؛ وهو الملائم لقوله بعد : «ما حرجت» .
(٢) كذا في صحيح الأعشى والعقد الفريد ، وهو المناسب لسياق العبارة . وفي الأصل : «الله» .
(٣) إياها : كلمة زجر بمعنى حسبك .

(٤) المِرْكَن : شبه تور من آدم يتخذ للاء ، أو شبه لقن ، أو هو الإجاعة التي تفصل فيها الثياب ونحوها ؛ ولعلها تريد بهذه العبارة : لا تدعني أدنس بالذم أهل الطهارة ، وألصق العيوب بمن لا عيب فيه ، يدل على ذلك قولها في سياق : وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله الخ .

ومن اشتهر بالفصاحة والبلاغة زياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف
الثقفى، وسند كنبذة من كلامهما فى التاريخ عند ذكرنا لأخبارهما لما ولى كل
منهما العراق، وما خطب الناس به، ولندكر فى هذا الموضع من كلام الحجاج
ما لم نوردّه هناك

- ٥ قيل : لما قَدِم الحجاج البصرةَ خطب فقال : أيها الناس ، مَنْ أعياه
داؤه ، فعندى دواؤه ؛ وَمَنْ استَطالَ أَجلُه ، فعلى أَنْ أعْجلَه ، وَمَنْ ثَقُلَ عليه
رأسُه وَضَعْتُ عنه ثِقْلَه ؛ وَمَنْ استَطالَ ماضىَ عمره قصُرْتُ عليه باقىه ؛
إِنَّ لِلشَّيْطانِ طَيْفاً ، وللشَّيْطانِ سَيْفاً ؛ فَمَنْ سَقَمْتُ سَرِيرَتَه ، صَحَّتْ عَقوبَتُه ؛
وَمَنْ وَضَعَه دَنْبُهُ ، رَفَعَه صَلْبُهُ ، وَمَنْ لَمْ تَسْعُه العافية ، لَمْ تَضُقْ عنه الهلكة ؛
١٠ وَمَنْ سَبَقَتْهُ بادِرُهُ فِيهِ ، سَبَقَ بَدَنُه بِسَفْكِ دِمِهِ ؛ إِنْى أَنْذِرُكُمْ [لَا] أَنْظِرُ ، وَأَحْذَرُ
كُمْ لَا أَعِذُّ ، وَأَتَوَعَّدُكُمْ لَا أَعْفُو ، إِنَّمَا أَفْسِدُكُمْ تَرْبِيقُ^(١) وَلَأَتَكُمْ ، وَمَنْ اسْتَرْخَى^(٢) لَبِيئَه
سَاءَ أَدْبُهُ ، إِنَّ الحَزْمَ والعَزْمَ سَلْبَانِ سَوَاطِئِ ، وَأَبْدَلَانِ [بِهِ] سِيفِي ، ففأتمه فى يدي ،
وَنِجَادُهُ فى عُنُقِي ، وَدُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ عَصَانِي ، والله لا آمر أحدكم أَنْ يخرج من باب
من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه .

- ١٥ قال مالك بن دينار : ربما سمعتُ الحجاج يذكر ما صنع فيه أهل العراق
وما صنع بهم ، فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخليصه للحجج .

(١) التربيق : الصعف فى الأمر .

(٢) اللب : ما يشد على صدر الدابة أو الناقة ، يكون للرجل والسرْحَ يجمعهما من الاستنحار ، يريد
أن الهوادة واللبين إفساد لأدب الرعية .

(١) وخطب الحجاج بعد وقعة دَيْر الجاهِم فقال : يا أهل العراق ، إنَّ الشيطان قد استَبطنكم نَخالَطَ اللَّحْمَ وَالدَّمَ وَالْعَصَبَ وَالْمَسامَعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَاءَ وَالشَّغَافَ^(٢) ، ثم أَفْضَى إِلَى الْمِخْخَاخِ وَالْأَصْمَاخِ^(٤) ، ثم أَرْتَفَعَ فَعَشَّشَ^(٥) ، ثم باضَ فَفَرَّخَ^(٦) ، فحشاكم نفاقا وشقاقا ، وَأَشْعَرَكم خِلافا ، وَأَتَخَذْتُمُوهُ دَلِيلًا لَتَتَّبِعُونَهُ ، وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ ، وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ ؛ فَكَيْفَ تَتَفَعَّلُكُمْ تَجْرِبَةً ، أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقْعَةً ، أَوْ يَحْجُزُكم إِسْلَامًا ، أَوْ يَنْفَعُكم بَيَانٌ ؟ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَا^(٧) ؟ حَيْثُ رُمِّمَ الْمَكْرُ ، وَسَعِيمٌ بِالْغَدْرِ ، وَاسْتَجْمَعْتُمُ لِلْكَفْرِ ، وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ خَذَلَ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ ، وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطُرْفِي ، تَتَسَلَّلُونَ لِوَاذَاءِ ، وَتَهْتَمُونَ سِرَاعًا ، ثُمَّ يَوْمَ الزَّائِيَةِ [وَمَا يَوْمَ الزَّائِيَةِ] ! بَهَا كَانَ فَشْلُكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبَرَاءَةُ اللَّهِ مِنْكُمْ ، وَنُكُوصُ وَلِيَكُمُ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْإِبِلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أَوْطَانِهَا

(١) دِير الجاهِم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ؛ على طرف البر للسالك إلى البصرة ، وسمى دِير الجاهِم لأنه كانت تصنع فيه الجاهِم ، وهى الأفداح من الخشب ، وبهذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف الثقفى وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وانهزم فيها آبن الأشعث .

(٢) فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق : « والأعضاء » والمعنى يستقيم على كلتا الروایتين . (٣) الشغاف : حجاب القلب أو حبه أو سويده .

(٤) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل وغيره من المصادر التى بين أيدينا لهذه الخطبة ؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة والقواعد على ما يفيد أن صماخ يجمع على هذه الصيغة ؛ ولعله : « والأصاخ » بتقديم الألف على الميم ؛ أو لعله جمع لصمخ بضم الصاد والميم ، وهو جمع صماخ .

(٥) المؤامر : من قوهم : أمره مؤامرة إذا شاوره . (٦) فى الأصل : « بالمكر » والباء زيادة من النسخ .

(٧) كذا فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق ؛ وعبارة الأصل : « واستجتمتم الكفر » بسقوط اللام ؛ واستجتمتم ، أى اجتمعتم . (٨) فى الأصل : « عدل » ؛ وهو تحريف .

(٩) هذه التكملة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن العقد الفريد ؛ والزائوية : موضع قرب البصرة فيه كانت الواقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . (١٠) فى الأصل : « تهادون » ؛ وهو تحريف . (١١) يريد الشيطان . إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنفال :

« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » إلى قوله : « فلما ترامت الفتتان نكص على عقبيه » الآية .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

- (١) [النوازع إلى أعطانها]؛ لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنه ؛ حتى عَظَمَ السلاح ، وقصمتكم الرياح ، ثم دِيرُ الجاجم ، وما دِيرُ الجاجم ! بها كانت المعارك والملاحم ؛ بضرب يُزيل الهام عن مقيله ، ويعصف الخليل عن خليله ؛ يا أهل العراق ، والكفّرات بعد الفجرا ، والغدرات بعد الخترات ، والثورة بعد الثورات ؛ إن بعثتكم إلى ثغوركم غلّتم وجبتكم ، وإن أمّتم أرجفتكم ، وإن خفتكم نافقتكم ؛ لا تدّكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة ؛ [يا أهل العراق] هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استفزكم عاص ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالغ ، إلا اتبعتموه وآوتموه ونصرتموه وزكّيتموه ؛ يا أهل العراق ، قلما شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو زفر كاذب إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؛ يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ، ولم تزجركم الوقائع . ثم ألّفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، أنا لكم كالظلم^(٥) الراح عن فراخه ، ينفي عنها المدر ، ويباعد عنها البحر ، ويكنّنها من المطر ؛ ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذئاب ؛ يا أهل الشام ، أنتم الجنة والرداء ، وأنتم العدة والحذاء .

ومن مكاتباته إلى المهلب بن أبي صفرة وأجوبة المهلب له

- ١٥ كتب الحجاج إليه وهو في وجه الخوارج : أما بعد ، فإنه بلغني أنك قد أقبلت على جباية الخراج ، وترك قتال العدو ، وإني وليّتك وأنا أرى مكان عبد الله

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن العقد الفريد .

(٢) يقال : عظته الحرب كعضته وزنا ومعنى .

(٣) غلّتم : من الغلول ، وهو الخيانة في الغنمة .

(٤) في البيان والتبيين ح ٢ ص ١١٥ طبع الرحمانية : « زافر » ؛ والمعنى يستقيم على كتابي الرايين .

(٥) الظلم : ذكر النعام ؛ والراح : الضارب برجله .

(٦) في الأصل : « عن مراحه » ؛ وهو تحريف .

ابن حكيم المجاشعي، وعَبَاد بن حُصَيْن الحَبْطِيُّ، وأَحْتَرَك وأنت رجل من الأزد، وأنا أقسم إن لم تَلْقَهُمْ في يوم كذا أَشْرَعْتُ^(١) إليك صدرَ الرمح. فأجابه المهلب: ورد على كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو لعجزه؛ وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكانَ عبد الله بن حكيم وعَبَاد بن حُصَيْن، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما؛ وأنت أحترتني وأنا رجل من الأزد، ولعمري إن شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهم؛ وزعمت أني إن لم أَلْقَهُمْ في يوم كذا أَشْرَعْتُ إلى صدر الرمح، فلو فعلت لَقَبْتُ^(٢) إليك ظهرا الحِجْن.

٩٣

ووجه إليه الحجاج يستبطنه في مناجرة القوم، وكتب إليه: أما بعد، فإنك جيت الخراج بالعلل، وتحصنت بالحنادق، وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عددا، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا، ولكنك اتخذتهم أكلا، ولإبقاؤهم أيسر عليك من قتالهم، فناجزهم وإلا أنكرتني، والسلام.

فقال المهلب للجراح: يا أبا عُبَيْة، والله ما تركت حيلة إلا آحتلتها، ولا مكيده إلا عملتها، وليس العجب^(٣) من إبطاء النصر، وترأخي الظفر، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره؛ ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغادهم، ولا يزالون كذلك إلى العصر حتى قال الجراح: قد اعتذرت، وكتب إلى الحجاج: أناني كتابك

(١) عبارة الأصل: « وإلا أشرعت »، وفيها زيادة من الناصح وتحريف لا يستقيم بها المعنى؛ وما يأتي في جواب المهلب يعين ما أثبتنا.

(٢) يقال: قلبت له طهر الحين إذا تغيرت عليه وحلت عن العهد؛ والحج: الترس.

(٣) في الأصل: « ولا العجب »، والقواعد تقتضي ما أثبتنا، فإن « لا » النافية إذا دخلت على المعرفة وجب تكرارها، ولم تكرر هنا.

(٤) في الأصل: « ينصره » بنون وصاد مضمومة؛ ومعناه لا يناسب ما هنا.

يَسْتَبْطِئُ لِقَاءَ الْقَوْمِ ، عَلَى أَنْكَ لَا تَنْظُرُ بِي مَعْصِيَةً وَلَا جَبْنًا ، وَقَدْ عَاتَبْتَنِي مَعَاتِبَةً الْجَبَانَ . وَأَوْعَدْتَنِي وَعِيدَ الْعَاصِي ، فَسَلَّ الْجُرَاحَ وَالسَّلَامَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَجْجَاجُ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ تَتَرَاخَى عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى تَأْتِيكَ رُسُلِي وَيَرْجِعُونَ بِعَذْرِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تُنْسِكُ حَتَّى تَبْرَأَ الْجُرَاحُ وَتُنْسِيَ الْقَتْلُ^(١) ، وَيَجِئُ النَّاسُ ، ثُمَّ تَلْقَاهُمْ فَتَحْمِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا يَحْمِلُونَ مِنْكَ مِنْ وَحْشَةِ الْقَتْلِ وَأَلَمِ الْجُرَاحِ ، وَلَوْ كُنْتَ تَلْقَاهُمْ بِذَلِكَ الْحَدِّ لَكَانَ الدَّاءُ قَدْ حُسِمَ ، وَالْقِرْنُ قَدْ قُصِمَ ، وَلَعَمْرِي مَا أَنْتَ وَالْقَوْمُ سُوءًا ، لِأَنَّ مِنْ وَرَائِكَ رَجَالًا ، وَأَمَامَكَ أَمْوَالًا ، وَلَيْسَ لِلْقَوْمِ إِلَّا مَا مَعَهُمْ ، وَلَا يُدْرِكُ الْوَجِيفُ بِالْذَّبِيبِ ، وَلَا الظُّفْرُ^(٢) بِالْعَذِيرِ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَمْ أُعْطِ رِسْلَكَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَجْرًا ، وَلَمْ أَحْتِجْ مِنْهُمْ مَعَ الْمَشَاهِدَةِ إِلَى تَلْقَيْنِ ، وَذَكَرْتُ أَنَّي أُجِئُ الْقَوْمَ ، وَلَا بَدَّ مِنْ رَاحَةٍ يَسْتَرِيحُ فِيهَا الْغَالِبُ وَيَحْتَالُ الْمَغْلُوبُ ، وَذَكَرْتُ أَنَّ فِي الْإِجْمَامِ مَا يُنْسِي الْقَتْلَ ، وَيُزِيلُ الْجُرَاحَ ، وَهِيَائِ أَنْ يُسَى مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، يَا بِي ذَلِكَ قَتْلُ مَنْ لَمْ يَجِنْ ، وَقُرُوحٌ لَمْ تَنْقَرَفْ^(٣) ، وَنَحْنُ وَالْقَوْمَ عَلَى حَالَةٍ ، وَهُمْ يَرْقُبُونَ حَالَاتِ ، إِنْ طَمِعُوا حَارَبُوا ، وَإِنْ مَلُّوا وَقَفُوا ، وَنَطْلُبُ إِذَا هَرَبُوا ، فَإِنْ تَرَكْتَنِي فَالدَّاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ مُحْسُومٌ ، وَإِنْ أَعْجَلْتَنِي لَمْ أُطْعَمْكَ وَلَمْ أَعِصْ ، وَجَعَلْتُ وَجْهِي إِلَى بَابِكَ ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَخَيُّطِ اللَّهِ وَمَقْتِ النَّاسِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمُبْتَلَى » ، وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا يَأْتِي فِي جَوَابِ الْمُهَلَّبِ .

(٢) الْعَذِيرُ : التَّقْصِيرُ فِي الْأَمْرِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فِي الْهَاجِمِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) تَنْقَرِفُ بِقَافٍ مَشَاةً : تَنْقَشُرُ ، يُرِيدُ أَنَّهَا لَمْ تَبْرَأْ ، وَفِي الْأَصْلِ : « تَنْفَرُقُ » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَالرَّأْيُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقال المهلب لبنييه : يَا بَنِي تَبَادَلُوا تَحَابُوا ، فَإِنَّ بَنِي الْأُمِّ يَخْتَلِفُونَ ، فَكَيْفَ
بَنِي الْعَلَاتِ ؛ إِنَّ الْبَرَّ يَنْسَأُ فِي الْأَجَلِ ، وَيَزِيدُ فِي الْعَدَدِ ، وَإِنَّ الْقَطِيعَةَ تُورِثُ الْفِلَةَ ،
وَتَعْقِبُ النَّارَ بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وَاقْبُوا زَلَّةَ اللِّسَانِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ تَزِلُّ رِجْلُهُ فَيَنْتَعِشُ ، وَيَزِلُّ
لِسَانُهُ فَيَهْلِكُ ، وَعَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالْمَكِيدَةِ ، فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ النَّجْدَةِ .

وَلَمَّا اسْتَخْلَفَ أَبْنَاهُ الْمَغِيرَةَ عَلَى حَرْبِ الْخَوَارِجِ ، وَعَادَ هُوَ إِلَى عِنْدِ مُصْعَبِ^(٣)
ابْنِ الزُّبَيْرِ ، جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ الْمَغِيرَةَ ، وَهُوَ أَبُو صَغِيرِكُمْ
رِقَّةً وَرَحْمَةً ، وَابْنُ كَبِيرِكُمْ طَاعَةً وَتَجِيلاً وَرِيَاءً ، وَأَخُو مِثْلِهِ مَوَاسَاةً وَمَنَاصِحَةً ، فَلْتَحْسُنْ
لَهُ طَاعَتَكُمْ ، وَلِيَلِنْ لَهُ جَانِبَكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا أُرِدْتُ صَوَاباً قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ .

وخطب عبد الملك بن مروان ، فلما بلغ الغلظة قام إليه رجل من آل صوحان
فقال : مهلاً مهلاً يا بني مروان ، تأمرون ولا تأتمرون ، وتنهون ولا تُنهون ، وتعتظون
ولا تلتفظون ؛ أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم ، أم نطيع أمركم بالسنتكم ؟ فإن قلتم :
اقتدوا بسيرتنا ، فأني وكيف ، وما الحجّة ، وما المصير من الله ؟ أنقتدي بسيرة الظلمة
الفسقة الجورة الخونة ، الذين آخذوا مال الله دُولاً ، وعبيده خُولاً ؟ وإن قلتم :
اسمعوا نصيحتنا ، وأطيعوا أمرنا ، فكيف ينصح لغيره من يغش نفسه ؟ أم كيف
تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته ؟ وإن قلتم : خذوا الحكمة من حيث
وجدتموها ، وأقبلوا العظة ممن سمعتموها ، فعلام وليناكم أمرنا ، وحكمتناكم
في دماءنا وأموالنا ؟ أما علمتم أن فينا من هو أنطق منكم باللغات ، وأفصح بالعظات ؟

(٩٤)

(١) في الأصل : « تآزلوا » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا في البيان والتبيين .

(٢) بنو العلات : الأبناء من أمهات شتى والأب واحد .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل قوله : « عد » زيادة من النسخ ، فإن « عند » من الماروف التي

لا تخرج عن الظرفية إلا إلى الجربن ، وجرها إلى الحن ، كما في معنى اللبيب .

فَتَخَلَّوْا عَنْهَا ، وَأَطِيعُوا عِقَالَهَا ، وَخَلُّوا سَبِيلَهَا ، يَنْتَدِبُ إِلَيْهَا آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ شَرَّدَتْهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَمَرَّقَتْهُمْ فِي كُلِّ وادٍ ، بَلْ تَثْبُتُ فِي أَيْدِيكُمْ لَا نَقْضَاءَ الْمُدَّةِ ، وَبُلُوغَ الْمُهْلَةِ ، وَعِظِيمَ الْحِنَةِ ؛ إِنَّ لِكُلِّ قَائِمٍ قَدْرًا لَا يَعْدُوهُ ، وَيَوْمًا لَا يَخْطُوهُ ، وَكِتَابًا بَعْدَهُ يَتْلُوهُ ، ” لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا “ ” وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىُّ مُقْلَبٍ يَنْقَلِبُونَ “ . ثُمَّ التَّمَسَّ الرَّجُلُ فَلَمْ يَوْجَدْ .

ومن كلام قطريِّ بنِ الفُجاءة — وكان من البلغاء الأبطال ، فمن ذلك خطبته المشهورة التي قال فيها :

أما بعد ، فإنى أحذركم الدنيا فإنها حلوة خِصْرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَحَلَّتْ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْفُرُورِ ؛ لَا تَقُومُ نَصْرَتُهَا ، وَلَا تُؤَمِّنُ بَجِيعَتُهَا ؛ غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ ؛ لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا ، وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّمَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ مع أن أمراً لم يكن معها في حَبْرَةٍ (أى السرور) ، إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَمْ يَلَقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ صَرَائِهَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَصِلْهُ غَيْثَةٌ رَخَاءً ، إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءً ؛ وَحَرِيَّةٌ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مَتِصْرَةٌ ، أَنْ

(١) فى الأصل : « قديما » ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله بعد : « لا يعدوه » .

(٢) لا تقوم ، أى لا تثبت ؛ وفى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٣ : « لا تدوم » .

(٣) فى الأصل : « زائدة » وهو تحريف .

(٤) فى صبح الأعشى : « منها » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٥) كذا فى الأصل وصبح الأعشى ؛ والذى فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٥ طبع بولاق :

« نطله » بالطاء ؛ وهو أقرب الى سياق العبارة مما هنا ؛ ونطله من الطل بتشديد اللام بمعنى المطر الضعيف .

تُسمى [له] خاذلة متنگه؛ وإن جانب منها أعدوذب واحلولى، أمرت عليه منها جانب وأوبا، فإن أتت أمراً من غصونها ورقا أرهقتها من نوائها تعباً، ولم يمس منها أمرؤ في جناح أمين إلا أصبح منها في قوادم خوف، غرارة غرور ما فيها، فانية فإن من عليها؛ لا خير في شيء من زاديها إلا التقوى، من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر ما يؤوبه ويطيل حزنه، ويكي عينه؛ كم وائق بها قد فجعت، وذى حلم تنبسه إليها قد صرعت، وذى احتيال فيها قد خدعته؛ وكم ذى أهبة فيها قد صيرته حقيراً، وذى نخوة قد رذته ذليلاً، ومن ذى تاج قد كبت له للدين والفم؛ سلطانها ذول، وعيشها رنق (أى الماء الكدر) وعدبها أجاج، وحلواها صبر، وغذاؤها سمام، وأسبابها رمام، وقطافها سلع؛ حيثما بمرض موت، وصحيحها بمرض سقم، ومنيعها بمرض آهتضام؛ وملكها مسلوب، وعزيرها مغلوب، وسليمها منكوب وجارها محروب؛ مع أن وراء ذلك سكرات الموت، وهول المطلع، والوقوف بين يدي الحكم العدل "ليجزى الذين أسأوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسن"

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٤

(٢) فى الأصل : « وأولى » باللام ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل وصبح الأعشى ؛ والذى فى العقد الفريد ح ٢ ص ١٩٥

طبع بولاى : « وإلبس أمرؤ من عسارتها ورفاهيتها نعم أرهقتها من نوائها غما » .

(٤) فى صبح الأعشى : « على » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٥) كذا فى الأصل وصبح الأعشى ؛ والذى فى العقد الفريد : « وذى تاج » بإسقاط « من » ؛

وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٤ طبع الرحمانية : « وكمن ذى تاج » الخ .

(٦) فى الأصل : « وأسائها » بنونين ؛ وهو تصحيف .

(٧) كذا فى العقد الفريد ، والذى فى الأصل : « فطاهها » . والقطاف : جمع قطف بكسر القاف ،

وهو العنقود . والسلع محركة : ضرب من الصبر .

(٨) فى الأصل : « وصحتها » وما أثبتناه عن صبح الأعشى ، إذ هو المناسب للسياق .

الستم في مساكن من كان قبلكم أطول منكم أعماراً ، وأوضح منكم آثاراً ؛ وأعد عديداً ، وأكثف جنوداً ، وأشدَّ عقوداً ، تُعبدوا للدنيا أياً تعبد ، وآثروها أياً إشار ، وطمعوا بالكثرة والصغار ، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفسدية ، أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب^(١) ؟ بل قد أرهقهم بالفواحش ، وضعضعتهم بالنائب ، وعقرتهم بالفجائع ؛ وقد رأيتم تنكروا لمن رادها وآثرها وأخذ إليها ، حين طعنوا عنها لفراق الأبد ، إلى آخر المسند ؛ هل زودتهم إلا السغب ، وأحلتهم إلا الضنك ، أو تورت لهم إلا الظلمة ، أو أعقبهم إلا الندامة ؟ أفهذه تؤثرون ، أم على هذه تحرصون ، أم إليها تطمثون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نَوْفَ إِلَهِمَّ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُحْسِنُونَ ﴾ فبنست الدار لمن أقام فيها ، فاعلموا إذ أنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بد ، فإنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو ، وقد قال الله [تعالى] : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ .

وذكر الذين قالوا : من أشد منّا قوة ثم قال : لِمَا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وأنزلوا فلا يُرْعَوْنَ ضيفاناً ، وجعل الله لهم من الضريح^(٢) أُنْكَانًا ، ومن الوحشة ألواناً ، ومن الرفات جيراناً ؛ وهم في جيرة لا يجيبون داعياً ، ولا يمتنعون ضيماً ، إن

(٩٥)

(١) تعبدوا للدنيا ، أي صيرتهم الدنيا عبيداً لها ، يقال : تعبد فلان فلاناً إذا اتخذ عبيداً ؛ وعبرة الأصل : « تعبدوا الدنيا » بإسقاط اللام ؛ واستقامة العبارة تغني إياها .

(٢) في الأصل : « وطفقوا » وهو تحريف .

(٣) الخطب : الشأن والأمر .

(٤) المسند : الدهر

(٥) في العقد الفريد : « يدعون » الدال المهمل ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٦) في الأصل : « أحياناً » بالحاء والياء ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٧) في الأصل : « حيواناً » وهو تصحيف .

(١) أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا ؛ [جَمْعٌ] وَهُمْ آحَادٌ ، جِرَّةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ؛ مُتَنَاءُونَ ، لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ ؛ حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ؛ لَا يُرْجَى نَفْعُهُمْ ، وَلَا يُخْشَى دَفْعُهُمْ ؛ وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَتَلَكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ فاستبدلوا بظهور الأرض بطناء ، وبالسعة ضيقا ، وبالأهل غربة ، وبالتور ظلمة ، ففارقوها كما دخلوها ، حُفَاءً عُرَاءً فُرَادَى ، غَيْرَ أَنْ ظَنَعُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ فاحذروا مَا حَذَّرَكُمْ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

١٠ ومن كلام أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ، قِيلَ لَهُ : مَا كَانَ سَبَبُ خُرُوجِ الدَّوْلَةِ عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّهُمْ أَبْعَدُوا أَوْلِيَاءَهُمْ ثِقَةً بِهِمْ ، وَأَدْنَوْا أَعْدَاءَهُمْ تَأَلُّفًا لَهُمْ ، فَلَمْ يَصِرِ الْعَدُوُّ بِالْأَدْنَى صَدِيقًا ، وَصَارَ الصَّدِيقُ بِالْبَعَادِ عَدُوًّا .

وقيل له في حَدِيثِهِ : إِنَّا نَرَاكَ تَأَرَّقَ كَثِيرًا وَلَا تَتَّامُ ، كَأَنَّكَ مُوَكَّلٌ بِرَغْيِ الْكَوَاكِبِ ، أَوْ مُتَوَقِّعٌ الْوَحْيَ فِي السَّمَاءِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لِي رَأْيٌ جَوَالٌ ، وَغَرِيزَةٌ

١٥ (١) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ج ٢ ص ١٠٥ طبع الرحمانية ؛ وَهُوَ الْمُنَاسِبُ لِمَا يَأْتِي بَعْدَهُ ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « جَمْعُوا » .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَقَدْ أُثْبِتْنَاهَا عَنِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مُتَسَاوُونَ » وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ ؛ وَانْظُرِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ وَالْعَقْدَ الْفَرِيدَ .

٢٠ (٤) رِيدَ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ ؛ وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ج ٢ ص ٧٥ طبع الرحمانية : « صَاحِبِ الدَّعْوَةِ » .

(٥) لَعَلَهُ : « مِنْ » .

تامة، وذهنٌ صافٍ، وهمةٌ بعيدةٌ، ونفسٌ تُتوق الى معالى الأمور، مع عيش كمش
الهمج والرّاع، وحالٍ متناهيةٍ من الاتّضاع، وإني لأرى بعضَ هذا مصيبةً لا تُجبر
بسهر، ولا تُتلافى بآرق؛ قيل له : فما الذى يبرّد غليلك، ويسفّى إجاجَ صدرِكَ؟^(١)
قال : الظّفَرُ بالملك؛ قيل له : فاطلب؛ قال : إن الملك لا يدرك إلا بركوب
الأهوال؛ قيل : فاركب الأهوال؛ قال : هيات، العقلُ مانعٌ من ركوب الأهوال؛
قيل : فما تصنع وأنت تبلى حسرةً، وتذوبُ كمدًا؟ قال : سأجعل من عقلى بعضه
جهلاً، وأحاول به خطراً، لأنّال بالجهل ما لا يُنال إلا به، وأدبر بالعقل ما لا يُحفظ
إلا بقوته، وأعيش عيشاً يبين مكان حياتى فيه من مكان موتى عليه، فإن انخول
أخو العدم، والشهرة أبو الكون .

وكتب إليه عبد الحميد بن يحيى كتاباً عن مروان بن محمد، وقال لمروان :
قد كتبتُ كتاباً إن تَجَمَّعَ فذاك، وإلا فالهلاك، وكان لكبر حجمه يُثَمِّلُ على جَمَلِ،
نَفَثَ فيه حواشٍ صدره، وضمَّنه غرائبُ عُجْرِهِ وَيَجْرِهِ، فلما ورد على أبى مسلم
دعا بنار فطرحه فيها إلا قدر ذراع فإنه كتب عليه :

محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وَأَنَتَّعَى * ليوث الوغى يقدم من كلِّ جانب
فإن يقدموا نُعْمَلْ سيوفاً شَحِيدَةً * يهون عليها العُتْبُ من كلِّ عاتب
ورّده، فأيس الناس من معالجته .

وقيل : إنه شجر بينه وبين صاحب مَرٍ كلامٌ أرَبى فيه صاحب مَرٍ عليه،
فاحتمله أبو مسلم وقال : مَهْ ، لسانٌ سَبَقَ، ووهْمٌ أخطأ، والغضب شيطان ،

(١) الإجاج : جمع أجة ، وهى شدة الحر وتوجهه .

(٢) عجره وبجرحه ، أى كل أموره ، لم يستر عنه شيئاً ؛ وأصل العجر ، العروق المتعقدة فى الجسد ،
والبيجر ، العروق المتعقدة فى البطن خاصة .

وأنا جرأتك على باحتمالك، فإن كنت للذنب متممدا فقد شاركتك فيه، وإن كنت مغلوبا فالعفو يسعك؛ فقال له صاحب مرو: عَظُمَ ذَنْبِي يَمْنَعُ قَلْبِي مِنَ الْهَدُوءِ؛ فقال أبو مسلم: يا عَجِبا، أقبالك بإحسان وأنت تسيء، ثم أقبالك بيساء وأنت تُحْسِنُ! فقال صاحب مرو: الآن وثقتُ بعفوك.

ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين

④ خَطَبَ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو فَقَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَمَنْ مِنْ مُؤْمِلٍ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ، وَجَامِعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ؛ وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمَنْ حَقَّ مَنَعُهُ أَصَابَهُ حَرَامًا، وَوَرِثَهُ عَدُوًّا، وَاحْتَمَلَ إِضْرَهُ، وَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسَفًا لَاهِفًا "خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ".

١٠ وَقَامَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ عَلَى الْمَنْبَرِ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَمْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ، وَسَارِعُوا إِلَى الْمَغَانِمِ، وَاشْتَرُوا الْحَمْدَ بِالْجُودِ، وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَقَا، وَلَا تَعْتَدُوا بِالْمَعْرُوفِ مَا لَمْ تَعْتَلَوْهُ، وَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدِكُمْ عِنْدَ أَحَدٍ نِعْمَةٌ فَلَمْ يَبْلُغْ شُكْرَهَا فَاللَّهُ أَحْسَنُ لَهَا جَرَاءً، وَأَجْزَلُ عَلَيْهَا عَطَاءً؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ فَلَا تَمْتَلُوا النِّعَمَ فَتُحَوَّلَ نِقْمًا؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ مَا أَكْسَبَ أَجْرًا، وَأَوْرَثَ ذِكْرًا؛ وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسِّرُ النَّظِيرِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْبَخْلَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ مَشْوَهَا قَبِيحًا، تَنَفَّرَ عَنْهُ الْقُلُوبُ، وَتَغَضَّ عَنْهُ الْأَبْصَارُ؛ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَجُودَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ، وَأَعْظَمَ النَّاسِ عَفَا عَنْ عَفَا عَنْ

(١) في الأصل: «القسري» بشين معجمة بعدها ياء مثناة، وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «تفقدوا»؛ وهو تحريف.

قدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن لم يطب حرثه لم يرك نبتة ، والأصول عن مغارسها تنمو ، وبأصولها تسمو ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قيل لما ولى أبو بكر بن عبد الله المدينة وطال مكثه عليها كان يبلغه عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقربوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال : أيها الناس ، إني فائل قولاً ، فمن وعاه وأذاه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم يعه فلا يعدو من ذمامها ، إن قصرتم عن تفصيله ، فلن تعجزوا عن تحصيله ، فأرعوه أبحاركم ، وأوعوه أسماعكم ، وأشعروه قلوبكم ؛ فالموعظة حياة ، والمؤمنون إخوة ”وعلى الله قصد السبيل“ ”ولو شاء لهدأكم أجمعين“ فاتوا الهدى تهتدوا ، واجتنبوا الغي ترشدوا ، ”وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنين“ ١٠ لعلكم تفلحون“ والله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، أمركم بالجماعة ورضيها لكم ، ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم ، ”أتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها“ جعلنا الله وإياكم من تبع رضوانه ، وتجنب سخطه ، فإنما نحن به وله ، وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين ، واختاره على العالمين ، واختاره لأصحابا على

(١) كذا في الأصل وصحح الأعشى ج ١ ص ٢٢٠ وقد راجعنا أسماء عمال المدينة وولاتها فيما بين أيدينا من المطان فلم نقف على هذا الاسم فيمن تولاهما ؛ والذي وقفنا عليه هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، تولى المدينة في زمن سليمان بن عبد الملك اعلم صحاح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٦ وغيره من كتب التاريخ .

(٢) يريد : فلا يخرج ؛ وتأنيث الصمير في قوله : «دماها» باعتبار الموعظة أو المقالة . ٢٠

(٣) كذا في صحاح الأعشى ، وهو المناسب لما بعده في الفقرة الثانية . وفي الأصل : «عنه بمصيلة» .

الحق ، ووزراء دون الخلق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ، فصداقوه ونصروه ، وعزّروه ووقروه ، فلم يُقدِّموا إلّا بأمره ، ولم يُحجموا إلّا عن رأيه ، وكانوا أعوانه بعهد ، وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن صفتهم ، وذكّرهم فأثنى عليهم ، فقال — وقوله الحق — : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ الى قوله : ﴿ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ ^(١) فمن غاظوه كفر وخاب ، وبخر وخسر ، وقال الله عز وجل : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ﴾ الى قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ فمن خالف شريعة الله عليه لهم ، وأمره بإياه فيهم ، فلا حق له في النّى ، ولا سهم له في الإسلام في آي كثيرة من القرآن ؛ فَرَقَتْ مَارَقَةً مِنَ الدِّينِ ، وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عِصِينَ ؛ وَتَشَعَّبُوا أَحْزَاباً ، أَشَابَاتٍ وَأَوْشَاباً ؛ خَالَفُوا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وشاء عليهم ، وآذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، نَخَبَاوْا وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿ أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَذَّبَ زُينٌ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ؛ مالى أرى عيوناً خُزراً ، وَرِقَاباً صُعْراً ، وَبَطُوناً مُجْرًا ^(٢) ؛ شَجَى لَا يُسْفِغُهُ الْمَاءُ ، وداءٌ لَا يُشْرَبُ فِيهِ الدَّوَاءُ ^(٣) ؛ ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ كَلَّا وَاللَّهِ ، بل هو

٩٧

(١) فى الأصل : « عاقلون » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله تعالى فى الآية السابقة :

« يعجب الزراع ليعيظ بهم الكفار » .

(٢) العضون جمع عصاة ، وهى الفرقة .

(٣) يريد : أوباش الناس وأخلاقهم .

(٤) الخرز بضم الخاء : جمع أرز ، من الخرز بفتح الخاء والزاي ، وهو النظر كأنه فى أحد الشقين .

(٥) البجر : العظيمة .

الهَيْئَةَ وَالطَّلَاءَ حَتَّى يَظْهَرَ الْعَذْرُ، وَيُبَوِّحَ السِّرُّ، وَيَضَعَ الْغَيْبُ، وَيُسْوِسَ الْجَنْبُ^(١)؛
فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا، وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدًى؛ وَيَحْكَمْ، إِنِّي لَسْتُ أَتَوَلَّيَا أَعْلَمُ، وَلَا بَدْوَيَا^(٢)
أَفْهَمُ؛ قَدْ حَلَبْتُكُمْ أَشْطَرًا، وَقَلْبُكُمْ أَبْطُنًا وَأَظْهَرًا؛ فَعَرَفْتُ أَنْهَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ، وَعَلِمْتُ
أَنْ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالْسُنَنِهِمْ^(٣)، وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَضَرَبُوا بَعْضُ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [بِبَعْضِ]، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ، وَضَرَبُوا
الْأَمْثَالَ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَأْذِنُونَ لَهُمْ، وَيُصْغُونَ
إِلَيْهِمْ؛ مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقُوعِ الْقَوَارِعِ، وَطُولِ الرِّوَايَةِ، هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا،
فَلَسْتُ أَعْتَنُشْ آبَا وَلَا ثَابِتًا، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ﴾ فَأَسِرُوا خَيْرًا وَأَظْهِرُوهُ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا، فَطَالَمَا مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَى
نَاكِصِينَ، وَلَيْعَلَّ مِنْ أَدْبَرٍ وَأَصْرَ أَنَّهَا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ؛ وَلَسْتُ أَدْعُوكُمْ إِلَى
أَهْوَاءِ تُتَّبَعُ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُبْتَدَعُ؛ إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى، الَّتِي فِيهَا خَيْرُ
الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛ فَمَنْ أَجَابَ فَإِلَى رُشْدِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَمَنْ قَصِيدِهِ؛ فَهَلُمَّ إِلَى الشَّرَائِعِ
الْجَلَدَانِ، وَلَا تُؤَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ،

(١) الهناء بكسر الهاء : القطران ؛ يريد بهذه العبارة أنه سيأخذ في معالجتهم بالموعظة أو العقوبة حتى يقلعوا عما نهاهم عنه .

(٢) عبارة الأصل : « حتى يطرأ العمر » وهو تحريف ؛ والتصويب عن صحيح الأعشى ج ١ ص ٢٢٢

(٣) يسوس بالبناء للجهول : يروض ويذل ؛ يقال : سوست له أمرا إذا روضته وذلته . انظر اللسان مادة «سوس» . والجانب بضمين الصعب الذي لا يتقاد .

(٤) الأتواى : الغريب عن القوم .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صحيح الأعشى .

(٦) لعله يريد بهذه العبارة أنه قد أعد لكل عمل جراً لا يتجاوز به يد على ذلك ما قبله وما بعده .

(٧) الاعتناش : العلم ؛ والذي في الأصل : « أعيش » ؛ وهو تحريف .

(٨) كذا في الأصل وصحيح الأعشى ج ١ ص ٢٢٢ ؛ ولم نقف عليه في غيرها ؛ ولم نر من معانيه ما يناسب السياق ؛ ولعله : « الجوامع » ، أى التى تجمع الناس على اتباعها ، كما يدل عليه ما بعده .

”بُئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا“ ^(١) يَا كُمْ وَبُيَّاتِ الطَّرِيقِ ، فعندها الترنيقُ والرَّهَقُ ^(٢) ، وعليكم بالجاذة ، فهي أَسَدٌ وَأَوْرَدُ ، ودَعَا الأمانى فقد أَرَدَتْ من كان قبلكم ، وليس للإنسان إلا ما سعى ، والله الآخرة والأولى ، و ”لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى“ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

هذا ما آنفق لإيراده من رسائل وخطب بلغاء الصحابة — رضى الله عنهم — وكلام التابعين وغيرهم مما يحتاج الكاتب الى حفظه .
وأما رسائل المتقدمين والمعاصرين التى يحتاج الى النظر اليها دون حفظها — فهي كثيرة جدا ، سنورد من جيدها ما تقف عليه إن شاء الله .

١٠ ذكر شئ من رسائل وفصول الكتاب والبلغاء المتقدمين

والتأخرين والمعاصرين من المشاركة والمغاربة

وهذه الرسائل والفصول كثيرة جدا ، وقد قدمنا منها فيما مر من كتابنا هذا ما حلا ذكره ، وفاح نشره ؛ وأنس به سامعه ، وأيس من الإتيان بمثله صانعه ، وأوردنا فى كل باب وفصل منه ما يناسبه ، وسنورد إن شاء الله فى فئ الحيوان والنبات عند ذكر كل حيوان أو نبات يستحق الوصف ماسمعه وطالعناه من وصفه نظما ونثرا ، مع ما يندرج فى فن التاريخ من الرسائل والفصول والأجوبة والمحاورات

(١) بيات الطريق : الطرق الضيقة التى تشعب من الجاذة ، وهى الزهات ؛ يريد : إياكم وسلوك

طريق غير طريق الجماعة .

(٢) الرهق : السفه ، أو هوكوب الشر . والذى فى صبح الأعشى : « الترهيق » .

هند ذكر الوقائع ، وإنما نُورده تمّ وإن كان هذا موضعه ليكون الكلام فيه نسيافةً ،
وتردّ الوقائع يتلو بعضها بعضاً ، فلا ينقطع الكلام على ما يقف إن شاء الله تعالى
عليه في مواضعه ، فنورد في هذا الموضع ما هو خارج عن ذلك التمثل من كلامهم ،
ولنبداً بذكر شيء من المكاتبات البليغة الموجزة ؛

من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على إنسان فقال : حقّ موصل
هذا الكتاب عليك كحقه على إذراك موضعا لأمله ، ورآني أهلاً لحاجته ، وقد أنجزت
حاجته ، فحقّق أمله .

ومنه ما حكى أن المأمون قال لعمر بن مسعدة : أكتب الى فلان كتاب
عناية بفلان في سطر واحد ، فكتب : هذا كتاب واثق بمن كُتب اليه ، مُعْتَنٍ ^(١) بمن
كُتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون يستعطفه على الجند: كتابي الى أمير المؤمنين
ومن قبل من أجناده وقواده في الطاعة على أفضل ما تكون عليه طاعة جندي تأخرت
أرزاقهم ، واختلت أحوالهم . فأمر بإعطائهم رزق ثمانية أشهر .

وكتب أحمد بن يوسف الى المأمون يذكره بمن على باب من الوفود فقال :
إن داعي نداءك ، ومنادي جدواك ، جمعاً ببابك الوفود ، يرجون نائلك العتيدي ؛ فنههم
من يمت بجرمة ، ومنهم من يدلّ بخدمة ؛ وقد أبجحف بهم المقام ، وطالت عليهم
الأيام ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعمهم بسبيبه ^(٢) ، ويحتوش ظنونهم بطوله فعل .
فوقع المأمون في كتابه : أخير متبع ، وأبواب الملوكة مواطن لذوى الحاجات ،

(١) في الأصل : «اليه» ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٢) يدلّ : يتوسل . (٢) السبب : العطاء .

فأحص أسماءهم ، وأجل موائنتهم^(١) ، ليصير الى كل أمرئ منهم قدر استحقاقه ، ولا تذكر معروفا بالمطل والحجاب ، فإن الأول يقول :

فإنك لن ترى طردا حُرَّ * كإلصاق به طرف الهوان
ولم يحلب مودة ذى وفاء * كمثل البذل أو بسط اللسان .

وكتب محمد^(٢) إلى يحيى بن هرم^(٣) — وكان عامله على أصفهان ، وقد نظم منه
أهلها — : يا يحيى ، قد كثر شاكوك ، وقَلَّ شاكروك ؛ فإما عدلت ، وإما
اعتزلت .

وكتب أبو بكر الخوارزمي جوابا عن هدية : وصأت التخفة ، ولم يكن لها
عيب إلا أن باذلها مسرف في البر ، وقابلها مقتصد في الشكر ؛ والسرف مذموم^(٤)
إلا في المجد ، والاقتصاد محمود إلا في الشكر والحمد .

وكتب ملك الروم إلى المعتصم يتوعده ويتهدده ، فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه ،
فكتبوا فلم يعجبه مما كتبوا شيئا ، فقال لبعضهم : أكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،

(١) يريد بهذه العبارة أمره أن يوضح ما فرض في الديوان لكل واحد منهم ، وبين ما يستحقه
من العطاء .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصل ؛ ولم يرد بعده من الكنى ما يعينه ؛ والذى في المصادر التي بين
أيدينا أن هذا التوقيع لجعفر بن يحيى البرمكي إلى بعض عماله انظر شرح القاموس مادة « وقع » والعقد
العريد ج ٢ ص ٢٣٢ طبع بولاق ووفيات الأعيان ترجمة جعفر بن يحيى والوفاء بالوفيات للصفدي
المحفوظ منه نسخة مأخوذة بالصوير الشمسي بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩ تاريخ .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم نقف على هذا الاسم فيمن تولى عمل أصفهان ؛ ولعل صوابه : « هرمة » .

(٤) في الكتب التي بين أيدينا : « يا هذا » .

(٥) في الأصل : « يا ذن لها » ؛ وهو تحريف .

أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت خطابك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ،
 « وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَفِيَ الدَّارِ » .

ومن كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني -

قيل : دُرِكَ الهمداني في مجلس أبي الحسين بن فارس فقال ما معناه : إن البديع قد نسي حق تعليمنا إياه ، وعَقْنَا وشمخ بأنفه عنا ، فالحمد لله على فساد الزمان ،
 وتغير نوع الإنسان ؛ فبلغ ذلك البديع ، فكتب الى أبي الحسين :

نعم أطل الله بقاء الشيخ الإمام ، إنه الحمأ المسنون ، وإن طُنَّت الظنون ؛
 والناس لآدم ، وإن كان العهد قد تَقَادَم ؛ وأرتبكت الأضداد ، واختلط الميلاد ؛
 والشيخ يقول : فسَدَ الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفى الدولة العباسية وقد
 رأينا آخرها وسمعنا أولها ؛ أم المدة المروانية وفي أخبارها « لا تكسع الشول بأخبارها » ؛
 أم السنين الحربية^(٥)

(١) الكافر بالإفراد : قراءة الحسين وأبي عمرو كما سبق بيان ذلك في ص ١٠ ث ١ من

هذا الجزء .

(٢) كذا في بقيمة الدرّج ٤ ص ١٧٨ طبع دمشق وغيرها من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ؛

والذي في الأصل : « أنا » والحمأ : الطين الأسود . والمسنون : المتغير المتن .

(٣) عبارة الأصل : « وتركيب الأصفاد » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ، والتصويب عن قيمة الدهر .

(٤) تكسع ، من الكسع وهو ترك بقية من اللبن في خلف الناقة يراد بذلك تغزيرها ، وهو أشد لها .

والشول من النوق : ما مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فقل لبنها وخف ضرعها ، واحده شائل .

والأخبار : جمع غبر بالضم ، وهو بقية اللبن ؛ وهذا صدر بيت للحارث بن حنظلة ، وتسماه : « إنك لا تدري

من النامح » قال في اللسان مادة « كسع » في تفسير هذا البيت : يقول : « لا تغزر إبلك تطلب بذلك قوة

نسلها ، وأحلبها لأضيافك ، فاعل عدوا يغير عليها فيكون نتاجها له دونك » . ولعل الكاتب أشار بهذا الى

بجمل بن مروان وقلة الخير في أيامهم .

(٥) الحربية : نسبة الى حرب بن أمية بن عبد شمس ، يريد بذلك خلافة معاوية ويزيد أبه .

وَالسَيْفُ يُعْمَلُ فِي الطَّلَى ^(١) * وَالرَّحْمُ يُرَكَّزُ فِي الْمَكَلَى
وَمَبِيتُ مُجْجِرٍ فِي الْفَلَا ^(٢) * وَالْحَرَاتَانِ وَكَرْبَلَا ^(٣) ^(٤)

أُمُ الْبَيْعَةِ الْهَاشِمِيَّةِ [وَعَلَى يَقُولُ : لَيْتَ] أَلْعَشْرَةَ [مِنْكُمْ] بِرَاسٍ ، مِنْ بَنِي فِرَاسٍ ؛
أُمُ الْأَيَّامِ الْأُمُويَّةِ وَالنَّفِيرُ إِلَى الْحِجَازِ ، [وَالْعِيُونُ إِلَى الْأَعْجَازِ] ؛ أُمُ الْإِمَارَةِ الْعَدَوِيَّةِ ^(٥) ^(٦)
وَصَاحِبُهَا يَقُولُ : هَلَمُّوا إِلَى الزُّوْلِ ؛ أُمُ الْخِلَافَةِ التَّيْمِيَّةِ وَهُوَ يَقُولُ : طُوبَى لِمَنْ ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١)

(١) في كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ١٥ طبع بيروت : « يغمد » .
حوالطلى : الأعناق . واحده طلية بضم الطاء .

(٢) هو حجر بن عدى الكندي من أهل العراق ، وقد قتله معاوية بن أبي سفيان في سنة
إحدى وخمسين لإظهاره التشيع إلى علي ولعنه لمعاوية وأصحابه ، والبراءة منهم ، وكان يجتمع عليه كل
من وافقه في هذا الرأي من أهل المصريين ، حتى ولي زياد على العراق فكتب إلى معاوية في أمر حجر ^{١٠}
وأكثر ، فأمر معاوية زيادا أن يبعث به إليه مشدودا بالحديد ففعل ، فلما قدم عليه أمر به معاوية فضربت
عنقه ؛ وكان حجر من أشرف العراق وخياره . انظر تاريخ الطبري في حوادث سنة إحدى وخمسين .

(٣) لذا في يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٩ طبع دمشق وغيرها من المصادر التي بين أيدينا لهذه
الرسالة ؛ و به يستقيم الوزن ؛ وفي الأصل : « والحسين » . وأشار بهذا إلى وقعة الحرة التي كانت بين
جنود يزيد بن معاوية وأهل المدينة سنة ثلاث وستين ؛ وكانت هذه الوقعة في حرة واقم وهي شرق المدينة ^{١٥}
وقد قتل فيها من أهل المدينة خلق كثير . انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ .

(٤) كربلاء : موضع في طرف الرية عند الكوفة ، وهو الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله
عنهما في خلافة يزيد بن معاوية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٩

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر . (٧) يريد خلافة عثمان بن
عفان رضي الله عنه لأن أمية رطله . (٨) يريد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ؛
والعدوية نسبة إلى عدى بن كعب بن لؤي ، وهم رطل عمر . (٩) كذا في الأصل ؛ والذي في يتيمة
الدهر وكشف المعاني والبيان : « وهل بعد الزول إلا الزول » ؛ والزول : تشقق ناب البصير ،
وذلك في السنة التاسعة ؛ يريد بهذه العبارة : وهل بعد الوصول إلى الغاية إلا الأخذ في التقصان .

(١٠) يريد خلافة أبي بكر رضي الله عنه ؛ والتيمية : نسبة إلى تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وهم
رطل أبي بكر . (١١) كذا في الأصل ؛ والذي في التيمية : « وصاحبها » . ^{٢٥}



مات في نأناة الإسلام؛ [أم] على عهد الرسالة ويوم آفتح قيل: أسكني يا فلانة،^(١)

فقد ذهب الأمانة؛ أم في الباهلية وليد يقول:

* [وبقيت في خلف كحلد الأجر] *^(٢)
^(٤)
^(٥)

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول:] :

بلادُ بها كنا وكنا نحبها * إذ الناس ناسٌ والزمانُ زمانُ

أم قبل ذلك ويروى لآدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الأرض مغبرٌ قبيحُ

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدِّمَاءَ ﴾ ما فسّد الناس ، ولكن أطرد القياس ؛ ولا أطلمت الأيام ، إنما أمتد

الإلظام ؛ وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ، ويمسى المرء إلا عن صباح ؟

ولعمري إن كان كرم العهد كتابا يرد ، وجوابا يصدر ، إنه لقريب المنال ، وإني على

توبيخه لى لفقر إلى لقائه ، شفيق على بقائه ، منتسب إلى ولائه ، شاكر لآلائه .

وكتب ديع الزمان يستعطفه : إني خدمت مولاي ، والخدمة ريقٌ بغير إشهاد ،

وناصحته ، والمناصحة للودّ أوثق عِماد ؛ ونادمته ، والمنادمة رضاءٌ ثان ؛ وطاعته ،

والمطاعمة [نسب] دان ، وسافرت معه ، والسفر والأخوة رضيعاً لبان ، وقت بين

(١) وردت هذه العبارة في اللسان والأساس هكذا : « طوبى لمن مات في النأنة » ؛ والنأنة :

أول الإسلام ؛ قال الرخشي : ومعناها الضعف قبل أن يقوى ويعز .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها ؛ انظر رسائل بديع الزمان .

(٣) في المصادر التي بن أيدينا لهذه الرسالة : « اسكني » بالثاء .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر .

(٥) الخلف فتح الخاء وسكون اللام : الأردباء الأخساء ؛ وصدر البيت : « ذهب الذين يعاش

في أكثافهم » . (٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها ؛ انظر كشف المعاني

والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ٣٠٣ طبع بيروت .

يديه ، والقيام والصلاة شريكاً عنان^(١) ؛ وأُثْبِتُ عليه ، والثناء عند الله بمكان ؛ وأَخْلَصْتُ له ، والإخلاص مشكورٌ بكلِّ لسان .

ومن كلام أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد — وكان وزيراً كاتباً —
كتب عن ركن الدولة بن بويه كتاباً لمن عصى عليه :

٥ كُتِبَ وَأَنَا مَرْتَجٍ بَيْنَ طَمَعِ فَيْك ، وَإِيَّاسِ مِنْكَ ، وَإِقْبَالِ عَلَيْكَ ، وَإِعْرَاضِ عَنْكَ ؛ فَإِنَّكَ تُدْلِي بِسَابِقِ خِدْمَةٍ ، وَتَمُتُّ بِسَالِفِ حُرْمَةٍ ؛ أَيْسُرُهَا يُوجِبُ رِعَايَةَ ، وَيَقْتَضِي مَحَافَظَةً وَعِنَايَةً ؛ ثُمَّ تَشْفَعُهُمَا بِحَادِثِ غُلُولٍ وَخِيَانَةٍ ، وَتُدْبِعُهُمَا بِأَنْفِ خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ ؛ وَأَدْنَى ذَلِكَ يُحِيطُ أَعْمَالُكَ ، وَيَحْقُقُ كُلُّ مَا يُرْعَى لَكَ ؛ لَا جَرَمَ أَنِّي وَقَفْتُ بَيْنَ مَيْلٍ إِلَيْكَ ، وَمَيْلٍ عَلَيْكَ ؛ أَقْدَمَ رَجُلًا لَصْمَدِكَ^(٢) ، [وَأَوْخَرُ^(٣)] أُخْرَى عَنْ قَصْدِكَ ؛ وَأَبْسَطَ يَدًا لَأَصْطِلَامِكَ وَأَجْتِيَاكِ^(٤) ، وَأَنْبَى ثَانِيَةً نَحْوَ اسْتِبْقَانِكَ وَاسْتِصْلَاحِكَ ؛ وَأَتَوَقَّفُ عَنْ أَمْتَالِ بَعْضِ الْمَأْمُورِ فَيْكَ ضَنْناً بِالنِّعَةِ عِنْدَكَ ، وَمُنَافَسَةً فِي الصَّنِيعَةِ لَدَيْكَ ؛ وَتَأْمِيلًا [لَفَيْئَتِكَ^(٥)] وَأَنْصِرَافِكَ ، وَرَجَاءً لِمُرَاجَعَتِكَ وَانِعْطَافِكَ ؛ فَقَدْ يَعْزُبُ الْعَقْلُ ثُمَّ يُؤْوِبُ ، وَيَغْرُبُ اللَّبُّ ثُمَّ يَثُوبُ ، وَيَذْهَبُ الْعِزْمُ ثُمَّ يَعُودُ ، وَيَفْسُدُ الْحَزْمُ ثُمَّ يَصْلُحُ ، وَيَضَاعُ الرَّأْيُ ثُمَّ يَسْتَدْرِكُ ، وَيَسْكُرُ الْمَرْءُ ثُمَّ يَصْحُو ، وَيَكْدَرُ الْمَاءُ ثُمَّ يَصْفُو ؛ وَكُلُّ ضَيْقَةٍ فِإِلَى رِخَاءٍ ، وَكُلُّ غَمْرَةٍ فِإِلَى أَنْجَاءٍ ؛ وَكَمَا أَنَّكَ أَتَيْتَ مِنْ إِسَاءَتِكَ مَا لَمْ تَحْسِبْهُ أَوْلِيَاؤُكَ ، فَلَا تَدْعُ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا لَمْ تَرْقُبْهُ أَعْدَاؤُكَ ؛ وَكَمَا

(١) يقال : بينهما شركة عنان . إذا اشتركا على السواء ، لأن العنان طاقان مستويان .

(٢) في الأصل : « عليك » ؛ وهو تحريف .

(٣) في يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٠ طبع دمشق : « لصدك » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر .

(٥) في يتيمة الدهر : « لاستبقائك » .

(٦) في يتيمة : " فلا بدع " بالباء الموحدة ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

- استمرت بك الغفلة حتى رَكِبْتَ مَارَكِبَتَ ، واختَرْتَ ما اختَرْتَ ، فلا عجب أن تنبَهَ انتباهَةً تبصر فيها قبيحَ ما صنعتَ ، وسوءَ ما آثرتَ ؛ وسأقيم على رسمى في الإبقاء والمساطة ما صلَحَ ، وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمَكَنَ ، طمعا في إنابتك^(١) ، وتحكيميا لحسن الظن بك ؛ فلستُ أعدم فيما أظاهره من إعذارك ، وأرادفه من إنذارك ، احتجاجا عليك ، وأستدرأجا لك ؛ وإن يشأ الله يُرشدك ، ويأخذ بك الى حطّك ويسدّدك ؛ فإنه على كلّ شيء قدير .

- وفي فصل منه : وزعمتُ أنك في طَرَفٍ من الطاعة بعد أن كنت متوسّطها ، وإن كنت كذلك فقد عرفتَ حالتها ، وحلبت شَطْرَها ، فناشدتك الله لما صدقتَ عما أسألك : كيف وَجَدْتَ ما زُلْتَ عنه ، وتجد ما صرْتَ إليه ؟ ألم تكن من الأوّل في ظلّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء ندى ، وماء روى ، ومهاد وطيّ ؛^(٢) وكنّ كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتالف ، ويؤمنك المخاوف ؛ ويكشفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحداث ؛ عززت به بعد الدّلة^(٣) ، وكثرت بعد القلّة ؛ وارتفعت بعد الضّعة ، وأيسرت بعد العُسْر ، وأثريت بعد المتربة ، وأنسعت بعد الضيق ، وأطافت بك الولايات ، وخففت فوقك الرايات ، ووطّئ عَقَبَك الرجال ، وتعلّقت بك الآمال ؛ وصرت تكاثُر ويكاثُر بك ، وتُسِير ويشار اليك ؛^(٤)



- (١) في الأصل : ”وتحكيمك بحسن“ والسياق يقتضى ما أثبتنا .
 (٢) في الأصل : ”غدى“ بالعين المعجمة ؛ وفي يتيمة الدهر ”عدى“ ؛ وهو تحريف في كليهما ؛ والسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا .
 (٣) في الأصل : ”ويؤملك“ باللام ، وهو تحريف .
 (٤) في الأصل : ”رمت“ وهو تحريف .
 (٥) في يتيمة الدهر ج ٣ ص ١١ طبع دمشق : ”وظفرت بالولايات“ ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

وَيَذْكُرْ عَلَى الْمُنَابَرِاسْمِكَ، وَفِي الْمَحَاضِرِ ذِكْرُكَ؛ ففيم أنت الآن من الأمر؟ وما العوضُ
مما ذكرتُ وعددت، والخلفُ عما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من
الطاعة نفسك، ونفصت منها كففك، وغمست في خلافتها يدك؟ وما الذي أظلك
بعد انحسار ظلّها عنك؟ أَظَلَّ ذُو ثَلَاثِ شُعَبٍ، لَا ظِلِيلَ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ؟
قل: نعم، فذاك والله أَكْنَفُ ظِلَالِكَ فِي الْعَاجِلَةِ، وَأَرْوَحُهَا فِي الْآجِلَةِ؛ إِنْ أَقَتَ
عَلَى الْحَادَّةِ وَالْعُنُودِ، وَوَقَفْتَ عَلَى الْمُشَاقَّةِ وَالْمُجُودِ. ^(١)

ومنه: تأمل حالّك وقد بلغت هذا الفصل من كلامي فسُنِّكِرْهَا، ^(٢) والمِسْ
جسدك فانظر هل يحس، وأجسُسْ عرقك هل يَبْيِضُ، وقش ما حنى عليه
أضلاعك هل تجد في عرضها قلبك؟ وهل حلا بصدرك أن تظفر بقوة مريح ^(٣)
أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرِك بشاهده، وأحرشاًنك بأوله. ١٠

وكتب الصاحب أبو القاسم كافي الكفاة في وصف كتاب: ومن هو الذي
لا يُحِبُّهُ وهو علم الفضل، وواسطة الدهر، وقرارة الأدب والعلم، وجمع الدراية
والفهم؛ أَمِنْ يَرِغِبُ عَنْ مَكَاثِرِهِ بَمَنْ يُنْسَبُ الرِّبْعُ إِلَى خُلُقِهِ، وَيَكْتَسِبُ مُحَاسِنَهُ
مِنْ طَبِيعِهِ، وَيَتَوَشَّحُ بِأَنْوَارِهِ، وَيَتَوَضَّعُ بِأَنْوَارِ لِسَانِهِ وَيَدِهِ؟ وَصَلْ كِتَابُهُ، فَارْتَحْتُ
لِعُنْوَانِهِ قَبْلَ عِيَانِهِ، حَتَّى إِذَا فَضَضْتُ خَتَامَهُ أَقْبَلْتُ الْفَقْرُتَكَثَرُ، وَالْدَّرُّ تَنَاقَرُ؛
وَالْغَرُّ تَنَاقَرُ كَمْ، وَالتَّكْتُ تَنَاقَرُ؛ إِذَا حَكَمْتُ لِلْفُظَّةِ بِالسَّبْقِ أَنْتَ أَخْتُهَا لِنَفَاسِ، ^(٤) ١٥

(١) العنود: من عند عن الطريق إذا مال.

(٢) كذا في البيضة؛ والدي، في الأصل: "مستكرها".

(٣) كذا في الأصل؛ والذي في يتيمة الدهر: «سريح» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

والسريح: السريع المعجل. والمزيج: من الإزاحة، وهي الإبعاد.

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها. (٥) لعله: «تنافر»؛ إذ به

يتم السجع الذي توخاه الكاتب في أكثر رسالته؛ والتنافر، التعاكس في الفخر.

وأقبلت لديها لتفانح، حتى استعفيت من الحكومة، ونفضت يدي من غبار
الخصومة؛ وأخذت أقول: كلكتن صوادر عن أصل واحد قسائن، وأرفاد عن
معدن رافد فتصالحن، وقد وليت النظر بينهما من كل لنسج برودهما، ووقى بنظم
عقودهما؛ على أنني يامولاي أنشأت هذه الأحرف وحول أعمال وأشغال لا يسلم
معهما فكر، ولا يسلم بينهما طبع؛ وتناولت قلما كالابن العاق، بل العدو المشاق؛
إذا أردته استقال، وإذا قومته مال؛ وإذا حثته وقف، وإذا وقفته انصرف؛ أحدل
الشق؛ متفاوت البري، معدوم الجري؛ محرف القط، مشج الخط؛ ثم رأيت
العدول عنه ضربا من الانقياد لأمره، والانخراط في سلكه، بجهدته على رغبه،
وكدده على صعره؛ لا جرم أت جنابة اللجاج بادية على صفحات الحروف لا تحفى،
وعادية المحك لائحة على وجوه السطور تتجلى.

١٠

وكتب: والله يعلم أني أخبرت بورود كتابه واستفزنى الفرح قبل رؤيته،
وهز عطفى المرح أمام مشاهدته؛ فما أدري، أسمعت بورود كتاب، أم ظفرت
برجوع شباب؟ ثم وصل بعد انتظار له شديد، وتطلع الى وصوله طويل عريض؛
فتأملته فلم أدر ما تأملت، أخطا مسطورا، أم روضا ممتورا، أم كلاما منشورا،
أم وشيا منشورا؟ ولم أدر ما أبصرت في أثائه، أبيات شعر، أم عقود دز؟ ولم أدر
ما جأته، أغيث حل يوادى ظمان، أم غوث سبق إلى هفان؟

١٥

وكتب: وصل كتاب القاضى فأعظمت قدر النعمة في مطلع، وأجلت محل
الموهبة بموقعه؛ وفضضته عن السحر حلالا، والماء زلالا؛ وسرحت الطرف منه

(١) فى الأصل: «وارد»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

(٢) الأحدل: المائل.

(٣) الشج: المعنى الخفى. (٤) المحك: التحدى فى اللجاج والغضب.

٢٠

في رياض رقت حواشيها، وحلّ تائق واشيها؛ فلم أتجاوز فصلا إلا إلى أخطر منه^(١) فضلا، ولم أخط سطرًا إلا إلى أحسن منه نظرًا ونثرًا.

وكتب أيضا: وصل كتابك فجعلتُ وصوله عيدًا أوّرخ به أيام بهجتى، وأفتتح به موافيت غبطينى؛ وعرفتُ من خبر سلامتك ما سألتُ الله الكريم أن يصله بالدوام، ويرفعه على أيدي الأيام.

وكتب أيضا: وصل كتابه — أيده الله — يضحك عن أخلاقه الأرجة، ويتلّ عن عشرته العطرة؛ ويخبر عن عافية الله لمن رأيت شمل الخزية به منتظما، وشعب المروءة له ملثما؛ ويحمل من أنواع برّه ما أقصر عن ذكره، ولا أطمع في شكره؛ ويؤدّي من لطيف اعتذاره في أثناء عتبته، ما تردّد أسباب المودة تمهيدا به؛ وفهمته، ورغبت إلى الله بأخلص طوية، وأمحض نية^(٢).

وقال أبو الفرج البغاء من رسالة إلى عذّة الدولة أبي تغلب جاء منها: أصحّ دلائل الإقبال، وأصدق براهين السعادة — أطال الله بقاء سيّدنا — ما شهدت العقول بصحته، ونطقت البصائر بحقيقته، ونعمة الله على الدّنيا والدّين بما أولاها من اختيار سيّدنا لحراستهما بناظر فضله، وسرّهما بطلّ عدله؛ مفصّحة بتكامل الإقبال، مبشرة بتصديق الامال

محروسة ضمن الشكر الوقف لها * على الزيادة نيل السؤل والدرك

(١) في الأصل: «أخضر» بالصاد، وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «ولم أخط» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: «إلا إلى».

(٣) في الأصل: «سما»؛ وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا.

(٤) إلى هنا وردت هذه الرسالة في الأصل؛ والكلام بقية سقطت من النسخ، ولم نقف عليه فيما

تَحَقَّقَ الْعَصْرُ أَنَّ الْمُلْكَ مِنْذُ نَشَأَ * لَهُ أَبُو تَغْلِبَ أَسْمٌ غَيْرُ مُشْتَرَكٍ
وَاسْتَخْلَفَ الْفَلَكُ الدَّوَّارَ هَيْتَهُ * فَلَوْوَنَى أَغْنَتْ الدُّنْيَا عَنِ الْفَلَكِ

مَامُونُ الْهَفَوَاتُ ، مَتَنَاصِرُ الصِّفَاتِ ؛ رَبُّنِي ^(٢) التَّفَاسَةُ ، حَمْدَانِي السِّيَاسَةُ ،
نَاصِرِي الرِّيَاسَةِ ؛ عَطَارِدِي الذِّكَا ، مَوْفِقِي الْأَرَاءِ ؛ شَمْسِي التَّائِيرِ ، قَمَرِي التَّصْوِيرِ ،
فَلَكَ التَّدْيِيرِ ؛ لِلصَّدَقِ كَلَامُهُ ، وَلِلْعَدْلِ أَحْكَامُهُ ، وَلِلْوَفَاءِ ذِمَامُهُ ؛ وَلِلْحَسَامِ غَنَاؤُهُ ،
وَلِلْقَدْرِ مَضَاؤُهُ ، وَلِلسَّحَابِ عَطَاؤُهُ

دَعْوَتُهُ فَاجَابَتْنِي مَكَارِمُهُ * وَلَوْ دَعَوْتُ سِوَى نِعْمَاهُ لَمْ تُجِبْ
وَجَدْتُهُ الْغَيْثَ مَشْغُوفًا بِعَادَتِهِ * وَالرَّوْضَ يَحْيَا بِمَا فِي عَادَةِ السَّحْبِ ^(٣)
لَوْ فَاتَهُ النَّسَبُ الْوَضَاحُ كَانَ لَهُ * مِنْ فَضْلِهِ نَسَبٌ يُغْنِي عَنِ النَّسَبِ
إِذَا دَعَتْهُ مَلُوكُ الْأَرْضِ سَيِّدَهَا * طَرَا دَعْتُهُ الْمَعَالَى سَيِّدَ الْعَرَبِ .
وَكَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ الْقَاشَانِيُّ : ^(٤)

مَا أَرْتَضَى نَفْسِي لِمَخَاطَبَةِ مَوْلَايَ إِذَا كُنْتُ مِنْفَى الشَّوَاغِلِ ، فَارَغَ الْخَوَاطِرُ ،
مُحَلِّي الْجَوَارِحِ ، مُطْلَقَ الْإِسَارِ ، سَلِيمَ الْأَفْكَارِ ، فَكَيْفَ مَعَ كَلَالِ الْحَدَّةِ ، وَانْفِلَاقِ
الْفَهْمِ ، وَاسْتِهَامِ الْقَرِيحَةِ ، وَاسْتَعْجَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَالْمَعْوَلُ عَلَى النِّيَّةِ ، وَهِيَ لِمَوْلَايَ
بَطَّهَرِ الْغَيْبِ مَكْشُوفَةٌ ، وَالْمَرْجِعُ إِلَى الْعَقِيدَةِ ، وَهِيَ بِالْوَلَاءِ الْمَحْضِ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَلَا مَجَالَ
لِلْعُتْبِ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، لِلْعَذْرِ وَرَاءَ هَذِهِ الْخِلَالِ .

(١) يقال : تناصرت الصفات ، إذا صدق بعضها بعضا .

(٢) الربيعي : نسبة إلى الربيع على غير قياس .

(٣) « دارد الأصل . » مشغوفاً بعبادة ، وهو تحريف لا يسمي به المعنى ، والصواب عن يتيمة

الدهرج ١ ص ١٨٧ طبع دمشق .

(٤) كذا في الأصل . والذي في يتيمة الدهرج ٢ ص ١٠١ طبع دمشق : « أبو القاسم » .

وقال محمد بن العباس الخوارزمي : الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب في المحاسن بالقِدْح المَعْلَى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، ولم يجعل فيه موضعا لِلَوْلَا ، ولا مجالا لِإِلَّا ؛ فإن الاستثناء إذا اعترض في المدح أنصبّ ماؤه ، وكُدِّر صفاءه ، وأنطلق فيه حسّاده وأعداؤه ؛ ولذلك قالوا : ما أحسن الظّيَّ لولا خُدْسُ أنفه ! وما أحسن البدرَ لولا كَلْفُ وجهه ! وما أَطْيَبَ الخمرَ لولا الخمار ! وما أشرف الجودَ لولا الإقنار ! وما أحمدَ مَغَبَّةَ الصبرِ لولا فناءُ العمر ! وما أَطْيَبَ الدنيا لو دامت

ما أَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الْجُودَ مَكْسَبَةٌ * للحمد لكنه يأتي على النَّسَبِ .

١٢٠

ذكر شيء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكتّابهم

من ذكرهم ابن بسام في كتابه المترجم بالذخيرة

في محاسن أهل الجزيرة

منهم ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون ، فمن كلامه رسالة كتبها على لسان محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري إلى إنسان استمالها إلى نفسه عنه ، وهي :

أما بعد ، أيها المصائبُ بعقليه ، المورطُ بجھله ؛ البين سَقَطَه ، الفاحشُ غَلَطَه ؛ العائرُ في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ؛ الساقطُ سقوط الذباب على الشراب ، المتهافُ تَهافتَ الفدراش في الشهاب ؛ فإن العُجْبَ أكْذَبُ ، ومعرفة المرء نفسه أصوب ؛ وإنك راسلتني مستهديا من صِلَتِي ماصِفِرْتُ منه أيدي أمثالك ، متصديا من

(١) الخنس بفتح الحاء والنون : تانخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .

(٢) كذا في سرح العيون ص ١١ طبع بولاق ، وفي الأصل : « إلى » ؛ والتهافت : التساقط .

خُلِّيَ لِمَا قُرِعَتْ فِيهِ أُتُوفُ أَشْكَالِكَ ، مَرِيلاً خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلاً عَشِيقَتِكَ
قَوَادَةً ، كَاذِباً نَفْسَكَ [أَنْكَ] سَتَنَزِلُ عَنْهَا إِلَى ، وَتَخْلُفُ بَعْدَهَا عَلَى^(٢)
وَلَسْتُ بِأَقْوِي ذِي هِمَّةٍ * دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ^(٣)

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا قُلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَصْنَعْ بِكَ ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَغْرِ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهَا أَعْدَرَتْ
فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَاعِمَةً أَنَّ الْمَرْوَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ ،
وَالْإِنْسَانِيَّةُ أَسْمُ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيُولَاهُ ، قَاطِعَةٌ أَنْتَ أَنْفَرَدْتَ بِالْجَمَالِ ، وَأَسْتَأْثَرْتَ
بِالْكَمَالِ ، وَأَسْتَعَلَيْتَ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَاسْتَوَلَيْتَ عَلَى مُحَاسِنِ الْخِلَالِ ، حَتَّى^(٤)
خَيَّلْتَ أَنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَاسَنَكَ فَغَضَضْتَ مِنْهُ ، وَأَنَّ أَمْرَأَةَ الْعَزِيزِ
رَأَتْكَ فَسَلَّتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ قَارُونَ أَصَابَ بَعْضَ مَا كَثَرَتْ ، وَالنَّظْفُ عَثْرٌ عَلَى فَضْلِ^(٥)

١٠ (١) فِي بَعْضِ نَسْخِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ : « دُونَهُ » ، وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا عَنْ سِرْحِ الْعَبُونَ فِي شَرْحِ رِسَالَةِ ابْنِ زَيْدُونَ لِأَنَّ بَيَانَةَ
الْمَصْرِيَّ ص ١٤ طَبِعَ بُولَاق .

(٣) الْبَيْتُ لِلنَّبِيِّ

(٤) وَرَدَتْ هَذِهِ الْفَقْرَةُ فِي الْأَصْلِ قَبْلَ قَوْلِهِ : « قَاطِعَةٌ » الْخِ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي أَخْبَرَهَا كَمَا فِي سِرْحِ

١٥ الْعَبُونَ ص ٢١

(٥) النَّظْفُ : هُوَ ابْنُ جَبْرِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْيَرْبُوعِي ، وَكَانَ مَقِيماً بِالْبَادِيَةِ مَعَ بَنِي تَمِيمٍ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ
عَامِلُ كَسْرَى عَلَى الْبَيْتِ كَانَ يَحْمِلُ ثِيَاباً مِنْ ثِيَابِ الْبَيْتِ وَذَهَباً وَمَسْكَاً وَجَوْهَراً ، وَيُرْسِلُهُ إِلَى كَسْرَى مَعَ خَفَرَاءَ
مِنْ بَنِي الْجَعْدِ الْمَرَاذِبَةِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى أَرْضِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَيَبِيعُ مَعَهَا هُوْذَةً مِنْ يَحْيَاوْزَهَا أَرْضِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَلَمَّا
كَانَتْ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فِي أَرْضِ بَنِي حَنْظَلَةَ تَعَرَّضَ لَهَا بَنُو يَرْبُوعٍ فَأَعَارُوا عَلَيْهَا وَقَتَلُوا مِنْهَا مِنْ الْعَرَبِ
وَالْفَرَسِ ، وَكَانَ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَاجِيَّةُ بْنُ عَمَالٍ وَالْحَرْثُ بْنُ خَفْجَةَ وَالنَّظْفُ بْنُ حَبِيبٍ هَدَا ، وَكَانُوا مَرْسِلاً
بَنِي تَمِيمٍ ، فَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، فَصَلَّى النَّظْفُ عَلَى شَيْءٍ ، كَثَرَتْ ، وَصَرَبَ بِهِ الْمَثَلُ . (أَطَارُ سِرْحِ الْعَبُونَ ص ٢٥ طَبِعَ
الْمَطْبَعَةُ الْأَمِيرِيَّةُ . وَالَّذِي فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « نَظْفُ » نَقَلًا عَنْ ابْنِ بَرِّي أَنَّهُ ابْنُ الْخَيْبَرِيِّ أَحَدُ بَنِي سَلِيطَ
ابْنِ الْحَرْثِ بْنِ يَرْبُوعٍ ، وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ أَيْضاً أَنَّ اسْمَهُ حَطَّانُ .

(١) ما ركزت ؛ وكسرى حَمَل غاشيتك ، وقيصَرَ رعى ماشيتك ؛ والإسكندر قَتَلَ داراً^(٣)
 في طاعتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك ؛ والضُّحَاك^(٥)
 أَسَدَعَى مسالمتك ، وجَذِيمة الأبرش^(٦) تَمَتَّى منادمتك ؛ وشيرين^(٧) نافست بُوران^(٨) فيك ؛

(١) هو من الركاز، وهو دفين مال الجاهلية .

(٢) أراد غاشية السرج ، وهي عطاؤه .

(٣) هو دارا الأصغر ابن دارا الأكبر ابن أردشير ملك الفرس ؛ وكان بينه وبين الإسكندر بن فيليب ملك الروم حرب بسبب إتاوة كانت يدفعها أبو الإسكندر لملوك الفرس ، فلما جاء الإسكندر منع هذه الإتاوة ، فخاربه دارا ، والتقى الجمعان بنصيبين الجزيرة ، وانتهت الوقعة بقتل دارا وانتهزام الفرس انظر شرح العيون وقد اعتمدنا عليه في أكثر شرحنا لما ورد في هذه الرسالة من الحوادث التاريخية والأبيات والأمثال .

(٤) أردشير : هو اس بابك من ولد بهمن الملك ؛ وأردشير هذا أول الفرس الثانية ؛ وكان من أمره وأمر ملوك الطوائف أن الإسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس ، وفرق من بقى منهم ، وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان ، فلما توفي الإسكندر وتفاصر ملك اليونان بعد مدة تحرك أردشير - وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على اصطخر - ، وخرج طالبا للملك ، وأوهم أنه يطلب بثأر ابن عمه دارا ، وجمع الجوع ، وكاتب ملوك الطوائف في ذلك ، فمنهم من أطاعه ومنهم من تأخر عنه ، فخرج بعساكره فقتل المتأخر ، ثم عطف على بقيتهم فقتلهم ، وتسمى بعد ذلك شاهنشاه الأعظم ، ومعناه : ملك الملوك .

(٥) الضحاك : يزعم قوم أنه ابن الأهوب بن عوج بن طهمورث بن آدم ، وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنج . وقال قوم إنه من العرب من قحطان ، وإيمانية تدعيه . وملك بعد جمشيد ، فطغى وتجبر وكثر ظله وفساده ، وطالت مدته في الملك حتى قتل .

(٦) هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخي ، وقيل : الأزدي ، أول من قاد العرب وملك على قضاة وكانت مازله الحيرة والأنبار ، وكان أحرص ، فعدل عن هذا الاسم ، فقيل : الأبرش بالشين المعجمة ، والوضاح .

(٧) شيرين : هي زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان .

(٨) بوران : هي بنت أبرويز المتقدم . وقد ملكت بعد شهر يار بن أبرويز .

وَبَلْقَيْسُ غَايِرَتِ الزَّيْبَاءَ عَلَيْكَ ؛ وَأَتَى مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ إِنَّمَا رَدَفَ لَكَ ؛ وَعُرْوَةُ بْنُ جَعْفَرٍ
 إِنَّمَا رَحَلَ إِلَيْكَ ؛ وَكَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمَرْعَى بِعِزَّتِكَ ؛ وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ
 بِأَنْفَتِكَ ؛ وَمُهْلِلًا إِنَّمَا طَلَبَ نَارَهُ بِهَيْمَتِكَ ؛ وَالسَّمُوعِلُ إِنَّمَا وَفَّى عَنْ عَهْدِكَ ؛

(١) بلقيس : هي ابنة الحرث بن سبأ ، وقصتها في القرآن معروفة في سورة النمل .

(٢) الزباء ، هي ملكة الجزيرة ؛ وتعد من ملوك الطوائف ؛ ولقبت الزباء لكثرة شعرها وطوله ،
 واسمها : بارعة ، أو عيسون ؛ وهي ابنة عمرو بن الظرب . وقد قتله جذيمة الأبرش وأخذ ماله وقامت
 هي بأخذ ناره . انظر القاموس وشرحه .

(٣) هو مالك بن نؤيرة بن شداد اليربوعي التيمي ، فارس ذي الخمار — وذو الخمار فرسه — وكان
 مالك من فرسان العرب وشجعانهم ، وذوى الرداة في الجاهلية ، وكانت الرداة لبنى يربوع أيام آل
 المنذر ؛ وأدرك مالك بن نؤيرة الإسلام وأسلم ، وقتله خالد بن الوليد في حروب أهل الردة في زمن أبي بكر
 رضي الله تعالى عنه . وفي اللسان مادة ردف أن أرداف الملوك في الجاهلية : الذين كانوا يخلفونهم في القيام
 بأمر المملكة بمنزلة الوزراء في الإسلام .

(٤) هو عروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة ، وأهل بيته ينتسبون إلى جعفر ، فيقال :
 الجعفريون ؛ وكان يعرف بمروءة الرجال لرحلته إلى الملوك ؛ وكان من ذوى العقل والشجاعة ، وهو من
 أرداف الملوك .

(٥) هو كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلي ؛ ويضرب به المثل فيقال : ” أعز من حمى كليب “
 وكان يحمي مواقع السحاب فلا يرعاه أحد غيره ، وكان إذا مرّ برعى قذف فيه جروا فيعوى ، فلا يرعى أحد
 من ذلك الكلاب .

(٦) جساس : هو ابن مرة بن ذهل ، وهو قاتل كليب ؛ وسبب ذلك أن كليبا رأى بين إبله ناقة
 كانت لحالة جساس فأنكرها ورواها بسهم في ضرعها ، فمظم ذلك على جساس وخائنه ، فلم يزل جساس
 بكليب حتى قتله .

(٧) مهليل : هو ابن ربيعة بن الحرث أخو كليب المتقدم ذكره ، ومهليل لقبه ، واسمه عدى ،
 ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل نسج الشعر ، أى أرقه ؛ وهو خال امرئ القيس بن حجر .

(٨) السموءل : هو ابن عدياء من يهود يثرب ؛ وكان يضرب به المثل في الوفاء فيقال : « أوفى من

السموئل » .

وَالْأَحْنَفُ ^(١) إِنَّمَا أَحْتَبَىٰ فِي بُرْدِكَ ؛ وَحَاتِمًا ^(٢) إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ ، وَلَقِيَ ^(٣) الْأَضْيَافَ بِشِيرِكَ ؛
وَزَيْدُ بْنُ مَهْلَهْلٍ ^(٤) إِنَّمَا رَكِبَ بِفَخْذِكَ ، وَالسُّلَيْكُ ^(٥) بْنُ السُّلَيْكَةِ ^(٦) إِنَّمَا عَدَا عَلَى رِجْلِكَ ،
وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ^(٧) [إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ ^(٨) بِيَدَيْكَ ؛ وَقَيْسَ ^(٩) بْنِ زُهَيْرٍ] ^(١٠) إِنَّمَا أَسْتَعَانَ بِدَهَائِكَ ،
وِإِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ^(١١) إِنَّمَا اسْتَضَاءَ بِمَصْبَاحِ ذَكَائِكَ ؛ وَتَحْبَابُ ^(١٢) ^(١٣) إِنَّمَا تَكَلَّمَ بِلِسَانِكَ ،

٥ (١) الأحنف : هو الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصن السعدي ، وكنيته : أبو بحر ، وكان يضرب به المثل في الحلم والسيادة ؛ وكانت وفاته بالكوفة سنة سبع وستين كما في وفات الأعيان والذي في شذور العقود لابن الجوزي أن وفاته كانت سنة تسع وستين .

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، وكنيته أبو سفانة بتشديد الفاء وأبو عدى ؛ ويضرب به المثل في الجود . (٣) هو زيد بن مهلهل بن ريدان الطائي ؛ وكان فارساً مظفراً بعيد الصيت ، أدرك الإسلام وأسلم ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وكان قبل ذلك يسمى زيد الخليل باللام ، وإنما سمي بذلك لكثرة خيله . (٤) السليك : هو ابن عمرو بن يثرب ، أحد بني مقاعس ؛ والسليكة أمه ، وهو جاهلي ؛ وكان من صاعليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل .

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة ، ويعرف بملاعب الأسنة ، ويكنى أبا براء ، وأمه أم البنين أنجب امرأة في العرب ، وإنما لقب بملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :
يلعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكائب أجمع

(٦) هذه التكمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . وقيس بن زهير الذي ذكره : هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين : داحس والغبراء ، وكان فارساً شاعراً داهية ، يضرب به المثل فيقال : "أدهى من قيس" .

(٧) في الأصل : « بذهايك » بالذال والياء الموحدين ، وهو تحريف .

(٨) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني ؛ ولى قضاء البصرة في زمن عمر بن عبد العزيز ، وهو صاحب الفراسة والأجوبة البديعة ، ويضرب به المثل فيقال : « أركن من إياس » ؛ وتوفي في سنة إحدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة .

(٩) هو تحبان بن زفر بن إياس الوائلي ، — وائل باهلة — وكان خطيباً مفصلاً ، يضرب به المثل في البيان واللسن ، أدرك الإسلام وأسلم ، ومات سنة أربع وخمسين .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

وعمر بن الأهتم إنما سحر بديانك ؛ وأت الصلح بين بكر وتغلب^(٢) تم برسالتك ، والحمالات^(١) في دماء عبس وذبيان أسندت إلى كفالتك ؛ وأن آحتيال^(٣) هريم لعامر^(٤) وعلقمة حتى رضيا كان عن رأيك ؛ وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع بعد مشورتك ؛

(١) هو عمرو بن سنان الأهم التيمي المنقري ، وإنما لقب أبوه بالأهم لأنه هتمت ثنيته يوم الكلاب ؛ وكان عمرو هذا من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام ، وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والبرقان بن بدر وأسلماء ؛ وتوفي عمرو في سنة سبع وخمسين .
(٢) بكر وتغلب هما ابني وائل ؛ وأشار بهذه العبارة إلى ما وقع بين الحيين من الحروب المشاة بحرب البسوس ، وقد استمرت أعواما كثيرة إلى أن تفانى الحيان ، وسببها قتل جساس بن مرة لكليب كما سبق ذكره ، إلى أن راسلهم في الصلح بينهم الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي ملك كندة ، وهو جد امرئ القيس الشاعر ، فلكوه عليهم فغلا في بقيتهم .

(٣) الحمالات : جمع حالة بفتح الحاء ، وهى ما يتجمله الرجل عن القوم من دية أو غرامة . وأشار بهذه العبارة إلى ما وقع بين عبس وذبيان من الحروب الكثيرة بسبب داحس والغبراء ، وهما فرسان : أولهما لقيس ابن زهير من عبس ، والثاني لحذيفة بن بدر من ذبيان ؛ وذلك أن رجلين تراهما على أى الفرسين أسبق ، فلما سبق داحس وهو فرس قيس بن زهير أخذ قيس سبق فرسه من حذيفة ، ثم وقعت بعد ذلك الحروب التى سلف ذكرها بين الحيين ، وكان أعظمها يوم الهبابة ، إلى أن أصلح بينهم هريم بن سنان والحارث بن عوف وحملوا عن القوم المغارم والديات ، وأذيا ذلك للقوم من ما لها .

(٤) هو هرم بن قطبة بن سيار من بني فزارة كما في اللسان مادة «هرم» . والذى في سرح العيون «ابن سنان» ؛ وهو تحريف . وكان هرم هذا حكما من حكام العرب يقضى بين ساداتهم فلا يرد قضاؤه . وعامر : هو ابن الطميل بن مالك . وعلقمة : هو علقمة بن علاثة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة ؛ وكان عامر وعلقمة قد تافرا إلى هرم بن سيار ليحكم أيهما أفضل وأكرم حسبا ، فكره هرم أن يفضل أحدهما على الآخر وسوى بينهما ، وخشى العداوة التى تقع بينهما بسبب تفضيل أحدهما على الآخر .

(٥) يقال : نافرته إلى الحكم فنفرنى عليه ، أى حاكمته فغلبنى عليه انظر الأساس ؛ وأشار بهذه العبارة إلى ما وقع بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهرم بن سيار المتقدم ذكره ، وذلك أن عمر سأله يوما ، وقال له : يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر؟ — يعنى علقمة وعامرا — ومن كان عندك الأفضل منهما ؟ فقال هرم : لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة ، يعنى الحرب بين الحيين ، فأعجب عمر بهذا القول من هرم ، وقال : بحق حكمتك العرب .

وَأَنْ الْحَاجَّ تَقْلَدَ وِلَايَةَ الْعِرَاقِ بِجَدِّكَ ، وَقُتَيْبَةُ قَتَحَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ ؛ وَالْمَهْلَبُ ^(٣)
أَوْهَى شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِأَيْدِكَ ، وَأَفْسَدَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ بِكَيْدِكَ ؛ وَأَنْ هِرْمِسَ ^(٤) أُعْطِيَ
بَلِينُوسَ مَا أَخَذَ مِنْكَ ، وَأَفْلَاطُونَ ^(٥) أَوْرَدَ عَلَى أَرِسْطُوطَالِيَسَ مَا حَدَّثَ عَنْكَ ؛

(١) الحجاج : هو ابن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ؛ وكانت ولادته في سنة إحدى وأربعين ،
ونشأ بالطائف ؛ وولى العراق ، من قبل عبد الملك بن مروان رابع خلفاء بني أمية ، فأخذ الفتن به ، وأوهى
شوكة الخوارج هناك ؛ وتوفي بواسط سنة خمس وتسعين .

(٢) قتيبة : هو ابن مسلم بن عمرو الباهلي ؛ نشأ في الدولة المروانية وترقى الى أن ولى الإمارات ،
وفتح الفتوحات الكثيرة ؛ وكان واليا على خراسان من قبل عبد الملك بن مروان بعد يزيد بن المهلب ،
وهو الذى فتح بلاد ما وراء النهر ؛ وفي وفيات الأعيان انه توفي سنة ست وتسعين . وما وراء النهر :
يراد به ما وراء نهري جيحون وخراسان . وما كان في شرقيه يقال له : بلاد الهياطلة ، وفي الاسلام سموه :
ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو : خراسان وولاية خوارزم .

(٣) المهلب : هو ابن أنى صمرة الأزدي العنكي البصري ؛ وقد نشأ في دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب
ابن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه عبد الله بن الزبير ، ثم ولاه عبد الله خراسان ؛ ودو الذى قاتل
الخوارج وأوهى شوكتهم ، وكانت وفاته في زمن الحجاج سنة ثلاث وثمانين . والأزارقة : هم الخوارج
القاتلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الأزرق ، ففسدوا اليه .

(٤) هرمس ، ذكر ابن نباتة في سرح العيون ص ١٠٨ أن هرمس هو الذى يزعم قوم من الصابئة
أنه نبي مرسل ، وأنه إندريس عليه السلام ويسندون اليه شرائعهم . وبلينوس هو الذى ترعى الصابئة
أيضا أن النبوة له بعد هرمس ؛ وكان بلينوس قد أخذ العلوم والأسرار عن هرمس هذا .

(٥) أفلاطون : هو ابن أرسطس ، الالهى ، معروف بالتوحيد والحكمة ، تتلذد لسقراط ،
وخلفه بعد موته ؛ وهو أحد المشائين المشهورين . وهى فرقة ترى مدارس الحكمة في حالة المشى
لرياضة البدن . وأرسطوطاليس : هو ابن نيقوماخوس ؛ وهو المعروف بالمعلم الأول ، وانما سمي
بذلك لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وقد تعلم الحكمة من أفلاطون وهو الذى علم الإسكندر
ابن فيليب .

(١) وبطلميوس سَوَى الأَسْطُرلابَ بتدبيرك، وصَوَّر الكَرَّةَ على تقديرِكَ؛ وأَبْقَرَطَ عِلْمَ
العَلَلِ والأمراض بلطف حَسَنَك، وجالينوس عَرَّفَ طبائِعَ الحشائشِ بِدَقَّةٍ نَظَرِكَ؛
وكلاهما قَدَلَك في العِلاج، وسألك عن المِزاج؛ وأسْتَوْصَفَكَ تَركِيبَ الأَعْضاء،
وأسْتَشَارَكَ في الداءِ والدواء؛ وأنتَ نَهَجْتَ لأبْنِي مَعَشِيرَ طَرِيقَ القِضاء، وأظهَرْتَ

- (١) بطليموس : هو صاحب كتاب المجسطى الكبير والجغرافيا والأسطرلاب وغير ذلك ، قال
جمال الدين بن نباتة في سرح العيون ص ١١٣ إنه أول من شرح القول على هيئات الفلك ، وأخرج علم
الهندسة من القوة الى الفعل ، وأكثر الرواة يقولون : إنه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر . ١٠
وأكثر ذلك القفطى في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٥ طبع لبسك وقال ما نصه : وكثير من الناس
من يدعى المعرفة بأخبار الأمم بخيلة أحد البطالسة الذين ملكوا الاسكندرية وغيرها بعد الاسكندر ، وذلك
غلط بين وخطأ واضح الخ . وأما الأسطرلاب ففتح الهمة وصمم الطاء كما نص على ضطه ابن خلكان في ترجمة
السديع الأسطرلابي : فقد قالوا : إنه باللغة اليونانية مِران الشمس ، وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ
الأرصاد ومطالع الكواكب .

- (٢) أبقرط : هو سابع الأطباء الثمانية المشهورين الذين أولهم أسقنبليوس وآخرهم جالينوس .
قال في سرح العيون : كان في زمن بهمن بن اسفنديار وقال القفطى في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء
ص ٩٠ طبع لبسك أنه كان في زمن اردشير من ملوك الفرس جد دارا بن دارا . وهو الذى بث صناعة
الطب في الناس ، وعلم الغرباء . بعد أن كانت هذه الصناعة مقصورة على طائفة يتوارثونها بالتلقين ، ولم يكونوا
يكتبون فيها شيئا ؛ وهو أول من اتخذ البيارستان ، وذلك أنه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للرضى ،
وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم ، وسماه : إحشيد ، أى مجمع المرضى ، وكذلك لفظ البيارستان بالفارسية .
(٣) جالينوس : هو آخر الحكماء المشهورين ، ويسمى حاتم الأطباء والمعلمين ، وذلك أنه عند ما ظهر
وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ومحييت محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل
آراءهم وشيد آراء أبقرط والتابعين له وصرها ، وساح وطلب الحشائش ، وجرَّبها ، وقاس أمرجتها
وطبائعها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب النفيسة في هذه الصناعة . (٤) في سرح العيون : « حدسك » .
(٥) أبو معشر : هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور ، كان في الأول من أصحاب الحديث
ببغداد ، وكان يشنع على الكندى الفيلسوف بمعلوم الفلسفة ، ويفرى به العامة ، فدس له الكندى من حسن له
النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك ، ثم عدل الى أحكام النجوم ، فمر فيها ، وانقطع شره عن
الكندى لأن ذلك من جنس علومه ، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين ومائتين . والمراد بالقضاء هنا : حكم
المنجمين بتأثير الكواكب أخذًا من قول الشاعر : « يقضون بالأمر عنها وهى غافلة » أى عن النجوم .

(١) جابر بن حيان على سِرِّ الكيمياء، وأعطيت النِّظام أصلاً أدرك به الحقائق، وجعلت للكندى رسماً استخرج به الدقائق؛ وأن صناعة الألحان اخترعك، وتأليف الأوتار توليدك وأبتدأك؛ وأن عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك، وسهل بن

(١) قال في سرح العيون عند شرحه لهذه العبارة مانصه: «وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه، وهذا دليل على قول أكثر الناس: إنه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن، وزعموا أنه كان في زمن حمير الصادق. (٢) النظام: هو إبراهيم بن سيار ابن هاني البصري، وكنيته: أبو إسحاق؛ وهو شيع من كبار المعتزلة وأتمتهم، متقدم في العلوم، شديد الغوص على المعاني؛ وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة، كما في سرح العيون. وقال الصفدي في كتاب الوافي بالوفيات إنه توفي سنة ثلاثين ومائتين تقريباً.

(٣) الكندى: هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس، وكنيته أبو يوسف؛ وكان الكندى متبحراً في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية، وهو فيلسوف العرب وأحد أئمة ملوكها؛ وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة للهدى والرشد، وكان جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وللكندي هذا تأليف مشهورة من المصنفات الطوال، ومن الرسائل القصار جملة متعددة، قال في كتاب إختيار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٦٨ طبع لبسك نقلاً عن ابن جلجل الأندلسي في كتابه: يعقوب بن الصباح الكندي كان شريف الأصل بصرياً، وكان جده ول الولايات لبني هاشم، ونزل البصرة، وانتقل الى بغداد، وهناك تأدب، وكان عالماً بالطلب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللغون والهندسة وطبائع الأعداد والهيئة، وله تأليف كثيرة في فنون من العلم الخ. (٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري، أحد الكتاب

المجيدبن الذين اشتهرت بلاعتهم حتى ضرب بها المثل، وكان كاتباً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد حتى عثر به أصحاب أبي مسلم، فسلموه الى السفاح، فسلمه الى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله سنة اثنين وثلاثين ومائة.

(٥) هو سهل بن هارون بن راهب، وكنيته أبو عمرو، من أهل نيسابور، نزل البصرة فنسب اليها، ويقال: إنه كان شعوبياً — والشعوبية: فرقة تبغض العرب، وتنعصب عليها للفرس — وقد انفرد سهل في زمانه بالبلانة والحكمة، وصنف الكتب معارضا بها كتب الأوائل حتى قيل له: بزجرهم الاسلام، وله اليد الطولى في الظلم والثر؛ وكان في أول أمره خصباً بالفضل بن سهل، ثم قدمه الى المأمون، فأعجب ببلاغته وعقله، وجعله كاتباً على خزانة الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص وفي معجم الأدباء إيساقوت ج ٤ ص ٢٥٩ أنه توفي في سنة مائتين وخمسة عشر.

١١٣

هارون مدون كلامك ؛ وعمر بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك ؛ وأنتك
الذى أقام البراهين ، ووضع القوانين ؛ وحدد الماهية ، وبين الكيفية والكمية ؛
وناظر في الجوهر والعرض ، وبين الصحة من المرض ؛ وفك المعنى ، وفصل بين
الاسم والمسمى ؛ وضرب وقسم ، وعدل وقوم ؛ وصنف الأسماء والأفعال ، وبوب
الظرف والحال ؛ وبنى وأعرب ، ونفى وتعجب ؛ ووصل وقطع ، وثنى وجمع ؛ وأظهر
وأضمر ، وأبتدأ وأخبر ؛ وأستفهم وأهمل وقيد ، وأرسل وأسد ، وبحث ونظر ،
وتصقح الأديان ، ورجح بين مذهبي ماني وغيلان ؛ وأشار بدعج الجعد ، وقيل بشار^(٥)

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب ، ويكنى أبا عثمان ، وهو المعروف بالجاحظ ؛ وهو إمام الفصحاء
والمتكلمين ؛ ولد بالبصرة ، ونشأ ببغداد ، واشتغل على أبي إسحاق النخاس بمذهب الاعتزال ، وتأمل كتب
الفلاسفة ، ومال إلى الطبيعيين منهم ، وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته ؛ وتوفي بالفالج
سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر التميمي ، وكنيته أبو عبد الله ؛ إمام دار الهجرة وصاحب
كتاب الموطأ . وذكر ابن حلكان في ترجمته أنه ولد في سنة خمس وتسعين ، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة .
(٣) ماني : هو الذي تنسب إليه الطائفة المانوية ؛ ظهر في أيام سابور بن أردشير ، وتبعه خلق كثير من
المجوس ، وأدعوا له النبوة ، وكان يرعى أن صانع العالم اثناث : فاعل الخير ، وهو النور ، وفاعل الشر ، وهو
الظلمة ؛ وقد قتل ماني في زمن بهرام بن سابور . وأما غيلان : فهو ابن يونس القدرى الدمشقي ، كان
أبوه مولى لعثمان بن عفان ؛ وغيلان أول من تكلم في القدر وحلق القرآن ، وقد قتل غيلان في زمن هشام
ابن عبد الملك .

(٤) الجعد : هو ابن درهم مولى بني الحكم ، كان يسكن دمشق ، ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء
بني أمية ، فنسب إليه ، وقيل له : مروان الجعدي ؛ وكان الجعد يقول بخلق القرآن ، ثم طلب فهرب ،
ثم نزل الكوفة فعلم منه الجهم بن صفوان القول الذي نسب إليه الجهمية ، ولم يزل الجعد بن درهم بالكوفة
حتى قتله خالد بن عبد الله القسري ، وإلى العراق من قبل هشام بن عبد الملك .

(٥) هو بشار بن برد الشاعر المعروف ، من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ؛ وكان جده
من طخارستان من سبي المهلب ؛ وكان بشار يرمي بالزندقة ؛ فأمر المهدي أن يضرب بالسياط ضرب التلف ،
فصرب حتى مات ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين ومائة ، ودفن بالبصرة .

ابن بُرد ، وأنتك لو شئتَ خرقتَ العادات ، وخالفَت المعهودات ؛ فأحلتَ البحارَ
عذبةً ، وأعدتَ السَّلامَ رَطْبَةً ؛ وَنَقَلْتَ غداً فصارَ أمسا ، وزدتَ في العناصرِ فكانت
تحمسا ؛ وأنتك المقولُ فيه : «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا»^(١)
و : ليس على الله بمستنكرٍ * أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ^(٢)

و المعنى بقول أبي تمام :

فلو صوّرتَ نفسَكَ لم تزدِها * على ما فيك من كرم الطباع

و المرادُ بقول أبي الطيّب :

ذِكْرُ الْأَنْأَمِ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً * كُنْتَ الْبَدِيعَ الْمَرَدَ مِنْ أْبْيَاتِهَا
ف«كَدَمْتَ غَيْرَ مَكْدَمٍ» وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ خَمٍّ ؛ وَلَمْ تَجِدْ لُرُوحٍ مَهْزَاً ، وَلَا لَشَفْرِهٍ مَحْزَاً ؛
بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ، وَتَمَنَيْتَ الرَّجُوعَ بَحْفَى حُنَيْنٍ ، لِأَنِّي قُلْتُ لَهَا :
«لَقَدْ هَانَ مِنْ بَالَتِ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ»^(٣)

وَأَنْشَدْتُ :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صَرْنَ كُلُّهَا * عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَابُ^(٤)

(١) السلام : الحجارة الصلبة ؛ واحده سلمه بفتح السين وكسر اللام .

(٢) هو مثل يضرب للشئ المرئي على غيره . والفرا : حمار الوحش .

(٣) البيت لأبي نواس .

(٤) الكدم : العض بأذن الغم ؛ والمكدم : موضع العض ؛ وهو مثل يصرب لمن يطلب شيئاً في غير
مطلبه . وفي بعض نسخ الرسالة : « كدمت في غير » .

(٥) في جمع الأمثال : « ذل » ؛ يريد : أنه بلغ في الحقارة عايتها . وهذا عجز بيت لغاوى بن ظالم

السلمي ؛ وقيل أنه للعباس بن مرداس السلمي . وصدر البيت : « أرب يبولا الثعلبان برأسه » والثعلبان
بضم التاء واللام : ذكر الثعلب . انظر اللسان .

(٦) البيت لأبي تمام .

وَنَحَرْتُ وَكَفَرْتُ ، وَعَبَسْتُ وَبَسَرْتُ ؛ وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، [وَأَبْرَقْتُ وَأَرَعَدْتُ]^(١)
 وَ« هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ [وَلِيتَنِي]^(٢) » وَلَوْلَا [أَنْ] لِلْجَوَارِ ذَمَّةٌ ، وَلِلضَّيَافَةِ حُرْمَةٌ ؛ لَكَانَ
 الْجَوَابُ فِي قَدَالِ الدَّمَسْتَقِ ، وَلَكِنَّ النِّعْلَ حَاضِرَةً إِنْ عَادَتِ الْعُقُوبَةُ ، وَالْعُقُوبَةُ
 مُمْكِنَةٌ إِنْ أَصَرَ الْمَذْنِبُ ؛ وَهَبْهَا لَمْ تَلَا حِظَّكَ بَعِينَ كَلِيلَةٍ عَنْ عِيُوبِكَ ، مَلُؤَهَا حَبِيبُهَا ،
 وَحَسَنٌ فِيهَا مِنْ تَوَدٍّ ، وَكَانَتْ إِنَّمَا حَلَّتْكَ بِحُلَاكَ ، وَوَسَمْتُكَ بِسِيَاكَ ؛ وَلَمْ تُعْرَكَ
 شَهَادَةُ ، وَلَا تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَةُ ؛ بَلْ صَدَقْتُكَ سَنٌ بَكْرِيهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَنْكَ ، وَوَضَعْتَ
 الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ فِيمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ؛ وَلَمْ تَكُنْ (كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنْتَ بِهِ عَلَيْكَ) ،^(٣)

(١) النخير : صوت من الأنف أكثر ما يكون عند الغضب ، ومنه سمي المنخر .

(٢) بسرت ، من البسر ، وهو القطوب .

(٣) التكلة عن سرح العيون ؛ وتسم السجع يقتضى إثباتها .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . يشير إلى بيت صابئ بن الحارث بن أوطاة البرجمي ، وهو :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلاله

يريد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

(٥) أشار بهذه العبارة إلى بيت أبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، وهو :

وكننت إذا كاتبته قبل هذه * كننت إليه في قدال الدمستق

يريد أبو الطيب الإشارة بهذا البيت إلى ما وقع بين ملك الروم وسيف الدولة ؛ وذلك أن ملك الروم جهز جيشا لمحاربة سيف الدولة وجعل أمره الدمستق ، فهزموه سيف الدولة شرهزيمة ، وولى الدمستق بجيشه هاربا . والدمستق : لقب عندهم للقدمين من رجالهم ، أو هو اسم رجل منهم .

(٦) في الأصل : « لحلاك » باللام ؛ وما أثبتناه عن نسخ الرسالة .

(٧) هو مثل يضرب في الصدق . والبكر بفتح الباء : الفتى من الإبل ، ونص المثل : « صدقتني »

بالذكير .

(٨) الهناء : القطران الذي يطلى به الجرب . وتقال هذه العبارة لمن يضع الأشياء في مواضعها .

(٩) كذا في سرح العيون وغيره من النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . وعبارة الأصل : « لم يكن

أختر نفعه » وهو محريف لا معنى له .

فالمُعَيْدِيُّ تَسْمَعُ بِهِ لَا أَنْ تَرَاهُ ، هَجِينُ الْقَذَالِ ، أَرَعِبُ السَّبَالِ ؛ طَوِيلُ الْعِنَقِ ^(٢)
وَالْعِلَاوَةِ ، مُفْرِطُ الْحُمَقِ وَالْغَبَاوَةِ ؛ جَانِي الطَّبْعِ ، سَيِّئُ الْجَابَةِ ^(٣) وَالسَّمْعِ ؛ بَغِيضُ الْهَيْئَةِ ،
سَخِيفُ الذَّهَابِ وَالْجَيْئَةِ ؛ ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مَنْتَنُ الْأَنْفَاسِ ؛ كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُورُ
الْمَثَالِبِ ؛ كَلَامُكَ تَمْتَمَةٌ ، وَحَدِيثُكَ غَمْغَمَةٌ ؛ وَبَيَانُكَ فَهْفَهَةٌ ، وَضَحْكُكَ قَهْقَهَةٌ ؛
وَمَشْيُكَ هَرَوَلَةٌ ، وَغَنَاكَ مَسْأَلَةٌ ؛ وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ مَحْرَقَةٌ

٥

مَسْأَلُو لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَانِي * لَمَّا أَمْهَرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ ^(٥)
حَتَّى إِنَّتِ بَاقِلًا مَوْصُوفٌ بِالْبَلَاغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْنَةً مُسْتَحَقٌّ لَأَسَمِ الْعَقْلِ ^(٦)
إِذَا نُسِبَ مِنْكَ ، وَأَبَا غَبْشَانَ مَحْمُودٌ مِنْهُ سَدَادُ الْفِعْلِ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْكَ ، ^(٧) ^(٨) ^(٩)

(١) نصه في كتب الأمثال : "تسمع بالمعدي خير من أن تراه" ؛ ويصرب لمن خبره خير من
مرآه ؛ والمقول فيه هذا هوشقة بن ضمرة بن حابر من بني نهمشل .

١٠

(٢) يقال : فلان هجين القذال ، أى أنه إذا أدبر عرف لوم نسبه من قذاله لما يبدو منه من الإطراق
حياه . والمجبن اللثيم ، أو هو العربي الذي يولد من أمة . والقذال : جماع مؤخر الرأس .

(٣) العلاوة : الرأس ما دام على العنق ؛ ويعدون طول الرأس والعنق من دلائل الحق .

(٤) كذا في الأساس للزمخشري ؛ والذي في الأصل : "والإجابة" ؛ باثبات الهمزة . والجابة
والاجابة بمعنى واحد . يشير بهذا الى قولهم : "أساء سمعا فأساء جابة" . (٥) البيت لأبي تمام .

١٥

(٦) هو باقل بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ؛ وفي شرح القاموس أنه من ربيعة ؛ ويصرب به المثل في العي .

(٧) هبنة : هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة ، ويلقب بذى الودعات لأنه جعل في عنقه
قلادة من ودع وعظام وخرف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أصل ؛ فصر به المثل في الحق .

(٨) كذا في الأصل ؛ ولم تقف على ما يفيد صحة هذا التعبير فيما راجعناه من كتب اللغة . وفي النسخ

التي بين أيدينا لهذه الرسالة : «إليك» ولم نثبتها مع صحتها لحصول التكرار بها مع ما يأتي بعدها .

٢٠

(٩) في الأصل : «عشان» بإهمال أوله وثانيه ؛ وما أثبتناه عن القاموس مادة «البعش» ،

قال ما نصه : «وأبو عبشان ويضم : خراعى» كان يلى سدانة الكعبة قبيل قريش ، فاجتمع مع قصي

في شرب البطائف ، فأسكره قصي ، ثم اشترى المفاتيح منه بزق نحر ، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبدالدار ،

وطير به إلى مكة ، فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعى ؛ فضررت به الأمثال في الحق والنسب وخسارة

الصفقة . قال في شرحه : «وهو المحترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو .

٢٥

(١) وَطُورِيسًا مَأْتُورٌ عَنْهُ يُمِنُّ الطَّائِرُ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ ؛ فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْأَغْتَابُ بِكَ نَدَمٌ ؛
وَالْخَبِيئَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ سَقَرٌ ؛ كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْمَكَ لِكِرْمِي كِفَاءً ، وَضَعْتَكَ
لِشَرْفِي وَفَاءً ؟ وَأَنْتَى جَهَلْتَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَجْذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرَ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى
أَلْفَانِهَا ؟ وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشُعْرْتَ أَنَّ نَادِيِي الْمُؤْمِنِ
وَالْكَافِرِ لَا يَتَرَاءِيَانِ ، وَقُلْتَ : الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ ، وَتَمَثَّلْتَ :

(٢) أَيُّهَا الْمُنِيكُجُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا * عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

وَذَكَرْتَ أَتَى عِلْقَ لَا يَبَاعُ مِنْ زَادٍ ، وَطَائِرٌ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ، وَغَرَضٌ لَا يَصِيْبُهُ
إِلَّا مِنْ أَجَادٍ ؛ مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنَةِ ، وَتَرْتَيَّحْتَ لِلتَّرَفَةِ ؛ أَوَّلَى لَكَ ،
لَوْلَا أَنَّ جَرَحَ الْعَجَّاءِ جُبَّارٍ ، لِلْقَيْتِ مَا لَقِيَ مِنَ الْكَوَاعِبِ يَسَارٍ ؛ فَمَا هُمْ إِلَّا بَدُونُ

- ١٠ (١) طويس : هو مولى بنى مخزوم ، وكنيته : أبو عبد النعم ، كان من المجان الظرفاء ، وكان
يسكن المدينة ، وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ، وكان يضرب به المثل في الشؤم ، لأنه ولد يوم
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطم يوم مات أبو بكر ، وحنن يوم قتل عمر . وفي القاموس
أنه بلغ الحلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم مات علي .

(٢) كذا في بعض نسخ الرسالة ؛ والدى في الأصل : « لا يجتمعان » ؛ وهو مكرر مع ما قبله .

- ١٥ (٣) الشطر الأول من هذا البيت ساقط من الأصل ، وقد أثبتناه عن سرح العيون ، والبيت لعمر بن
عبد الله بن أبي ربيعة . والثريا هي بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وسهيل ، هو ابن
عبد العزيز بن مروان .

(٤) العجاء : الهمزة . والجبار بالضم : المصدر الذى لا فصاص فيه . يشير إلى قوله صلى الله عليه
وسلم : « جرح العجاء جبار » .

- ٢٠ (٥) يسار : هو عبد أسود ، كانت النساء إذا رأينه ضحككن من قبحه ، فكان يطن أنهن يضحكن
إعجاباً بمن به ، فدخل على امرأة مولاه يوماً وأراد مغازلتها فلما منه أنها قد أحبه ، قالت له : إن للحراثر
طيباً أشمك إياه ، فقال : هاتيه ، فأنت بطيب وموسى ، فأشمته الطيب ثم جذعت أنه ؛ وكان يلقب :
« يسار الكواعب » .

ما هممت به ، ولا تعرض إلا لأيسر ما تعرضت له ؛ أين أدعائك رواية الأشعار ،
وتعاطيك حفظ السير والأخبار ؟

بنوداريم أكفاؤهم آل مسمع * وتكبح في أكفائها الحيطات^(٢)

وهلا عشت ولم تغتر ، وما أمتك أن تكون وافد البراجم ، أو ترجع بصحيفة^(٣)
المتلس^(٥) ، وأفعل بك ما فعله عقيل بن علفة بالجهني^(٦) إذ جاءه خاطبا فذهن آسته
بزيت وأدناه من قرية النمل^(٧) ؟ ومتى كثر تلاقينا ، واتصل ترائينا ؛ فيدعوني اليك

(١) في الأصل : « ولا تعرضت » ؛ والثاء زيادة من الساخ . (٢) البيت للفرزدق .

(٣) يشير بهذه العبارة الى المثل التالي : « عش ولا تغتر » وهو مثل يضرب للاحتياط والأخذ بالثقة .

(٤) في بعض نسخ الرسالة : « وما أشك أنك تكون » الخ ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

روافد البراجم : رجل من تميم ؛ والبراجم : خمسة من أولاد حنظلة بن مالك ؛ وقد أشار بهذه العبارة الى قصة
عمرو بن هند مع بني تميم ، وذلك أنه أحرق منهم تسعة وتسعين رجلا لتأوله عندهم ، وكان قد حلف أن يحرق
منهم مائة رجل ، فبينا هو يطلب رجلا منهم يتم به المائة ، إذ مرّ رجل يسمى عمارا ، فشم رائحة القنار ،
فطن أن الملك اتخذ طعاما ، فعدل اليه ، فقيل له : ممن أنت ؟ فقال : من البراجم ، فألقى في النار ؛
فضرب به المثل وقيل : « إن الشقي وافد البراجم » .

(٥) صحيفة المتلس : تضرب مثلا لمن يحصل له الضرر من حيث يتوقع النفع . والمتلس : هو جبرير
ابن عبد المسيح أحد بني صعصة ، شاعر مجيد من شعراء الجاهلية ، وقد وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد
على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ، فحق عمرو عليهما يوما وأراد قتلهما ، فكتب معهما كتابين الى عامله
بالبحرين ، وقال لهما : إني كتبت لكما بصلة من عالمي بالبحرين ، فأقبضاه منه ، فلما كانا في بعض
الطريق فتح المتلس صحيفته فاذا الملك يأمر عامله بقتله ، فألقاهما في اليم ، ومضى طرفة بكتابه الى عامل
البحرين فقتله .

(٦) في الأصل : « علقمة » وهو تحريف ، والتصويب عن تاح العروس مادة علق بالقاف ؛
وعقيل بن علفة هذا شاعر من شعراء الدولة الأموية ؛ وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ
بنفسه ، وكان لا يرى أن له كفتا ، وقد خطب اليه عبد الملك بن مروان إحدى بناته فأبى عليه ، وكان
له جارجهني ، فخطب الجهنني إحدى بناته ، ففعل به ما ذكره ابن زيدون .

(٧) قرية النمل : مسكنها وبيتها .

ما دعا ابنة الخُسِّ الى عبدها من طول السواد ، وقرب الوِساد ؟ وهل فقدتْ
 الأرقامُ فأنكحَ في جنبٍ ، أو عَضَلْنِي هَمَامُ بْنُ مُرَّةٍ فَأَقُولُ : ” زَوْجٌ مِنْ عُودٍ ، خَيْرٌ
 مِنْ قُعودٍ “ ؟ ولعمري لو بلغتُ هذا المبلغ لارتفعتُ عن هذه الحِطَّة ، وما رَضِيتُ
 بهذه الخِطَّة ، فـ ” النَّارُ وَلَا الْعَارُ “ و ” الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنيَّةُ “ والخِزَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ
 بشديدها :

فكيف وفي أبناء قومي منكحٌ * وفتيانِ هَزَانِ الطوالِ العَرانقةُ

ما كنتُ لأتخطى المسكَ الى الرماد ، ولا لأمتطى الثَّورَ دون الجواد ؛ فإنما يتيمَّمُ
 من لا يجد ماءً ، ويرعى الهشيمَ من عَدِمَ الجِئِمَ ، ويركب الصَّعبَ من لا ذَلُولَ

(١) ابنة الخُس : هي هذ بنت الخُس الإبادي ، قديمة في الجاهلية ، وذكروا أنها زنت بعبدها ،
 فلامها الناس في ذلك ، وقالوا : ما حملك على الزنى ؟ فقالت : قرب الوساد ، وطول السواد ؛
 والسواد : المساواة .

(٢) الأرقام : حى من تغلب . وجنب : حى من اليمن ؛ وقد أشار بهذه العبارة الى قول مهلهل
 ابن ربيعة حين هرب من حرب البسوس لما طالَّت مدتها ، فنزل في طريقه على حى من اليمن ، فخطبوا
 اليه ابنته وساقوا له مهرها جلودا ، وغصبوه على الزواج فقال :

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بنى الأكرمين من جشم
 أنكحها فقدتها الأرقام من * جنب وكان الحباء من آدم .

(٣) عضل الولي المرأة : منعها من الكاح . وزوج من عود الخ : قول لإحدى بنات همام بن مرة
 وكان له أربع بنات ، وكن يخطبن اليه فيأبى أن يزوجهن .

(٤) في الأصل : « هذه » ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٥) هزان : بطن من العرب ؛ والعَرانقة ، جمع غرنوق وغرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجليل .
 والبيت للأعشى الأكبر . وقد ورد الشعر الأول منه في تاج العروس هكذا : « فقد كانت في شبان
 قومك منكح » وذكر أن الأعشى يخاطب به امرأة .

(٦) الجئِم : النبات اللاهض المنتشر الذى طال ولم يبلغ النهاية .

له ؛ ولعلك إنما غرّك من علمت صبوتى إليه ، وشهدت مساعفتى له ، من أقمار العصر ، ورياحين المصر ؛ الذين هم الكواكب علوهم ، والرياض طيب شيم من تلق منهم تقل : لا قيت سيدهم * مثل النجوم التى يبرى بها السارى (٢) فَيَحْنُ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ؛ ما أنت وهم ؟ وأين تقع منهم ؟ وهل أنت إلا وأو عمرو فيهم ، وكالوشيلة في العظم بينهم ؟ وان كنت إنما بلغت قعر تابوتك ، وتجايفت لقميصك عن بعض قوتك ؛ وعطرت أردانك ، وجرت هينانك ؛ واختلت في مشيتك ، وحذفت فضول لحيتك ؛ وأصلحت شاربك ، ومططت حاجبك ؛ ودققت خط عذارك ، واستأنقت عقد إزارك ؛ رجاء الاكتاب فيهم ، وطعما في الاعتداد منهم ؛ فظننت عجزا ، وأخطأت آستك الحفرة ؛ والله لو كساك محرق (٧) و

- ١٠ (١) فى الأصل : « وهلك » ؛ وهو تحريف . (٢) الشطر الثانى من هذا البيت لم يرد فى الأصل . وقد أثبتناه عن النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة وفى شرح العيون أن هذا البيت من جملة أبيات منسوبة الى رجل اسمه العرندس من بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنوين .
- (٣) فى الأصل : « فنحن » ؛ وهو تحريف ؛ يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : « نحن قدح ليس منها » يضرب لمن يشبه بالقوم وليس منهم .
- ١٥ (٤) الوشيلة : قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم . ويقال : فلان وشيلة فى قومه ، إذا كان دخيلا فيهم وليس منهم . (٥) قال فى شرح العيون فى تفسير هذه العبارة : يعنى لازمت منزلك . (٦) يريد : رجاء أن تعد فيهم وتكتب منهم . (٧) محرق : هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو المعروف بعمرو بن هند ؛ وأشار بهذه العبارة الى ما ذكروا من أن الوفود اجتمعت مرة عند عمرو بن هند ، فأخرج بردين من لباسه وقال : ليقيم أعز العرب فليأخذهما ، فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فقال له عمرو : أنت أعز العرب قبيلة ؟ فقال : العز كله فى معد ، والعدد فى معد ، ثم فى نزار ، ثم فى مضر ، ثم فى خندف ، ثم فى تميم ، ثم فى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى بهدلة فن أنكر هذا فلينافرنى ؛ فسكت الناس ، فقال : هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وخال عشرة ؛ ثم أخذ البردين وانصرف (شرح العيون) ؛ وتاج العروس مادة « برد » .

البُزدين، وحلَّتْ ماريَّةُ بالقرطين؛ وقلَّدك عمرو بالصَّمصامة^(٢)، وحملك الحارثُ على النِّعامة^(٣)؛
 ما شككتُ فيك، ولا تكلمتُ بملء فيك؛ ولا سترتُ أباك، ولا كنتُ إلا ذاك؛
 وهبك ساميتهم في ذُرْوَةِ المجد والحسب، وجاريَتهم في غاية الظرف والأدب؛ ألسنت
 تاوى الى بيت قَعِيدَتُهُ لَكَاع؟ اذ كلُّهُمْ عَزَبٌ خالى الذراع؛ وأين من أنفرد به،
 ممن لا أَغْلِب إلا على الأقلِّ الأخسَّ منه؟ وكَم يمين من يعتمدنى بالقوَّة الظاهرة،
 والشهوة الوافرة؛ والنفس المصروفة الى^(٤)، واللذة الموقوفة على^(٥)؛ وبين آخر قد نَزَحْتُ
 بِيَرُهُ، ونَضَب غديرُهُ؛ وذهب نشاطُهُ، ولم يبقَ إلا ضُرَاطُهُ؛ وهل كان يُجَمِّع لى فيك
 إلا الحشَفُ وسوءُ الحِكْلة^(٦). • ويقترن على بك إلا الغُدَّةُ والموتُ في بيت سلُولِيَّة^(٧)؟
 تعالى الله يا سَلَمُ بن عمرو * أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

(وهذا الشعر لأبى العتاهية يخاطب به سلم بن عمرو، ويلومه على حرصه، ويتلوهُ) :
 هَب الدنيا تصير اليك عفوا * أليس مصيرُ ذاك الى زوالِ

ما كان أحقُّك بأن تقدِّر بذرعك، وتربِّع على ظَنِّك؛ ولا تكون براقش^(٨) الدالَّةُ

(١) مارية : هى ابنة طالم بن وهب الكندى، وزوجة الحارث الأكبر الغسانى أحد ملوك العرب
 بالشام، وكان فى قرطها لؤلؤتان كبيرتان يتوارثهما الملوك، وقد وصلنا الى عبد الملك بن مروان، فأهداهما
 الى ابنته لما زوجها لعمر بن عبد العزيز، وروى أن مارية أهدتهما الى الكعبة .

١٥

(٢) عمرو : هو ابن معد يكرب . والصمصامة : اسم سيفه .

(٣) هو الحارث بن عباد التغلبى . والنعمامة اسم فرسه .

(٤) الحشف : اللباس الردى . من التمر . يضرب للخلتين السيتين يجتمعان فى شخص ؛ ونص المثل :

”أحشفا وسوء حيلة“ .

(٥) أشار بهذه العبارة الى قول عامر بن الطفيل : حين ظهرت فى رقبة الغدَّة التى مات بها، وكان

فى بيت امرأة سلُولِيَّة، فقال : أغدَّة كغدَّة البعير، وموت فى بيت سلُولِيَّة .

(٦) ”براقش“ : اسم كلبه نجت قوما قصدوا الغارة على قوم نخفى عليهم مكانهم ، فلما نجت عرفهم

فاجتاحوهم فقالت العرب : ”أشام من براقش“ .

على أهلها^(١)، وعزَّ السوء المستثيرة لحتفها؛ فما أراك إلا قد سَقَطَ العشاءُ بك على
السرحان^(٢)، وبك لا بظلي أعفر^(٣)، قد أعذرتُ إن أغنيتُ شيئا، وأسمعتُ لو ناديتُ حيا؛
وقرعتُ عصا العتاب، وحَدَّرتُ سوء العقاب . ”إن العصا قُرِعَتْ لذي الحليم“
”والشيء تحقره وقد ينمي“^(٤) . فإن بادرت بالندامة، ورجعت على نفسك بالملامة؛
[كنت] قد اشتريت العافية لك بالعافية منك؛ وإن قلت : ”جمجمة ولا طحنا“^(٥)
و”رُبَّ صَلفٍ تحت الراجعة“^(٦) وأنشدت :

لا يُؤيسنك من محبة * قولٌ تُغلظه وإن جرحا

فُعدت لما نُهيته عنه ، وراجعت ما استعفيت منه ؛ بعثت من يُزججك إلى
الخضراء دفعا^(٧) ، ويستجحك نحوها وكرا وصفعا ؛ فاذا صرت بها عيت أكاروها^(٨)

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكروا من أن رجلا وجد عزا فأراد ذبحها ، فلم يجد سكيناً ، فبينما هو
كذلك ، إذ بحثت الشاة بظلفها في الأرض ، فاستثارت سكيناً فذبحها بها ؛ فضربت مثلاً لمن يعين على ضرر
نفسه . (٢) في سرح العيون : « سرحان » بدون تعريف ، وهو الذئب ؛ يشير بهذه العبارة الى
المثل القائل ”سقط به العشاء على سرحان“ يضرب لمن يريد أمراً فيقع على المكروه .

(٣) نص المثل : « به » الخ ويضرب للشامة بالرجل ؛ يريدون نزل به المكروه ولا نزل بظلي أعفر .
(٤) قال ابن نباتة في سرح العيون عند شرحه لهاتين العبارتين : هما مثلاً يضربان في التحذير ، منظومان
في قول الحارث بن وعلة البشكري وقد قتل بعض سادات قومه أخاه . ثم أورد أبياتا جاء منها :

وزعمت أنا لا حلوم لنا * إن العصا الخ البيت . وبعده :

لا تأمن قوما ظلمتهم * وبدأتهم بالشر والغشم

ان يأبروا نخلا لغيرهمو * والشيء تحقره الخ البيت

(٥) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن سرح العيون .

(٦) جمجمة الخ أى أسمع جمجمة ولا أرى طحنا ؛ قال في سرح العيون في شرح هذا المثل والذي
بعده : هما مثلاً يضربان لمن يتوعد ولا يفعل . والجمجمة : صوت الرعى . والطنح : الدقيق .
فعل بمعنى مفعول ، كذبح وورق ؛ والصلف : قلة البركة والخير . وسحاب صلف : إذا كان قليل الماء ،
كثير الرعد .

(٧) في الأصل : « الخضراء » بالخاء المهملة ؛ وهو تحريف ؛ والخضراء : المزرعة ؛ وأولاه اسم
ضيفة انظر سرح العيون . (٨) في سرح العيون : « البها » . (٩) الأكادون : الزراعون .

بك ، وَتَسْلُطُ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ ؛ فَنَ قَرَعَةٍ مَعُوجَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ ، وَجُفْلَةٍ مُنْتِنَةٍ يُرْمَى بِهَا
تَحْتَ خُصَاكَ ؛ لَكِي تَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ .

فَنَ جَهِلْتُ نَفْسُهُ قَدْرَهُ * رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى .^(٢)

وقال أيضا في رُقْعَةٍ خَاطَبَ بِهَا ابْنَ جَهَّورٍ — وَهِيَ مِنْ رِسَائِلِهِ الْمَشْهُورَةِ —
أَوَّلَهَا :

❦

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَادِي لَهُ ، وَاعْتَدَادِي بِهِ ، وَاعْتِمَادِي عَلَيْهِ —
أَبْقَاكَ اللَّهُ مَا ضَيَّ حَدَّ الْعَزْمِ ، وَارَى زَنْدِ الْأَمَلِ ، ثَابَتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ — إِنْ
سَلَبْتَنِي أَعَزَّكَ اللَّهُ لِبَاسَ إِنْعَامِكَ ، وَعَظَلْتَنِي مِنْ حَلِي إِيْنَايْسِكَ ، وَغَضَضْتَ عَنِي
طَرَفَ حِمَايِكَ ؛ بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِ لَكَ ، وَسَمِعَ الْأَصُمُّ ثَنَاءِي عَلَيْكَ ،
وَأَحْسَّ الْجَمَادُ بِاسْتِنَادِي إِلَيْكَ ؛ فَلَا غَرْوَ قَدْ يَغْصُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاءُ
المُسْتَشْفَى بِهِ ، وَيُؤْتِي الْحَذِرُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي فِي أَمْنِيَّتِهِ ” وَالْحَيْنَ^(٣)
قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِيصِ “ وَإِنِّي لِأَتَجَلَّدُ ، وَأَرَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لَا أَنْضَعُضِعُ ، وَأَقُولُ :

(١) . النَوَاطِيرُ : جَمْعُ نَاطُورٍ ، وَهُوَ حَافِظُ الْكَرْمِ وَالنَّخْلِ .

(٢) . الْبَيْتُ لِلتَّنْبِيْهِ .

(٣) . كَذَا فِي النُّسخِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « إِنْشَادِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) . فِي الْأَصْلِ : « وَالْحَرَصُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَهَذَا عَجَزٌ بَيْتٌ لَعْدِي بْنِ زَيْدٍ ؛ وَصَدْرُهُ : « قَدْ
يَدْرِكُ الْمُبْطِئُ مِنْ حِظِّهِ » . انْظُرْ تَمَامَ الْمُتُونِ فِي شَرْحِ رِسَالَةِ ابْنِ زَيْدُونَ لِلصَّفْدِيِّ ص ٤٠ طَبْعَ بَغْدَادِ ؛
وَقَدْ اعْتَمَدْنَا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ فِي أَكْثَرِ مَوَاقِعِنَا لَمَّا وَرَدَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَخْبَارِ
فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّنْبِيْهِ عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا فَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ .

(٥) . كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَالَّذِي فِي نُسْخِ الرِّسَالَةِ : « أَنِّي لَرِبِ الدَّهْرِ لَا أَنْضَعُضِعُ » . وَهَذَا عَجَزٌ

بَيْتٌ لِأَبْنِي ذَوَيْبِ الْهَذَلِيِّ ، وَصَدْرُهُ : « وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْهَمُو » . انْظُرِ الْمُفْضَلِيَّاتِ .

هل أنا إلا يد أدامها سوارها، وجبين^(١) عضه إكليله، ومشرف^(٢) الصقّه بالأرض
صاقله، وسمهري^(٣) عرضه على النار مثقفه، وعبد^(٤) ذهب سيده مذهب الذي يقول :
فقسا ليزدجروا ومن يك حازما * فليقس أحيانا على من يرحم^(٥)
والعتب^(٦) محمود عواقبه، والنبة^(٧) غمرة ثم تجلى، والنكبة^(٨) صيف عن قريب تقشع^(٩)
وسيدى إن أبطأ معذور.

فإن يكن الفعل الذى ساء واحدا * فافعله اللاتى سررت^(١٠) ألوف

فليت شعرى ما الذنب الذى أذنبت ولم يسهه العفو ؟ ولا أخلو من أن أكون
بريئا فأين العدل ؟ أو مُسئئا فأين الفضل ؟ وما أرانى إلا لو أمرت بالسجود لآدم
فأبيت واستكبرت، وقال لى نوح : "اركب معنا" فقلت : "سأوى إلى جيل يعصمنى

(١) فى بعض نسخ الرسالة : « عض به » .

(٢) المشرف : نسبة الى المشارف ، وهى قرى باليمن ؛ وأهى من أرض العرب تدنو من الريف
تنسب اليها السيوف المشرفة .

(٣) السهري : الرمح الصليب العود ، ويقال إنه منسوب الى سمهر ، وهو رجل كان يقوم الرماح
فنسبت اليه . والمثقف : المقوم .

(٤) فى نسخ الرسالة : "ذهب به سيده" .

(٥) فى الأصل : « له ذخروا » وهو تحريف . والبيت لأبي تمام من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق .

(٦) فى تمام المتون : « هذا العتب » .

(٧) فى تمام المتون : « وهذه النبوة » .

(٨) تقشعت السحابة : أفلعت . وفى كتب الأمثال : " عن قليل " . وهو مثل يضرب لانقضاء

الشيء بسرعة .

(٩) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل ؛ والذى فى النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة : « ولن يرينى
من سيدى أن أبطأ سمحاه ، وتأخر غير ضنين غناؤه » وبعد هاتين العبارتين كلام طويل لم يرد فى الأصل ، فانظره .

(١٠) البيت لأبي الطيب المتنبي من أبيات كتب بها الى أبي العائثر الحسين بن حمدان يعاتبه فى سبب

حرى عابه من غلبانه .

مِنَ الْمَاءِ“ وَتَعَايَيْتُ فَعَقَرْتُ، وَأَمَرْتُ بِنَاءِ صَرِيحٍ أَعْلَى أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى، وَعَكَفْتُ
عَلَى الْعَجَلِ، وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ، وَشَرِبْتُ مِنَ النِّهْرِ الَّذِي آبَتُلَى بِهِ جُنُودُ طَالُوتَ،
وَقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ، وَعَاهَدْتُ قَرِيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ، وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقْبَةِ،

(١) يشير بهذه العبارات الست إلى قصص ورد ذكرها في الكتاب العزيز : فيشير بالعبارة الأولى إلى قصة ناقة صالح التي ورد ذكرها في قوله تعالى في سورة القمر : (إنا مرسلو الناقة فتنة لهم) إلى قوله : (فنادوا صاحبهم فعاطى فقهر) . ويشير بالثانية إلى قوله تعالى في سورة القصص حكاية عن فرعون : (وقال فرعون يأيها الملاء ما علمت لكم من إله غيري) إلى قوله : (لعلني أطلع إلى إله موسى) . ويشير بالثالثة إلى قوم موسى حين اتخذوا العجل وفتنوا به وقد وردت هذه القصة في قوله تعالى في سورة طه : (قال إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) إلى قوله حكاية عنهم (قالوا لن نبرج عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) . ويشير بالرابعة إلى قصة بني إسرائيل واعتدائهم في السبت ؛ قال تعالى في سورة البقرة : (ولقد علمتم الدين اعتدوا منكم في السبت) الآية . ويشير بالخامسة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : (فلما فصل طالوت بالجنود) إلى قوله تعالى : (فشربوا منه إلا قليلا منهم) . ويشير السادسة إلى قصة أصحاب الفيل التي ذكرها الله تعالى في سورة الفيل حين ساروا إلى الكعبة وأرادوا هدمها وعلى رأسهم أبرهة ابن الصباح أمير اليمن من قبل النجاشي . انظر تفصيل هذه القصص في كتب التفسير .

(٢) يشير بهذه العبارة إلى صحيفة قريش التي تعاهد فيها كفارها على بني هاشم ، وذلك أن قريشا لما رأت أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة قد أصابوا في هجرتهم أمنا ورخاء وعزا ومنعة من النجاشي ملك الحبشة ، ورأت فشو الإسلام في القبائل وإسلام عمر بن الخطاب وغيره من أشرفهم اجتمعوا وتماهدوا فيما بينهم على ألا يتركوا من بني هاشم ، ولا يبيحهم ، ولا يتناوعوا منهم ، وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توثيقا وتوكيدا ، فالتحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبي طالب ، وظلوا كذلك سنتين أو ثلاث حتى أجهدهم الضيق ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا امرأ يستخفي به من أراد صلتهم من قريش ، حتى قام في نقض ما في الصحيفة نقر منهم اجتمعوا على ذلك . انظر تفصيل القصة في كتب السيرة .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة التي بين منى ومكة ، ومنها ترى جمره العقبة ؛ وهي ثلاث بيعات : بايعه في الأولى ستة نفر من الأوس ، وبايعه في البيعة الثانية اثنا عشر ، منهم السنة الذين بايعوه في الأولى ، وبايعه في البيعة الثالثة ، سبعون وامرأتان ، انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩٣ طبع جوتنجن . وذكر الصفدي في تمام المتون أن الذين بايعوه في البيعة الثالثة ثلاثة وتسعون وامرأتان .

وَفَرَّتْ إِلَى الْعِيرِيبِذِرِ ^(١)، وَأَخْذَلَتْ بِلَثِّ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَخَلَّفَتْ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ^(٢)، وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ ^(٣)، وَأَبَيْتُ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ ^(٤) ^(٥)،

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار — وهو ساحل البحر — ليلة. وأشار بهذه العبارة إلى وقعة بدر الكبرى، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في عير لقريش عظيمة، فندب الناس إلى الخروج إليها، فسمع أبو سفيان من بعض الركبان باستنفار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس له، فاستأجر رجلا ليذهب إلى مكة فيغيب قريشا بذلك ويستنفرهم إلى أموالهم، ففرج الرجل إلى مكة وأعلمهم الخبر، فجهز الناس سراعا، ثم كانت وقعة بدر التي نصر الله فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

(٢) كذا في نسخ الرسالة التي بين أيدينا. وفي الأصل: «وانحزأت» ولم تقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة. وأحد: جبل أحمر ليس بذى شناخيب — والشناخيب: رهوس الجبال — بينه وبين المدينة قرابة ميل شمالها؛ وعنده كانت وقعة أحد التي قتل فيها كثير من المسلمين، وقتل فيها حزة عم النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أشار ابن زيدون بهذه العبارة إلى انخزال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بثلث الناس في هذا اليوم، وتركه لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه. انظر تفصيل ذلك في كتب السيرة.

(٣) أشار بهذه العبارة إلى غزوه صلى الله عليه وسلم لبني قريظة؛ وذلك أنه لما انصرف من غزوة الخندق ووضع المسلمون سلاحهم، أمره الله تعالى بغزو بني قريظة، فقال لأصحابه: «لا يصلي أحد منكم العصر إلا في بني قريظة» وسار وده أصحابه، بقاء وقت العصر وهم في الطريق، فصلا جماعة منهم حملا لأمره صلى الله عليه وسلم على قصد السرعة، وصلا الباقيون بعد مضي وقتها في بني قريظة حملا لآمره على حقيقته، فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا منهم على عمله، ثم حاصروا عدوهم خمسة وعشرين يوما حتى نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم.

(٤) أشار بهذه العبارة إلى حديث الإفك الذي رويت به أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها من بعض المنافقين، وقد ذكره الله تعالى في سورة النور فقال: «إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم» الآية.

(٥) كذا في الأصل؛ وفي اللسان مادة «أبى» ما يفيد صحة تعدية هذا الفعل بـ«عن» حكى ابن سيده عن الفارسي أنه يقال «أبى زيد من شرب الماء» والذي في نسخ الرسالة «وأفتت». وأشار بهذه العبارة إلى ما كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم من تأميره أسامة بن زيد بن حارثة على جيش لقتال الروم، وكان في هذا الجيش كبار المهاجرين الأولين كابن بكر وعمر وأبي عبيدة، فانتقد جماعة إمرة أسامة على هذا الجيش وفيه أمثال هؤلاء، وهو شاب لم يبلغ سبع عشرة من عمره، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول هؤلاء، فغضب غضبا شديدا وخرج فقال: أيها الناس فامقالة بلغني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وإيم الله إنه كان خليقا بالإمارة، وإن ابنه من بعده خليق بها.

وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة * ورويت روى من كتيبة خالد * ومزقت^(٢)
الأديم الذي باركت يد الله فيه ، وضخيت بالآشمط الذي عنوان السجود به ، وكتبت^(٤)
الى عمر بن سعد [أن] جمع بالحسين ، وبذلت لقطام .^(٥)

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ورد في كلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه — وقد بلغه في آخر
حجة حجها أن قوما يقولون : لو مات أمير المؤمنين لنبايعن فلانا ، نفشى عمر أن يكون في هذا إضعاف لبيعة
الاس ، فلما قدم المدينة خطب في الناس وجاء في خطبته قوله : وقد بلغنى أن قائل يقول لو مات عمر
بايعت فلانا ، فلا يفتن امرؤ منكم أن يقول : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وليس فيكم من يقطع الأعناق
مثل أبي بكر ، وإنه كان من خيرنا الخ ما أورده الصفدى في تمام المتون من هذه الخطبة . رواه يونس
ابن يزيد عن الزهرى مطولا وزاد فيه : قال عمر فلا يفتن امرؤ منكم أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة
فتمت فإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وفق شرها . (٢) هذا صدر بيت لأبي شجرة السلى ، وتماه :
* واني لأرجو بعدها أن أعمر * وسبب هذا الشعر أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما فرغ من قتال
بنى حنيفة في حرب الردة انحدر بمن معه الى بنى سليم ، وسمعت بنو سليم بذلك فاجتمعوا لقتاله ، واستجلبوا
من بقى من العرب مرتدا ، وكان الذى يجمعهم أبو شجرة بن عبد العزى المتقدم ؛ فقاتلهم خالد حتى هزمهم ،
وكان أبو شجرة هذا قد أصاب في هذا اليوم من المسلمين ؛ فقال هذا الشعر الذى منه البيت السابق .

(٣) يشير بهذه العبارة الى قول الشاعر في رثاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
جزى الله خيرا من امام وباركت * يد الله في ذاك الأديم المنزق .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما :

ضحوا بأشمط عنوان الجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

(٥) جمع من الجمجمة : وهى الحبس والضيق . يشير بهذه العبارة الى قصة قتل الحسين بن على
رضى الله عنهما ، وذلك أنه لما خرج الحسين رضى الله تعالى عنه الى الكوفة بأشارة من أهلها ليبايعوه
بالخلافة في مدة يزيد بن معاوية نذب ابن زياد لقتاله عمر بن سعد بن أبى وقاص ، فقال الحسين لعمر :
إختر منى إحدى ثلاث : إما تركتنى أرجع ، أو سيرتنى الى يزيد فأضع يدى في يده فيحكم في ما يرى ،
فإن أبيت فسيرتنى الى الترك أقاتلهم حتى أموت ؛ فأرسل عمر بذلك الى ابن زياد ، فهم أن يسيره الى يزيد
فقال بعض من حضر : لا أيها الأمير حتى ينزل على حكمك ، فابى الحسين ذلك ، فكتب عبيد الله بن زياد
الى عمر : أن جمع بالحسين انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ ؛ وكان قتل الحسين رضى الله تعالى عنه
في سنة إحدى وستين كما في شذور المقود لابن الجوزى المحفوظ منه في دار الكتب المصرية نسخة مأخوذة
بالتصوير الشمسى تحت رقم ٩٩٤ تاريخ .

(١) ثلاثة آلاف وعبدا وقينة * وضرب على بالحسام المخدّم
وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة (٢) :

(٣) ليت أشياخي بيدٍ شهدوا * جزع الخرج من وقع الأسل
(٤) قد قلنا القرن من أشياخهم * وعدلناه بيدٍ فاعتدل (٥)

• ورجعت الكعبة (٦) ، وصلبت العائذ بها على الثنية ؛ لكان فيما جرى على ما يحتمل
أن يُسمّى نكالا ، ويدعى ولو على المجاز عقابا .

وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حاسديه له راحينا

(١) المخدّم : اسم فاعل من خدّمه بتشديد الدال أى قطعه . وفي تمام المتن : « المسمم » ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وقاتل هذا البيت عبد الرحمن بن ملجم قاتل على كرم الله وجهه . وقطام التى أرادها : امرأة بالكوفة كانت جميلة راققة ، وأراد ابن ملجم التزوج منها ، فشرطت عليه أن يكون صداقتها ثلاثة آلاف وعبدا وحارية وقتل على بن أبى طالب ، فقبل ذلك ابن ملجم وقال الشعر الذى منه هذا البيت ، وبعدده :

فلا مهر أعل من على وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم .

(٢) أراد حرة واقم ، إحدى حرق المدينة ، وهى الشرقية ، وبها كانت وقعة الحرة المشهورة فى سنة ثلاث وستين ؛ وذلك أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وطردوا عامله ، وحاصروا بنى أمية بالمدينة ، فبعث إليهم يزيد بالجنود بقيادة مسلم بن عقبة ، فقتل رجالهم ، واستباح أموالهم وأعراضهم ، ثم أخذ البيعة منهم ليزيد .

(٣) الأسل : الرماح . وقاتل هذا الشعر عبد الله بن الزبيرى .

(٤) القرن من القوم : سيدهم .

(٥) عدلناه بيدرفاعتدل ، أى قومناه به فاستقام انظر تاج العروس مادة « عدل » .

(٦) أشار بهذه العبارة التى بعدها الى ما صنعه الحجاج بعبد الله بن الزبير وأصحابه ؛ وذلك أنه فى سنة أربع وستين بويع ابن الزبير بالخلافة وانتظم فى بيعته الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان ، فضاقت بذلك عبد الملك بن مروان فندب الحجاج بن يوسف لقتاله ، فسار اليه بمكة ، ونصب المجانيق على أبى قيس ، وظل الحصار ستة أشهر وسبعة عشر ليلة ، وقتل عبد الله بن الزبير فى هذه الوقعة بمحجر من هذه المجانيق وكان قتله فى سنة ثلاث وسبعين ثم صلبه الحجاج بعد قتله على الثنية ، وظل مصلوبا سنة كاملة ثم أنزله .

فكيف ولا ذنب إلا نعمةً أهداها كاشح، ونبأ جاء به فاسق؛ والله ما غَشَشْتُكَ
 بعد النصيحة، ولا آنحرفتُ عنك بعد الصاغية، ولا نَصَبْتُ لك بعد التشيع فيك،
 فقيم عَيْثُ الجفاء بأذمتي، وعاث في مودتي؟ وأتَى غلبي المغلَّب، ونَفَرَ على الضعيف،
 ولَطَمْتَنِي غير ذات سوار؟ وما لك لم تَمْنَعْ مني قبل أن أُتَرَسَ، وتُدْرِكْنِي ولَمَّا أُزْرِقُ،
 [أم كيف لا تنضمَّ جوانح الأَكْفاء حسدا لي على الخصوص بك، وتَنَقُّطُ أنفاسُ
 ٥

(١) قال الصمدى فى تمام المتن ص ١٨٣ ما نصه : والصاغية كأنها مصدر صغى يصغى صفوا
 وصاغية . ولم نقف على هذا المصدر فيما راجعناه من كتب اللغة . والمراد بالصاغية هنا : الميل .

(٢) نصب له : عاداه . وأشار بهذه العبارة الى فرقة الناصبة : وهم المحرفون عن على بن أبى طالب
 رضى الله تعالى عنه ، وإلى الشيعة ، وهم المتمولون اليه .

(٣) كذا فى الأصل . وعبارة نسخ الرسالة : «وعاث العقوق فى موائى» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا
 الروايتين . والموائى بتشديد التاء : جمع مائة : وهى الحرية والوسيلة .

(٤) عبارة نسخ الرسالة : «ونفر على العاجر الضعيف» . وأشار بهذه العبارة والتي قبلها الى بيت امرئ
 القيس ، وهو :

وإليك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

يريد أن أشد ما على الانسان أن يفخر عليه ضعيف ويغلبه مغلوب .

(٥) يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : «لو ذات سوار لطمنى» ويعنون بدات السوار، الحرية،
 لأن العرب كانت قبلها تلبس الإماء السوار ؛ ويروى : «لو غير ذات سوار» . ويريد ابن زيدون
 بهذه العبارة : لو أنى أهنت من هو كفى لي فى الشرف والمزلة لمان على، ولكن سعى بي من هو دونى،
 ونال منى من لا يناظرنى فى شرف ولا منزلة .

(٦) يشير بهذا إلى قول الشاعر :

فإن كنت ما كولا فكن حير آكل * وإلا فأدركنى ولما امرق

وقد تمثل به عثمان بن عفان رضى الله عنه يوم الدار فى كتاب بعث به الى على بن أبى طالب يستجده على
 من حاصره .

(٧) هاتان العبارتان لم تردا فى الأصل ؛ وقد نقلناهما عن نسخ الرسالة .

النُّظْرَاءُ مَنْافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ [وَقَدْ زَانَيْتُ أَسْمَ خِدْمَتِكَ ، [وَزَهَانِي وَسَمُّ نِعْمَتِكَ ^(١)
وَأَبْلَيْتُ [الْبَلَاءُ] الْجَمِيلَ فِي سِمَاتِكَ ، وَقَمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى إِسَاطِكَ . ^(٢)

أَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ نَظْمَ قِصَائِدٍ * هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا ^(٣)
وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بَرْدًا طُرْزُهُ بِجَاهِدِكَ ، وَتَقَلَّدْتُ الْجَوَازِءُ إِلَّا عَقْدًا فَصَلْتُهُ
بِمَآثِرِكَ ، وَبَثَّ الْمَسْكُ إِلَّا حَدِيثًا أَذْعَتُهُ بِمَفَاحِرِكَ ؛ " مَا يَوْمٌ حَلِيمَةً بَيْسَرٌ " وَحَاشَ لِلَّهِ ^(٤)
أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ، وَأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ تُضَىءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ . ^(٥)

وَفِي فَصْلِ مِنْهُ : وَلَعَمْرِي مَا جَهِلْتُ [أَنْ] الرَّأْيَ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَغْتَنِي ^(٦)
الشَّمْسُ ، وَنَبَا بِي الْمَنْزِلَ ، وَأُضْرِبَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، وَلَا
أَسْتَوْطِي الْعَجْزَ فَيُضْرَبُ بِي الْمَثَلُ " خَامِرِي أُمٌّ عَامِرٌ " وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِأَنْ الْجَلَاءَ ^(٧)

١٠

(١) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .

(٣) في الأصل : « من » والسياق يقتضي ما أثبتنا كما في نسخ الرسالة . واليهامط : الصف .

(٤) البيت للبحرئ من قصيدة يعاتب فيها الفتح بن خاقان .

(٥) كذا في النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . والذي في الأصل : « أضعته » بالضاد المعجمة ،

وهو تحريف .

(٦) هو مثل يضرب لكل أمر متعارف مشهور ، ويضرب أيضا للشريف النابه الذكر ؛ والمراد هنا
الأول ، وحليمة : هي بنت الحارث بن أبي شمر ؛ وكان أبوها قد وجه جيشا إلى المذرس ماء السماء ، فأخرجت
لهم طيبا من مرقن فضيبتهم ؛ وهذا اليوم من أشهر أيام العرب .

(٧) كذا في الدخيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم
٢٣٤٧ أدب ؛ والذي في الأصل : « ما جهلت الرأي » بدون « أن » . ويشير هذه العبارة إلى قول
أبي تمام من قصيدة وجه بها إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم :

وإن صريح الرأي والحزم لامرئ * إذا بلغته الشمس أنت يتحول

(٨) أم عامر : كنية الضبع ، ويقال لها : أم عمرو أيضا . وهذا المثل يضرب لمن عرف الدنيا
في قضاها عقود الأمور بإيراد البلاء عقيب الرخاء ، ثم يسكن إليها مع ما علم من عاداتها ، كما تنفر الضبع بقول
القائل " خامري أم عامر " وهي عبارة يقولها من أراد أن يصيدها لتطمئن إليه ؛ ومعناها : استترى
والجنى إلى أقصى مغارك .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

سِباءً^(١)، والثقلَةُ مُثَلَّةٌ^(٢)، لَعَارُفٌ أن الأدبَ الوطنَ الذي لا يُخشى فراقه، والخَلِيطُ الَّذِي لا يُتَوَقَّعُ زواله^(٣)، والنَّسَبُ الَّذِي لا يُجَنَّى^(٤)، [والجمالُ] الَّذِي لا يُخَفَى^(٥)؛ ثم ما قرأ السَّعْدِ للكواكب أبهى أثراً، ولا أَسَى خَطَراً، مِن اقترانِ غنى النفسِ به، وانتظامِها نَسَقاً معه، فإن الحائِزَ لهما، الضاربَ بِسَمِيعِ فَيَهما — وَقَلِيلٌ مَا هُم — [أينما تَوَجَّهَ وَرَدَ مِنْهُلَ رَ، وَحَطَّ في جَنابِ قَبول، وَضُوحَكَ قَبْلَ إِنْزالِ رَحِلِهِ^(٦)، وَأُعْطِيَ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ^(٧)].

وقيل له : أهلاً وسهلاً ومرحباً * فهذا مَيِّتٌ صالِحٌ وصديقٌ

غَيْرَ أنَ المَوطِنَ محبوب ، والمَنشأُ مألوف ، والليبُّ يَحِقُّ إلى وطنه ، [حينَ النجيبِ إلى عَظَمِهِ^(٨)] ، والكريمُ لا يَخِفُو أرضاً فيها قَوابِلُهُ ، ولا يَنسَى بلداً فيه مَراضِعُهُ ؛ وأنشد قولَ الأول :

أَحَبُّ بِلادِ اللَّهِ ما بَينَ مَنعِجٍ^(٩) * إلى وَسَلَمَى أن يَصُوبَ سَحابُها^(٩)

- (١) الجلاء : الخروج عن الوطن . والسباء : الأمر .
- (٢) في الأصل : « لا يَجَنَّى » وهو تحريف ، والتصويب عن نسخ الرسالة .
- (٣) في تمام المتن : « زِيالُه » والزِيال بكسر أوله : الفراق .
- (٤) في بعض النسخ : « والنسب » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
- (٥) لم ترد هذه التكملة في الأصل ولا في الذخيرة لابن بسام ؛ وقد أثبتناها عن بعض نسخ الرسالة .
- (٦) كذا في نسخ الرسالة ؛ والذي في الأصل : « وَحَقَّ » بالْقاف .
- (٧) يشير بهذا إلى قول عمرو بن الأهتم ، وقيل حاتم الطائي :
- (٨) لم ترد هذه العبارة في الأصل ، وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .
- (٩) منعج : هو واد يأخذ بين حفرا أبي موسى والنجاج ؛ ويدفع في بطن فليج . (يا قوت) وسلمى : جبل على شرق المدينة ، وغربه واد يقال له : « رَك » به نخل وآبار مطوية بالصخر ، وبجانبه جبلان أحمران ، وأعلى بركة أنظر تاج العروس مادة « سلم » .

بَلَادُهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِي * وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِي تَرَابُهَا^(١)
 هَذَا إِلَى مُغَالَاتِي فِي تَعَلُّقِ جَوَارِكِ، وَمَنَافَسَتِي فِي الْحِظِّ مِنْ قُرْبِكَ، وَاعْتِقَادِي أَنَّ^(٢)
 الطَّمَعَ فِي غَيْرِكَ طَبْعٌ، وَالْغِنَى مِنْ سِوَاكَ عَنَاءٌ، وَالبَدَلُ مِنْكَ أَعُورٌ، وَالْعِوَضُ لَفَاءٌ.^(٣)^(٤)^(٥)
 وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي * ضَنْئًا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ^(٦)
 ٥ «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا» وَ«فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ، وَأَسْتَمَجِدُ الْمَرْخَ وَالْعَفَارَ»^(٧)
 فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ مِنْ تَوَلَّاءِكَ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ يَمِيلُ إِلَيْكَ؟ وَهَلَا كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَا
 فِيكَ، وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ؟

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالذَّخِيرَةُ لَا بِنِ بَسَامٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ نَسْخِ الرِّسَالَةِ ؛ وَرَوَاهُ يَا قُوتٌ فِي مَعْجَمِهِ :
 « حَل » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ . وَذَكَرَ يَا قُوتٌ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ابْعَضُ الْأَعْرَابِ وَلَمْ يَعْنِهِ .
 (٢) فِي بَعْضِ نَسْخِ الرِّسَالَةِ « إِلَى مُغَالَاتِي بِعَقْدِ » وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ ؛ وَالْمُغَالَاةُ فِي الشَّيْءِ :
 إِغْلَاؤُهُ .

(٣) الطَّمَعُ : الدَّنَسُ .

(٤) ذَكَرَ الصَّفْدِيُّ فِي تِمَامِ الْمَثْنُونِ أَنَّ أَصْلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لَمَّا صَرَفَ عَنْ وِلَايَةِ
 نَخْرَاسَانَ بِقَتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ وَكَانَ شَحِيحًا وَشَيْخًا أَعُورٌ ، قَالَ النَّاسُ : هَذَا بَدَلُ أَعُورٍ . وَفِي الْأَصْلِ :
 « أَعُوَاز » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « لَفَاءً » بِالْقَافِ الْمُنْتَهَا ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَاللَّفَاءُ بِالْفَاءِ الْمُوَحَّدَةِ : التَّرَابُ
 أَوْ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ ، أَوْ هُوَ مَا دُونَ الْحَقِّ

(٦) ذَكَرَ الصَّفْدِيُّ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَعَدِيِّ بْنِ الرَّقَاقِ .

(٧) الْمَرْخُ : مِنَ الْعَضَاءِ ، وَهُوَ يَنْفَرُشُ وَيَطُولُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى يَسْتَظِلَّ فِيهِ ، وَلَيْسَ لَهُ وَرَقٌ وَلَا شَوْكٌ ،
 وَمِنْهُ يَكُونُ الزَّنَادُ الَّذِي يَقْتَدِحُ بِهِ ؛ وَالوَاحِدُ مَرْخَةٌ . وَالْعَفَارُ : شَجَرَةٌ تُشَبِّهُ شَجَرَةَ الْغُبَيْرَاءِ الصَّغِيرَةِ ، وَنُورُهَا
 كَنُورِهَا ، وَهُوَ شَجَرٌ خَوَارٌ ، وَلِذَلِكَ جَادَ لِلزَّنَادِ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِالْمَرْخِ وَالْعَفَارِ الْمَثَلَ فِي الشَّرَفِ وَعُلُوِّ
 الْمَنْزِلَةِ ، فَيَقُولُونَ : « فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ، وَأَسْتَمَجِدُ الْمَرْخَ وَالْعَفَارَ » وَفِي الْقَامُوسِ مَادَةٌ « مَجْد » أَنَّ مَعْنَى
 قَوْلِهِمْ : « اسْتَمَجِدُ الْمَرْخَ وَالْعَفَارَ » اسْتَكْتَرَأُ مِنَ النَّارِ .

(١) يا من يَعرِّز علينا أن تفارقهم * وجدنا كل شيء بعدكم عَدَمٌ
أُعِيدُكَ ونفسي من أنْ أَشِيمَ خَلْبًا ، وَأَسْتَمِطِرَ جَهَامًا ، وَأَكْدَمَ غَيْرَ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو
شكوى الجريح إلى العقبان والرَّخَمِ ؛ وإِنَّمَا أَبَسْتُ لَكَ لَتِدَرُ ، وَحَرَكْتُ لَكَ الْخَوَارَ
لَتَحْنُ ؛ وَسَرَيْتُ لَكَ لِيُحْمَدَ الْمَسْرَى إِلَيْكَ ؛ بَعْدَ الْيَقِينِ مِنْ أَنَّكَ إِنْ شَدَّتْ عَقْدَ أَمْرِي
تَيْسِرُ ، وَمَتَى أَعْدَرْتُ فِي فَكِّ أَسْرَى لَمْ يَتَعَذَّرْ ؛ وَعِلْمُكَ يُحِيطُ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ
النِّعْمَةِ ، وَالشَّفَاعَةُ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ ، وَفَضْلُ الْجَاهِ تَعُودُ بِهِ صَدَقَةٌ .

(٩) وإذا أَمَرُوا أَسَدِي إِلَيْكَ صَنِيعَةً * مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ مَالِهِ
لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا بِذَرَاكَ ، وَتَسْتَقِرُّ بِي النُّوَى فِي ظِلِّكَ ، فَتَسْتَلِدُّ جَنِي شَكْرِي مِنْ
غَرَسٍ عَارِفَتِكَ ، وَتَسْتَطِيبُ عَرَفَ ثَنَائِي مِنْ رَوْضِ صَنِيعَتِكَ ؛ وَأَسْتَأْنِفُ التَّادِبَ

١٠ (١) في الأصل : « يا من لا يعز » و « لا » زيادة من الناصح يخل بها الوزن والمعنى ؛ وهذا البيت لأبي الطيب المنبجي .

(٢) في الأصل : « من » ؛ وهو تحريف .

(٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه .

(٤) الإلباس : أن يقال للناقة عند حلبها : بس بس بضم الباء وتشديد السين تسكينها . والمراد

١٥ بهذه العبارة والتي بعدها أنه قد استعطفه بالكلام ولاينه في الخطاب ليعطف عليه ويلين له .

(٥) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في المثل : « حرك لها حوارها تحن » والحوار : ولد الناقة ،

ولا يزال حوارا حتى يفصل ؛ ويضرب هذا المثل في تذكير المراهق بعض أشجانه ليجتاج .

(٦) كذا في تمام المتن ؛ والذي في الأصل : « اليك » ولم نثبتها مع صحتها لحصول التكرار بها مع

ما بعدها .

٢٠ (٧) يشير بهذه العبارة إلى قولهم : « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو مثل يضرب للرجل

يحتمل المشقة لأجل الراحة .

(٨) في الأصل : « أمرى » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٩) البيت لأبي تمام من قصيدة كتب بها إلى إسحاق بن ربيع كاتب أبي دلف .

(١٠) بذراك : أي بظلك ؛ يقال : فلان في ذرا فلان أي في كنفه وظله .

بَادِيكَ ، والاحْتِمَالُ على مذهبيك ؛ فلا أُوجِدُ للحاسد مجالَ لحظة ، ولا أدَعُ للقادح
مَسَاخَ لفظة ؛ والله ميسرٌ من إطلابي هذه الطَّلِبَةِ ، وإشكائي من هذه الشكوى^(٤)
لِصَنِيعَةِ تصيب بها طريق المَصْنَعِ ، ويد تَسَوِّدُهَا أَحْفَظُ مُسْتَوْدَع ؛ حسباً أنت
خَلِيقٌ له ، وأنا منك حَرِيٌّ به ؛ فذلك بيده ، وهين عليه . وشفعها بأبيات فقال :

المهوى في طُلوع تلك النجوم * والمنى في هُبوب ذاك النسيم
مَرَّتَا عيشنا الرقيقُ الحواشي * لو يدوم السرور لِّلستديم
وَطَرٌ ما آتقضى إلى أن تَقْضَى * زمنٌ ما ذِمَّامُه بالذِّمِّمِ
زار مستخفيا وهيأت أن يخ * تنفى البدرُ في الظلام البهيم
فَوَشَى الحَلِيَّ إذ مشى وهفا الطَّيْدُ * بُ إلى حيث كاشعُ بالثَّمِيمِ
أيها المُوذِنِي بظلم الليالي * ليس يَوْمِي بواحدٍ من ظُلُومِ^(٦)

(١) كذا في بعض نسخ الرسالة . وفي الأصل : « التأدب بك » .

(٢) في الأصل : « مسيرك » بتقديم السين على الباء ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله فيما يأتي :

« لصنيعه » .

(٣) الإطلاب : مصدر أطلبه إذا أعطاه ما يطلب ؛ يقال طلبت منه كذا فأطلبني إياه ، أى أسعفني
بقضائه . والطلبه بكسر اللام : الحاجة . وعبارة الأصل : « من هذه الطلبة » ؛ وقوله : « من » زيادة
من الناصح ؛ فإن « أطلب » من الأفعال التي تتعدى بنفسها ؛ ولم نقف على تعديته بالحرف انظر اللسان
وغیره من كتب اللغة .

(٤) الإشكاء : مصدر أشكيت إذا أزلت شكايته .

(٥) في الأصل : « وجرى » ؛ والتصويب عن الذخيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء

مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٧ أدب .

(٦) في الأصل : « بواجده » بالجم المعجمة ؛ وهو تحريف ؛ يريد أن اليوم الذي أودى فيه ونكب

ليس هو الوحيد من دهر ظلوم .

مَا تَرَى الْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسَ * سَسَّ هَمًّا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفِكُ يَنْحُو * بِالْمُصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوَ الْعَظِيمِ
 بَوَّاءُ اللَّهِ جَهْرًا أَشْرَفَ السُّؤْدُودِ * فِي السَّرِّ وَاللَّيَالِي الصِّمِيمِ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْقَضَى * لَمْ يَكُنْ الْخُصُوصُ وَفَقَّ الْعُمُومِ
 قَلَّدَ الْعَمْرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ * وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ عَلِيمِ

(١٠٧)

ومنها في ذكر اعتقاله :

سَقَمَ لَا أُعَادُ مِنْهُ فِي الْعَدِ * مَائِدَ أَنْسٍ يَفِي بِرُءِ السَّقِيمِ
 نَارُ بَغْيِي سَرَتْ إِلَى جَنَّةِ الْأَرِ * ضَبَّانَا فَأَصْبَحْتَ كَالصَّرِيمِ
 بَابِي أَنْتَ إِنِّ تَشَانُكَ بَرْدًا * وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ
 لِلشَّفِيعِ الثَّنَاءِ ، وَالجُودِ فِي صَوِّ * بِ الْحَيَا لِلرِّيَاحِ لَا لِلْغُيُومِ

ثم قال : هاكها أعزك الله يبسطها الأمل ، ويقضيها النجلى ؛ لها ذنبُ التقصير ،
 وحرمة الإخلاص ، فهب ذنباً لحرمة ، وآشف نعمة بنعمة ؛ لتأتى الإحسان من جهاته ،
 وتسلك الفضل من طرقاته ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : « كما » وهو تحريف .

(٢) الغمر بفتح أوله وضمه : الجاهل الذى لم يجرب الأمور .

(٣) في الأصل : « والتجارب » ؛ والتصويب عن بعض نسخ الرسالة إذ به يستقيم المعنى

(٤) في الأصل : « تشابك » ؛ وفي نسخ الرسالة : « أن لشانك » ؛ وكلاهما تحريف لا يظهر له

معنى ؛ ولم يرد هذا البيت في الذخيرة ضمن هذه القصيدة .

(٥) في الأصل : « المعنى » وهو تحريف ، والتصويب عن بعض نسخ الرسالة .

ومن كلام أبي عبد الله محمد بن أبي الحِصَال من جواب لأبن
بِشَام — وكان قد كَتَب إليه يسأله إنفاذَ بعضِ رسائله ليضمَّنْها كتابَه الذي ترجمه
بالذخيرة، فكتب :

وَصَل من السَّيِّدِ الْمُسْتَرِقِّ ، والمَالِكِ الْمُسْتَحَقِّ — وَصَلَ اللهُ أَنْعَمَهُ لَدَيْهِ ،
كَمَا قَصَرَ الْفَضْلَ عَلَيْهِ — كِتَابُهُ الْبَلِغُ ، وَأَسْتَدْرَاجُهُ الْمَرِيعُ ؛ فَلَوْلَا أَنْ يَصِلَ زَنْدُ^(١)
أَقْتَدَاحِهِ ، وَيُرَدَّ طَرْفُ افْتِتَاحِهِ ؛ وَتُقَبِّضَ يَدُ أَنْبَسَاطِهِ ، وَتُغْنَى صَفْقَةُ اغْتِبَاطِهِ ؛
لِلزَّمْتُ مَعَهُ قَدْرِي ، وَضَنْ بَسْرَتِهِ صَدْرِي ؛ لَكِنَّهُ بِنَفْثَةِ سِحْرِهِ يَسْتَنْزِلُ الْعَصَمَ فَتُجَنَّبُ ،
وَيَقْتَادُ الصَّعْبَ فَيُضْحَبُ ، وَيَسْتَدِيرُ الصَّخُورَ فَتُحَلَبُ ؛ وَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُ أَبْتَدَاحِهِ ،
وَقَرَعَ سَمْعِي نِدَاةً ؛ فَرِزْتُ إِلَى الْفِكْرِ ، وَخَفَقَ الْقَلْبُ بَيْنَ الْأَمْنِ وَالْحَذَرِ ؛ فَطَارَدْتُ مِنْ
الْفَقْرِ أَوَابِدَ قَفَرٍ ، وَشَوَارِدَ عَفْرِ ، تُغَيِّرُ فِي وَجْهِ سَائِقِيهَا ، وَلَا يَتَوَجَّهُ الْخَلَّاقُ إِلَى وَجْهِهَا^(٢)
وَلَا حَقِيقَتِهَا ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهَا الْإِهَابَةُ وَالْمَهَابَةُ ، وَالْإِجَابَةُ وَالْأَسْتِرَابَةُ ؛ حَتَّى أَيَّاسْتَنِي الْخَوَاطِرُ ؛^(٣)

(١) في الأصل : " المريع " بالعين المهملة ؛ وهو تحريف ؛ والمريع : المخادع .

(٢) صلد الزند يصلد بكسر اللام : صوت ولم يخرج نارا .

(٣) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض ؛ يقال : هو يستنزل العصم بلفظه ،
أى يذلل الصعاب بسحر منطقته وحسن حديثه . وتجنب : أى تنقاد ؛ يقال : جنب الفرس اذا قدته
الى جنبك فهو جنب ومجنوب .

(٤) في كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب : « فرغت » بالعين المعجمة والراء ؛ والمعنى يستقيم
عليه أيضا .

(٥) كذا في كتاب المعجب ص ١٢٥ طبع ليدن . وتغير من الاغبار ، وهو إمارة الغبار . وفي الأصل :
« تغير » ؛ وفيه نقص وتصحيف .

(٦) الوجهي ولاحق : اسما فرسين نجيبين من خيل العرب ؛ ونقل صاحب تاج العروس عن ابن الكلبي
مادة « وجه » أنهما كانا لغني بن أعصر .

وأخلفتني المَواطِرُ ، إلا زبرجا يَعْقُبُ جوادا ، وبَهْرَجَا لَا يَحْتَمِلُ انتقادا ؛ [وأنى
 لِمِثْلِي والقَرِيحَةُ مُرْجَاةٌ ^(١)] والبِضَاعَةُ مُرْجَاةٌ ؛ بِدِرَاعَةِ الخطاب ، وِيرَاعَةِ الكِتَابِ ، ولولا
 دروسُ مَعَالِمِ البَيَانِ ، واستِيْلَاءُ العَفَاءِ على هَذَا اللِّسَانِ ؛ مَا فَازَ لِمِثْلِي فِيهِ قِدَحٌ ،
 وَلَا تَحْصُلُ لِي فِي سَوْقِهِ رِجْعٌ ؛ وَلَكِنَّهُ جَوْ خَالٍ ، وَمِضْمَارُ جُهَالٍ ؛ وَأَنَا أَعَزُّكَ اللهُ
 أَرْبَابًا بِقَدْرِ الذَّخِيرَةِ ، عَنْ هَذِهِ الثَّنْفِ الْأَخِيرَةِ ؛ وَأَرَى أَنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ مَدَاهَا ، وَاسْتَوَفَتْ
 حُلَاهَا ؛ وَإِنَّمَا أَخْشَى الْقِدَحَ فِي اخْتِيَارِكَ ، وَالْإِخْلَالَ بِمُخْتَارِكَ ؛ وَعَذْرَا إِلَيْكَ —
 أَيْدِكَ اللهُ — فَإِنِّي خَطَطْتُ وَالنَّوْمُ مَغَايِلُ ، وَالْقُرْآنُ نَازِلٌ ؛ وَالرِّيحُ تُتَلَعَّبُ بِالسَّرَاجِ ،
 وَتَصُولُ عَلَيْهِ صَوْلَةُ الْمُحَاجِّجِ .

ثم أخذ في وصف السراج كما ذكرناه في الباب الرابع من القسم الثاني من الفن
 الأول في السفر الأول من هذا الكتاب .

١٠

ومن كلام الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن عبد الله بن الجحد ^(٢) ،
 من رسالة خاطب بها ذا الوزارتين أبا بكر المعروف بابن القصيرة — وقد قربت
 بينهما المسافة ولم يتفق اجتماعهما — :

لم أزل — أعزك الله — استنزل قربك براحة الوهم ، عن ساحة النجم ؛
 وَأَنْصِبُ لَكَ شَرَكَ الْمَنَى ، فِي خُلْسِ الْكَرَى ^(٣) ، وَأَعْلَلُ فِيهِ نَفْسَ الْأَمَلِ ، بِضَرْبِ
 ١٥ سَابِقِ الْمَثَلِ :

(١) المراد بالزبرج هنا : السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أئبناها عن كتاب المعجب ص ١٢٥ طبع ليدن . ومرجاة :
 من الإرجاء ، وهو التأخير .

(٣) كذا في المعجب ؛ والذي في الأصل : « والاختلا » ؛ وهو تحريف .

٢٠

(٤) كذا ضبط هذا الاسم بالقلم في المعجب ص ١٢٤ طبع ليدن .

(٥) في الأصل : « الكرم » ؛ وهو تحريف .

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحْطٍ * مَن دَارُهُ الْحَزَنُ مِنْ دَارِهِ صَوْلٌ^(١)

فَمَا ظَنُّكَ بِهِ وَقَدْ نَزَلَ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمٍ [وَطَلَمَا نَفَرَ عَنْ حِجَابَةِ نَوْمٍ] ، وَدَنَا حَتَّى هَمَّ^(٢)
بِالسَّلَامِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ خُدَعِ الْأَحْلَامِ ، وَنَاهَيْكَ مِنْ ظُمَى^(٣) وَقَدْ حُمْتُ حَوْلَ الْمَوْرِدِ الْخَصْرِ ،
وَذَمَّمْتُ الرَّشَاءَ بِالْقَصْرِ ، وَوَقَفَ بِي نَاهِضُ الْقَدَرِ ، وَقَفَّةَ الْعَيْرِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالصَّدَرِ ،
فَهَلَّا وَصَلَ ذَلِكَ الْأَمْلُ بِبَاعٍ ، وَسَمِعَ الزَّمَنُ بِاجْتِمَاعٍ ، وَطُوبِيَتْ بَيْنَنَا رَقْعَةُ الْأُمِّيَالِ ،
كَمَا زُوِيَتْ مَرَا حُلُ^(٤) أَيَّامٍ وَلِيَالٍ ، وَمَا كَانَ عَلَى الْأَيَّامِ لَوْ غَفَلْتُ قَلِيلاً ، حَتَّى أَشْفَى بِلِقَائِكَ
غَلِيلاً ، وَأَتَنَسَّمَ مِنْ رَوْحِ مَشَاهِدَتِكَ نَفْسًا بَلِيلاً ، وَلَئِنْ أَفْعَدْتَنِي بِعَوَاتِقِهَا عَنْ لِقَاءِ حُرٍّ ،
وَقَضَاءِ رِبٍّ ، وَسَفَرٍ قَرِيبٍ ، وَظَفَرٍ غَرِيبٍ ، فَمَا تَحَيَّفْتُ^(٥) وَدَادَى^(٦) ، وَلَا ارْتَشَفْتُ مِدَادِي ؛
وَلَا غَاضَتُ كَلَامِي ، وَلَا أَخْفَتُ أَفْلا مِي ؛ وَحَسْبِي بِلِسَانِ النَّبْلِ رَسُولًا ، وَكُنْفِي بِوَصُولِهِ^(٧)
أَمْلًا وَسُؤْلًا ؛ فَفِي الْكُتَابِ بُلْغَةُ الْوَطَرِ ، وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ ؛ عَلَى أَنِّي إِنَّمَا
وَحَيْتُ^(٨) وَحَى الْمَشِيرِ بِالْيَسِيرِ ، وَأَحَاتُ فَهْمَكَ عَلَى الْمُبْطُورِ فِي الضَّمِيرِ ؛ وَإِنْ فَرِغْتَ
لِلرَّاجِعَةِ وَلَوْ بِحَرْفٍ ، أَوْ لِحَةِ طَرْفٍ ؛ وَصَلْتَ صَدِيقًا ، وَبَلَلْتَ رِيْقًا ؛ وَأَسَدَيْتَ يَدًا ،
وَشَفَيْتَ صَدَى ؛ لَا زَالَتْ أَيْادِيكَ بِيضًا ، وَجَاهُكَ عَرِيضًا ؛ وَلِيَالِيكَ أَسْحَارًا ،
وَمَسَاعِيكَ أَنْوَارًا .

(١٠٨)

- ١٥ (١) الحزن : بلاد بنى يربوع ، وهي أطيب البادية مرعى . وصول : مدينة في بلاد الخزرج في نواحي
باب الأبواب . (٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الذخيرة ليم بها السجع
الذي ألزمه الكاتب فيما أثبت هنا من رسالته . (٣) يقال : ناهيك من كذا بمعنى حسبك ، أى أنه
غاية تنهاك عن طلب غيره . (٤) الرشاء : الحبل ؛ يريد بهذه العبارة تشبيه حاله في المقاربة وعدم
استطاعة اللقاء بحبل الدلو الذي يقارب الماء . ولا يصل إليه لقصره . (٥) عبارة الأصل . « على
رويت مراحم » وهو تحريف . (٦) يقال : تحيفت الشيء ، أى تنقصته من نواحيه .
(٧) في الأصل : « أقدامى » بالذال ؛ وهو تحريف . (٨) يريد بلسان النبل ، كتابه إليه .
(٩) الوسى : الكتابة أو الإشارة .

ومن كلام أبي عبد الله محمد بن الخياط من رُقعة طويلة
الى الحاجب المظفر، أولها :

- حجَبَ الله عن الحاجب المظفر أعينَ النَّائِبَاتِ ، وَقَبَضَ دُونَهُ أَيْدِيَ الْحَادِثَاتِ .
وجاء منها : وَرَدَ لَهُ كِتَابٌ كَرِيمٌ جَعَلْتُهُ عِوَضَ يَدِهِ الْبَيْضَاءِ فَقَبَّلْتُهُ ، وَلَمَحْتُهُ بَدَلِ
غُرَّتِيهِ الْغُرَاءِ فَأَجَلَّيْتُهُ ؛ كِتَابُ أَلْقَى عَلَيْهِ الْحَبِيرُ حَبْرَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ السَّحَرُ فَقَرَهُ ؛ أَنْذَرَ^(٢)
بِلُغِ الْمُنَى ، وَبَشَّرَ بِحَصُولِ الْغَنَى ؛ تُخَيِّرُ لَهُ الْبَيَانَ فَطَبَّقَ مَفْصِلَهُ ، وَرَمَاهُ الْبَنَانُ^(٣)
فَصَادَفَ مَقْتَلَهُ ؛ وَوَصَلَ مَعَهُ الْمَمْلُوكُ وَالْمَمْلُوكَةُ اللَّذَانِ سَمَّاهُمَا هَدِيَّةً ، وَتَنَزَّهَ كَرَمًا أَنْ
يَقُولَ عَطِيَّةً ؛ هِمَّةٌ تَرْجُمُ السَّمَائِينَ ، وَنِعْمَةٌ تَمَلَأُ الْأَذْنَ وَالْعَيْنَ ؛ وَمَا حَرَّكَ — أَيْدِيهِ
الله — بِكَتَابِهِ سَا كُنَّا بِحَمْدِهِ ، وَلَا نَبْتَ نَائِمًا عَنْ قَصِيدِهِ ؛ كَيْفَ وَقَدْ طَلَعَتْ آلِ الشَّمْسِ
الَّتِي صَارَ بِهَا الْمَغْرِبُ شَرْقًا ، وَهَبَّتْ أَلْرِّيحُ الَّتِي صَارَ بِهَا الْحَرَمَانُ رِزْقًا ؛ صَاحِبُ لُؤَاءِ
الْحَمْدِ ، وَفَارُسُ مِيدَانِ الْمَجْدِ . . .
وهي رُقعةٌ طويلةٌ قد ذكرنا منها في المديح فصلا لا فائدة في إعادته .

ومن كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسي ،
فمن ذلك أَمَّا نُكْتُبُهُ لِمَنْ عَصَى وَعَاوَدَ الطَّاعَةَ :

- أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْغَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلْبَابُكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ، دُونَ عَهْدِ^(٤)
وَلَا عَقْدٍ يَمْنَعَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دِمِكَ ؛ وَلَكِنَّا بِمَا وَهَبَ اللهُ لَنَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى سَرَائِرِ

(١) الحَبِيرُ يَكْسِرُ الْحَاءَ وَفَتْحُهَا : الْعَالَمُ . وَالْحَبِيرُ يَكْسِرُ الْحَاءَ وَفَتْحُ الْبَاءِ : يَرُودُ بِمَنْيَةٍ ، وَاحِدُهُ حَبْرَةٌ
كُتِبَتْ ؛ يَرِيدُ تَشْبِيهِ الْكَلَامِ فِي الْحُسْنِ وَالرُّونِقِ بِحُسْنِ تِلْكَ الْبُرُودِ وَوَشْيِهَا .

(٢) يَسْتَعْمَلُ الْإِنْذَارَ بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ مُطْلَقًا سِوَاهُ أَكَانَ بِغَيْرِ أَمٍ بِشَرْبِهِ . وَالْمُرَادُ هُنَا الْأَوَّلُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْبَيَانُ » بِالْيَاءِ الْمُنْتَهَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ .

(٤) كَذَا فِي الذُّخِيرَةِ لِابْنِ بَسَامٍ ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « جَلْبَابُكَ » ؛ وَالْيَاءُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ
إِذْ لَمْ تَقِفْ فِيمَا لَدَيْنَا مِنْ كُتُبِ الْمَلِكِ عَلَى تَعْدِيَةِ هَذَا الْفِعْلِ بِالْيَاءِ . (٥) فِي الذُّخِيرَةِ : « أَسْرَارُ » .

الرَّيَاسَةِ، وَالْحَفِظَ لَشَرَائِعِ السِّيَاسَةِ؛ تَأَمَّلْنَا مَنْ سَاسَ جِهَتَكَ قَبْلَنَا فَوَجَدْنَا يَدَ سِيَاسَتِهِ
خَرَفَاءَ، وَعَيْنَ حِرَاسَتِهِ عَوْرَاءَ، وَقَدَّمَ مَدَارَاتِهِ سَلَاءً، لِأَنَّهُ غَابَ عَنِ تَرْغِيكِ فَلَمْ تَرْجُهُ،
وَعَنِ تَرْهِيكِ فَلَمْ تَخْشَهُ؛ فَأَذَتْكَ حَاجَتُكَ إِلَى طُلَابِ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَا، وَقِلَّةُ مَهَابَتِكَ
إِلَى التَّهَالُكِ عَلَى الْمَعَاصِي الْوَبِيَّةِ؛ وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ تُظْهِرَ فَضْلَ سِيرَتِنَا فِيكَ، وَتَعْتَبَرَ بِالنَّظَرِ
فِي أَمْرِكَ، فَمَهَّدْنَا لَكَ التَّرْغِيبَ لِنَأْنَسَ إِلَيْهِ، وَظَلَّلْنَا لَكَ التَّرْهِيْبَ لِنُفَرِّقَ مِنْهُ، فَإِنْ
سَوَتْ أَلْحَالُنَا طَبْعَكَ، وَدَاوَى الثَّقَافُ وَالنَّارُ عُوْدَكَ، فَذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْكَ،
وَبِإِظْهَارِهِ حُسْنَ السِّيَاسَةِ فِيكَ؛ وَأَمَّا اللَّهُ تَعَالَى مَبْسُوطٌ مِنَّا، وَمَوَاقِفُهُ بِالْوَفَاءِ
مَعْقُودَةٌ عَلَيْنَا؛ وَأَنْتِ إِلَى جِهَتِكَ مَصْرُوفٌ، وَبِعَفْوِنَا وَالْعَافِيَةِ مِنَّا مَكْنُوفٌ، إِلَّا أَنْ
تُطِيشَ الصَّدِيعَةَ عِنْدَكَ فَتُخْلَعَ الرِّبْقَةُ، وَتَمْرُقَ مِنَ الطَّاعَةِ، فَلَسْنَا بِأَوَّلَ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ،
وَلَسْتَ بِأَوَّلَ مَنْ تَرَاءَتْ لَنَا مَقَاتِلُهُ مِنْ أَشْكَالِكَ إِنْ بَغَيْتِ، وَانْفَتَحَتْ لَنَا أَبْوَابُ
اسْتِصْصَالِهِ مِنْ أَمْثَالِكَ إِنْ طَلَبْتِ.

ومن كلامه يعاتب بعض إخوانه :

أَظَلَمَ لِي جَوْ صَفَائِكَ، وَتَوَعَّرْتُ عَلَى طُرُقِ إِخَائِكَ؛ وَأَرَاكَ جَلَدَ الضَّمِيرِ عَلَى
الْعِتَابِ، غَيْرَ نَاقِعِ الْعَلَّةِ مِنَ الْخِفَاءِ؛ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَقْصَى بِهِجَةَ ذَلِكَ الْوَدِّ،
وَأَذْبَلَ زَهْرَةَ ذَلِكَ الْعَهْدِ؛ عَهْدِي بِكَ وَصِلْتُنَا تَفَرَّقَ مِنْ أَسْمِ الْقَطِيعَةِ، وَمَوَدَّتُنَا
تَسْأَلُ عَنْ صِفَةِ الْعِتَابِ وَنِسْبَةِ الْخِفَاءِ، وَالْيَوْمَ هِيَ آنَسُ بِذَلِكَ مِنَ الرُّضِيعِ بِالْثَدِيِّ،
وَالْخَلِيعِ بِالْكَأْسِ؛ وَهَذِهِ ثَغْرَةٌ إِنْ لَمْ تَحْرُسْهَا الْمَرَاجِعَةُ، وَتَذُكَّ فِيهَا عَيُونُ الْإِسْتَبْصَارِ
تَوَجَّهَتْ مِنْهَا الْحَيْلُ عَلَى هِدْمِ مَا بَيْنَنَا، وَنَقِضَ مَا اقْتَنَيْنَا؛ وَتِلْكَ نَائِحَةُ الصَّفَاءِ،
وَالصَّارِخَةُ بِمَوْتِ الْإِخَاءِ؛ لَا أَسْتَبْدُ أَعَزَّكَ اللَّهُ مِنَ الْكَتَابِ إِلَيْكَ — وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ

(١٤٩)

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْإِشْبِطِر»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ. (٢) فِي الدُّخْرَةِ: «وَالصَّانِعَةُ»؛ وَالْمَعْنَى
يَسْتَنِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا. (٣) كَذَا فِي الدُّخْرَةِ لِابْنِ بَسَامٍ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ: «لَا أَسْتَبْدُ» بِالْأَلَاءِ الْمَوْحَدَةِ.

القلم، وانزوت أحشاء القرطاس، وأجرُفُ الفكر، فلم يبقَ في أحدها إسماعُدى على
مكاتبَتِكَ، ولا بشاشةٌ عند محاولة مخاطبتِكَ — لِقَوَارِصِ عتَابِكَ، وقوارِعِ ملائِكَ
[التي أكلت أفلامَكَ] ^(٣)، وأغصت كُتُبَكَ ^(٤)، وأصجرت رُسُلَكَ، وضميرى طاولم يطعم
تجنياً عليك، ونفسي وادعةٌ لم تحرك ذنباً إليك، وعقدى مستحكِمْ ^(٥) لم يمسه وهن
فيك؛ وأنا الآن على طرف الإخاء معك، فإما أن تبهرنى بحجة فأتصل عندك،
وإما أن تفتى بحقيقة فاستديم خلَّتكَ ^(٦)، وإما أن تأزم على يسك فأقطع حبلى منك؛
كثيراً ما يكون عتابُ المنتصافين حيلةً تُسبِر المودة بها، وتُستثار دفاًنُ الأخوة عنها،
كما يُعرض الذهب على اللهب، ويصفى المدام بالفِدام ^(٧)، وقد يخلص الود على العتب
خلوص الذهب على السبك، فأما إذا أُعيد وأبدى ورُدَد وتوالى فإنه يُفسد غرس
الإخاء، كما يفسد الزرع توالى الماء.

ومن كلام أبي الوليد بن طريف من جواب عن المعتمد إلى
ذى الوزارتين ابنِ يحفور صاحب شاطبة بسبب أبي بكر بن عمار:

(١) في الأصل: « وأجر » بالخاء الممهلة . وفي الدخيرة لابن بسام: « وأحد » وهو تحريف
في كليهما، صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق، وأجر بالجريم: من الاجرار، وهو أن يشق لسان الفصيل للثلا
يرضع؛ ويستعار الاجرار كما هنا للاسكات والمنع من النطق، قال عمرو بن معد يكرب:
فلو أن قومي أنطقنني رماحهم » بطقت ولكن الرماح أجرت

يريد أن رماح قومه أسكنته ومنعته عن الكلام . (٢) كذا في هامش الدخيرة قسم أول ترجمة
أبي حفص المذكور، وهو المناسب لقوله بعد « وقوارع »؛ والذى في الأصل: « ومصالوة »؛ وهو
تحريف لا يظهر له معنى . (٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل؛ وقد اثبتناها عن الدخيرة

إذ لا يستقيم الكلام بدونها . (٤) في الأصل: « وأغصت » بالعين الممهلة؛ وهو تصحيف .

(٥) في الدخيرة: « مستوثق »؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . (٦) يقال: تنصل إليه

من الجناية، أى خرج وتبرأ . (٧) الخلعة بضم الخاء: المحبة والصداقة لا خال فيهما .

(٨) تأزم بكسر الزاى المعجمة، أى نواطب وتدأب . (٩) في الدخيرة: « دقات »؛ والمعنى

يستقيم على كلتا الروايتين . (١٠) الفدام بكسر الفاء: المصفاة للكوز والإبريق ونحوهما .

وقفتُ على الإشارة الموضوعية من قِبَلِك على إخلاص دَل على وجوه السلامة ،
 المستنار فيها الى شرف مَحْتَدِك وصفاء مُعْتَقِدِك أَكْرَم استنامة ؛ بالشفاعة فيمن
 أساء لنفسه حَظَّ الاختيار ، وسَبَب لها سبب النكبة والعتار ؛ بَعْمَطِه لعظيم النعمة ؛
 وقطعه لعلائق العصمة ؛ وَتَحْبِطِه في سَنَنِ غِيَّ واستهدافه ، وتجاوزَه في ارتكاب
 الجرائم وإسرافه ؛ حتى لم يدغ للصالح موضعا ، وخرق سِتْرَ الإبقاء بينه وبين مُوَلَى
 النعمة عنده فلم يَتْرَك فيه مَرَقَعَا ؛ وقد كان قَبْلَ آسْتِشْراءِ رأيِه ، وكشفِه لصفحة
 المعاندة ، وإبدائه غدرَه في جميع جنائياته مقبولا ، وجانب الصفح له معرضا مبذولا ؛
 لكن عَدَتِه جوانبُ الغواية ، عن طُرُقِ الهداية ؛ فاستتر على ضلاله ، وزاغ عن سَنَنِ
 اعتداله ؛ وأظهر المناقضة ، وتعرض بزعمه الى المساورة والمعارضة ؛ فلم يزل يَريغُ
 الغوائل ، وَيَنْصِبُ الحبائل ؛ ويركب في العناد أصعب المراكب ، ويذهب منه
 في أوعر المذاهب ؛ حتى عَلِقَتْه تلك الأشراك التي نصبها ، وَتَشَبَّثَ به مساوى
 المقدمات التي جرَّها وَسَبَّها ؛ فذاق وبالَ فِعْلِه ، «وَلَا يَجِيْقُ الْمَكْرُ أَلْسِيءُ إِلَّا بِأَهْلِه»
 ولم يَحْصُلْ في الأَشْوَطِ التي تَوَرَّطَها ، والمحنة التي اشتمَّتْ عليه وتوسَّطَها ؛ إلا ووجهُ
 العفوله قد أَظْلَمَ ، وبابُ الشفاعة فيه قد أبهم ؛ وَمَنْ تَأَمَّلَ أفعاله الذميمة ، ومذاهبه
 اللثيمة ؛ رأى أَنَّ الصفحَ عنه بعيد ، والإبقاء عليه داءٌ حاضِرٌ عَتِيد .

وفي فصل منه : ففوقَ لمناصلة الدولة نبالة ، وأعمل في مكايدها جُهدَه
 وأحتياله ؛ ثم لم يَقْتَصِرْ على ذلك بل تجاوزَه الى إطلاق لسانه بالذم الذي صدر عن

(١) أورد ابن بسام هذه الرسالة في ترجمة الوزير أبي بكر بن عمار .

(٢) كذا في الأصل ؛ ولعله : «من» . (٣) عبارة الدخيرة : «على أحلص وجوه» الخ .

(٤) في الأصل : «عن» وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٥) يريغ : يطلب ويريد . (٦) أبهم الباب ، أعلق .

لؤمِ نِجَارِهِ ، والطعنِ الشاهدِ بِنَجِيثِ طَوَيْتِهِ وإِضْمَارِهِ ؛ وَمَنْ فَسَدَ هَذَا الْفَسَادُ كَيْفَ
يُرْجَى اسْتِصْلَاحُهُ ، وَمَنْ اسْتَبَطَّنَ مِثْلَ غَلِّهِ كَيْفَ يُؤْمَلُ فَلَاحُهُ ؛ وَمَنْ لَكَ بِسَلَامَةِ
الْأَدِيمِ ^(١) النَّغْلِ ، وَصَفَاءِ الْقَلْبِ الدُّغْلِ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ فَلَا أَعْتَقِدُ عَلَيْكَ فِيمَا عَرَضَتْ بِهِ
مِنْ وَجْهِ الشَّفَاعَةِ غَيْرَ الْجَمِيلِ ، وَلَا أَتَعَدَّى فِيهِ حُسْنَ التَّأْوِيلِ ؛ وَلَوْ وَقَدْتُ شَفَاعَتَكَ
فِي غَيْرِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي سَبَقَ فِيهِ السَّيْفُ الْعَدْلُ ، وَأَبْطَلَ عَاقِلُ الْأَقْدَارِ فِيهِ الْإِلْطَافَ ^(٢)
وَالْحَيْلَ بِالتُّلَقَّيْتِ بِالْإِجْلَالِ ، وَقَوَيْتِ بِبَالِغِ الْمَبْتَرَةِ وَالْأَهْتَابِ ^(٣) .

وَمِنْ كَلَامِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي الْمَغِيرَةِ بْنِ حَزْمٍ ^(٤) مِنْ رِسَالَةٍ .
لَمْ أَرْزُ أَزْجُرْ لِلْقَاءِ سَيِّدَى السَّانِحِ ، وَأَسْتَمِطِرُ الْعَادَى وَالرَّائِخَ ^(٥) ؛ وَأُرُومُ اقْتِنَاصِهِ
وَلَوْ بَشَرَكِ الْمَنَامَ ، وَأَحَاوَلُ اخْتِلَاسَهُ وَلَوْ بِأَيْدِي الْأَوْهَامِ ؛ وَأَعَاتَبُ الْأَيَّامَ فِيهِ فَلَا تَغْتِيبُ ،
وَأَقُودُهَا إِلَيْهِ فَلَا تُصِحِّبُ ؛ حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْيَاسَ ، وَشَيَّتِ النَّاسَ ؛ وَضُرِبَتْ بَنَى
الْأُمَثَالِ ، فَقِيلَ : أَكْثَرُ الْأَمَالِ ضَلَالٌ ؛ تَنْبَهُ الدَّهْرُ مِنْ رَقْدَتِهِ ، وَحَلَّ مِنْ عَقْدَتِهِ ؛
وَقَبِلَ مَتًى ، وَأَظْهَرَ الرِّضَى عَنِّي ؛ وَقَالَ : دُونَكَ مَا طَمَحَ ^(٦) فَقَدْ سَمَحَ ^(٧) ، وَإِلَيْكَ فَقَدْ دَنَا
مَا قَدْ جَمَعَ ؛ فَطَرْتُ بِجَنَاحِ الْآرْتِيَاخِ ، وَرَكَبْتُ إِلَى الْغَنَامِ كَوَاهِلَ الرِّيَّاحِ ؛ وَقُلْتُ :
فَرَصَةٌ تُغْتَنَّمُ ، وَرَكْنٌ يُسْتَلَمُ ؛ وَطَرَفُ رَوْضَةٍ [الْعِلْمِ] ^(٨) عَمِيْمَةٌ الْأَزْهَارِ ، فَصِيْحَةٌ الْأَطْيَارِ ؛

- (١) الأديم : الجلد . والفعل : العارِد في الدُّعَاء ؛ وَبَابُهُ فَرَح . (٢) لعله « ما جل » بالجم .
كما يدل عليه سياق ما قبله . (٣) الاهتبال : الاعتناء ؛ والمراد اعتناء العمل بها .
(٤) في الأصل : « ابن » والتصويب عن الدخيرة قسم أول ترجمة أبي المغيرة بن حزم .
(٥) في الأصل : « الداخ » بالبدال المعجمة والياء الموحدة ؛ وهو تصحيف .
(٦) طمح ، من الطماح بكسر الطاء ، وهو الجماع .
(٧) في الدخيرة : « فقد سنح » بالنون ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن الدخيرة .

رَبًّا الْجَدَاوِلَ، بَارِدَةَ الضَّحَى وَالْأَصَائِلَ ؛ وَطَفْتُ بِكُمْبَةِ الْفَضِيلِ مَصُونَةَ الْحَبْرِ، مَلْثُومَةَ
 الْحَجَرِ، عَزِيزَةَ الْمَقَامِ، مَعْمُورَةَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ؛ فَمَا شُنْنَا مِنْ مُحَاضِرَةٍ، تَجْمَعُ بَيْنَ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ ؛ بَيْنَ يَدَيِ نَثْرِ يُدْنِي الْإِعْجَازَ، وَنَظْمٍ مَا أَشْبَهَ الصَّدُورَ بِالْأَعْجَازِ ؛ وَحَدِيثِ
 تُشَقِّفُ الْعُقُولَ بِآرَائِهِ، وَتُرَوَّى بِصَافِي مَائِهِ ؛ خَلِينِ شَمَخٍ بِالظُّفْرِ أَنْفَى، وَاهْتَرَّ لِنَيْسَلِ
 الْأَمْلِ عَظْفَى — وَالدهرُ يَضْحَكُ سِرًّا، وَيَتَأَبَّطُ شَرًّا؛ وَقَدْ أَذْهَلَنِي الْجَدَلُ عَنْ سُوءِ
 ظَنِّي بِهِ، وَأَوْهَمَنِي تَزْوَعَهُ عَنْ ذَمِيمِ مَذْهَبِهِ — أَتَتِ الْوَانُةَ، وَفَسَا ظَرِبَانُهُ ؛ وَنَادَى : لِيَقُمْ
 مَنْ قَعَدَ، وَيَنْتَبِهْ مَنْ رَقَدَ؛ إِنَّمَا قَفَرْتُ تِلْكَ الْفَتْرَةَ، لِيَكُونَ مَا رَأَيْتَ عَلَيْكَ حَسْرَةً ؛
 وَسَمَحْتُ لَكَ مَرَّةً، لَتَذُوقِ مِنَ الْأَسْفِ عَلَيْهَا كَأَسْأَمَرَةٍ ؛ فَرَأَيْتُ وَقَدْ غَطَى عَلَى
 بَصْرِي، وَعَقَلْتُ وَكُنْتُ فِي عَمِيَاءَ مِنْ خَبْرِي ؛ وَقُلْتُ : هُوَ الَّذِي أَعْهَدَهُ مِنْ لَوْمِهِ،
 وَأَعْرَفَهُ مِنْ شَوْمِهِ ؛ فَمَا وَهَبَ، إِلَّا وَسَلَبَ ؛ وَلَا أَعْطَى، إِلَّا سَاعَاتٍ كَيْبَاهِمُ الْقَطَا ؛
 فَيَالَهُ مِنْ قَادِرٍ مَا أَلْأَمَ قُدْرَتَهُ، وَذَابِحٍ مَا أَحَدَّ شَفَرَتِهِ ! وَאוּ תְּסַלֵּطُ عَلَيْنَا، مِنْ يُظْهِرُ
 شَخْصَهُ إِلَيْنَا، لَا دَرَكْتُهُ رَمَاحُنَا، [وَعَصَفْتُ بِهِ رِيَا حُنَا] ؛^(٥) لَكِنَّهُ أَمِيرٌ مِنْ وَرَاءِ تَجَبُّفٍ،
 يَسْمَعِي بِلَا رَجُلٍ وَيَصُولُ بِلَا كَفِّ .

وَمِنْ كَلَامِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْغَفُورِ إِلَى بَعْضِ
 إِخْوَانِهِ — وَكَانَ قَدْ وَصَفَ لَهُ امْرَأَةً وَمَدَحَهَا وَحَضَّهَ عَلَى زَوَاجِهَا، وَكَانَ لَذَلِكَ
 الصَّدِيقُ امْرَأَةً سُودَاءُ — فَأَجَابَهُ ابْنُ عَبْدِ الْغَفُورِ :

- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَالْحَبْرُ : الْبُرُودُ الْيَمِينِي ؛ وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِحَبْرِ الْكُمْبَةِ : أَسْتَارَهَا . وَالَّذِي فِي الذِّخِيرَةِ
 لِابْنِ بَسَامٍ : « الْحَرَمُ » ، وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . (٢) عِبَارَةُ الذِّخِيرَةِ : « تَقِفُ الْعُقُولُ بِأَزَانِهِ » .
 (٣) فِي الْأَصْلِ : « بِزَوْغِهِ » بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .
 (٤) فِي الْأَصْلِ : « وَفُتْنَى طَرِيَانِهِ » بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَالطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَالطَّرِيَانُ
 بَفَتْحِ الطَّاءِ الْمَعْجَمَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ دَوِيَّةٌ كَاهِرَةٌ مِثْلَةُ الرِّيحِ ؛ وَيُقَالُ : فَسَا بَيْنَهُمُ الطَّرِيَانُ ، أَيْ تَفَرَّقُوا .
 (٥) الزِّيَادَةُ عَنِ الذِّخِيرَةِ ؛ وَبِهَا يَتِمُّ السَّجْعُ الَّذِي التَزَمَهُ الْكَاتِبُ فِي رِسَالَتِهِ .

بينما كنت ناظرا من المرأة في شعرٍ أحمّ، ورأسٍ أجمّ، لا أخاف معه الدم؛
إذ تقدّم رسولك إلى، يخطب بنتَ فلانٍ على؛ ويرغب منها في سعة مال، وبراعة
جمال؛ ويقسم إنها لبنةٌ بالزوج بريكة، لا تحوجه عند النوم إلى أريكة؛ ولو يُسرتُ
— وعيّاذا بالله — لهذا النكاح، لرزقتُ قبل الولد منها آلة النطاح؛ ولا حاجة لي بعد
الدعة والسكون، [إلى حربٍ زبون، وقراعٍ بالقُرون]، ولو حملتُ إلى تاجٍ كسرى
وكنوزَ قارون؛ فاطلب لهذه السلعة المباركة مشترى غيرى، ولا تسقها ولو في النوم
إلى...؛ وأبتعها ولو بأرفع الأثمان إلى نفسك، وأضف عاجها النفيس إلى أنوس
عمرسك؛ ولا عذر لها في النشور والإعراض، فإنما يحسن السواد الحالك بالبياض؛
والله يمدك بقرنين قبل الحين، ويضع لك صنعين ويبلين، فيسقطك بهذا النكاح
الثاني للفم كما أسقطت بالأول لليدين.

١٠

(١) الأحم: الأسود. (٢) في الأصل: «النكاح» وهو تحريف. (٣) النككة عن
الدخيرة لابن بسام. (٤) الكلمة المحذوفة هنا لا تخفى على قطرة القارئ (٥) كذا ضبط هذا
اللفظ بالعارة في تاج العروس، فص على أنه بكسر الموحدة. (٦) الصنعين: تثنية صنع بالكسر،
وهو سفود الشواء.

١٥ كمل السفر السابع من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري
رحمه الله تعالى — ويليه الجزء الثامن منه، وأوله:
ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضل

وكان تمام طبعه في يوم الجمعة ٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٧ (١٩ أبريل
سنة ١٩٢٩).

٢٠ ملاحظ المطبعة
بدار الكتب المصرية
محمد نديم

إصلاح خطأ

عثرنا بعد طبع هذا الجزء على يسير من الأغلط المطبعية
فرأينا أن نثبتها هنا ليستدركها القراء .

صواب	خطأ	س	ض
ملئ ^ق (بضمين)	ملئ	٦	٩
التندير	التنديد	١٤	٣٦
همو	هموا	٨	٦٧
يريك ^م (بضم الميم)	يريك ^م	٧	١٣٦
بنو	بنوا	١١	١٣٩
بنو	بنوا	٥	١٣٩
الحيبا	الحيبي	٢٦	١٥٩
جربة (بكسر الجيم)	جربة	١	١٦١
ليس (بدون واو)	وليس	٨	١٦٦
انجلي	انجلي	٣	١٧٨
بسبقه	بشقه	١٥	٢٣٧

جلد ۷

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستفاد
لی گئی تھی بقرزہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا !

۱۲۵۶۸

ح
۸۹۲۶۷۹

ن - ن
جلد ۷

النویری، شہاب الدین احمد
نہایتہ الارب فی فنون الادب

سکتین ایڈ
جامعہ عثمانیہ
۱۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۲۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۳۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۴۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۵۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۶۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۷۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۸۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۹۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔
۱۰۔ اردو میں اس کتاب کی ایک کاپی اردو میں لکھی گئی ہے۔

